

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سَائِلُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةُ اِسْلَامِيَّةِ جَامِعَةِ

العدد الثالث والأربعون • السنة السادسة عشرة • رجب - رمضان ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي :

* الجمهورية الإسلامية في إيران - قم . ص . ب . (٨٩٤ = ٣٧١٨٥)

* هواتف : ٢ - ٧٧٤٠٧٧١ فاكس : ٧٧٢٥١٧٩

* موقعنا على الانترنت :

www.ahl-ul-bayt.org

رسالة الثقيلين

مقتويات العدد

مقالة إسلامية بامتعة

● تعنى باحياء المعارف الإسلامية من منبع الثقيلين والدفاع عن حريم القرآن الكريم والسنة الشريفة للرسول الأمين ﷺ واهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

● تستقبل نتائج العلماء والمفكرين والكتاب الاسلاميين التي تصب في رسالة الثقيلين لتكريس وحدة الامة الاسلامية وتثبيت شوكتها في أرجاء العالم.

● الآراء السواردة فيما يُنشر لا تعتبر بالضرورة عن رأي المجمع أو المجلة.

● تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية.

● يُرجى ممن يرقد المجلة بـتـاجـاته الاحتفاظ بصورة منها، فإنها لاتعاد نشرت أم لم تنشر.

□ كلمة التمهيد

* الإرهاب بين ثقافتين:

ثانياً: الإرهاب في الثقافة الإسلامية بقلم رئيس التحرير ٤

□ من أخاق الضيافة الإسلامية

* علي (ع) والحكم... معالم مسيرة الدولة الإسلامية

..... ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظلّه) ٢٦

□ دراسات

* ولاية المعصومين (ع) وولاية الفقيه

..... الشيخ مهدي هادوي الطهراني ٦٢

* الجيل الإسلامي الثاني في الغرب (٢)

رؤية تخطيطية مشتركة «هولندا نموذجاً»

..... الشيخ محمد الساعدي (هولندا) ٨٩

□ من ضمة مدرسة أهل البيت (ع)

* قواعد أصول الفقه على مذهب الإمامية:

١٤- لا دلالة للأمر على الفور ولا على التراخي

١٥- الأمر بالشيء أمر بذلك الشيء حقيقة

١٦- الأمر بشيء بعد الأمر به ظاهر في التأكيد

١٧- إذا نُسخ الوجوب فلا دلالة لدليل النسخ ولا المنسوخ على بقاء الجواز

..... إعداد: لجنة في مجمع فقه أهل البيت (ع) ١١٢

□ شبهة ورد

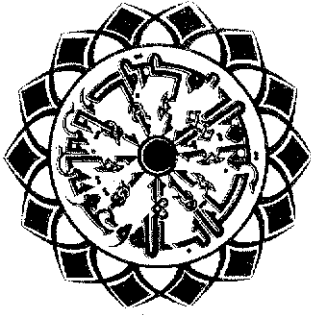
* حدود الجاذبة والطاردة «الرفق والعنف» في الإسلام (٢)

..... الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي ١٢٠

□ تضيقات

* النبي محمد (ص) وأهل بيته (ع) في التوراة والإنجيل

..... الدكتور أحمد عبد المجيد حمود (استراليا) ١٥٧



المجمع العالمي لأهل البيت

المصدر: المجمع

الشيخ
محمد باقر المجلسي

رئيس المجمع

الشيخ
فؤاد كاظم الرضاوي

○ العدد الثالث والأربعون

○ السنة الحادية عشرة

○ رجب - رمضان

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م

○ المطبعة: ليلى

□ من أعلام مدرسة أهل البيت (ع)

* بشر الحافي حسين الشاكري ١٦٨

□ في ظلال عزِّ حكم أهل البيت (ع)

* التوبة: أول منازل السالكون إلى الله

..... الشيخ وهب الفرحان (العراق) ١٧٦

□ أدب في رهاب الثقيلين

* قصيدة: سفينة النجاة الدكتورة تحفة جعفر علي (هولندا) ١٨٩

□ مقالات من مواقع الانترنت

* حرب تكسير عظام بين أميركا والحركات الإسلامية

..... قطب العربي (مصر) ١٩١

□ من إصدارات المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

* كتاب المراجعات: طبعة جديدة محققة ومنقحة

..... إعداد: لجنة التحقيق العلمية في المجمع العالمي لأهل البيت (ع) ٢٠٣

□ من آثار الفرق

* الجمهورية الإسلامية في إيران :

الحل الصحيح للقضية الفلسطينية ٢٢١

* فلسطين: ثقافة المقاومة والاستشهاد «حقائق وأرقام» ٢٢٧

* الصين : القمع والتصفية ومحق الهوية الإسلامية لمسلمي

تركستان الشرقية ٢٤٤

* أميركا: من وراء أحداث ١١ سبتمبر؟ ٢٤٨

* شمال أوروبا: ظاهرة الإنتحار بين الشباب اليافعين ٢٥٦

..... إعداد: قسم الأرشيف

□ رسائل وتقارير

* رسائل القراء

..... إعداد: قسم العلاقات ٢٥٩

الإرهاب بين ثقافتين ثانياً: الإرهاب في الثقافة الإسلامية

✽ بقلم رئيس التحرير

في معرض بحثنا عن الإرهاب كمصطلح وشعار الذي أخذ الاستكبار العالمي ومؤسساته الإعلامية والثقافية تتداوله بشكل عشوائي، ودون ضابط وحدود موضوعية.



كانت كلمتنا في العدد السابق عن الإرهاب في الثقافة الغربية، وخلصنا فيها إلى أن استعمالها لمصطلح الإرهاب «Terrosim» لغوياً وتاريخياً منحصرٌ بحالات الفزع والرعب والهول، الملازمة عادةً للقتل والتعذيب ومصادرة الأموال وأمثال ذلك. وأن فلسفتها ومبانيها الأيديولوجية قائمة على مبادئ التمييز العنصري المتطرف، والاستعلاء العرقي المفرط والصدام بالقوة مع الآخر، أي أنها قائمة على مبدأ الإرهاب الملازم للاضطهاد والاستعباد للآخر، أو إلغاءه بالتصفية

العرقية. وأن التجربة التطبيقية المستمرة في الغرب لهذه الفلسفة والمبادئ دليل صارخ على الإرهابية البشعة للثقافة الغربية العنصرية ومؤسساتها المختلفة، ولا يسترها بريق شعاراتها الزائفة وإعلامها المخادع^(١).

وفي كلمتنا لهذا العدد سنتناول الإرهاب في الثقافة الإسلامية.

ثانياً - الإرهاب في الثقافة الإسلامية :

الإرهاب في اللغة: إن كلمة (الإرهاب) مشتقة في اللغة العربية من مادة (رَهَبَ) بالكسرة، فيقال: يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرُهْباً بالضم وَرَهْباً بالتحريك أي خاف، وَرَهَبَ الشيءَ رَهْباً وَرَهْباً وَرَهْبَةً: خافه.

ويتعدد المعنى في حالات منها: ما لو كان بصيغة الفعل المزيد (أَرْهَبَ) أو الفعل المضعف (رَهَبَ) فهي بمعنى خَوْفٍ، فيقال: أَرْهَبَ فلاناً أو رَهَبَ فلاناً: أي خَوْفه. وعندما يأتي بصيغة الفعل المجرد من نفس مادة (رَهَبَ): يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرُهْباً وَرَهْباً فيعني خاف، فيقال: رَهَبَ الشيءَ رَهْباً وَرَهْبَةً أي خافه، أما لو جاء بصيغة الفعل المزيد بالتاء وهو: (تَرَهَّبَ) فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشتق منه الراهب والرهينة والرهبانية.. وأمثالها. وإذا ما استعمل الفعل (تَرَهَّبَ) متعدياً؛ فسيكون توعداً، فيقال: تَرَهَّبَ فلاناً أي توعده^(٢).

أما في القرآن الكريم (باعتباره المصدر المطلق للغة العربية والثقافة الإسلامية)؛ فقد استعمل مصطلح (الإرهاب) في صيغ مختلفة الإشتقاق من نفس المادة اللغوية (رَهَبَ). ففي معنى الخوف والفرع وردت

(١) راجع: المقدادي، فؤاد كاظم - رسالة الثقلين العدد ٤٢ السنة الحادية عشرة.

(٢) راجع مادة (رهب) في كلٍّ من: المنجد في اللغة، لسان العرب لابن منظور، المعجم الوسيط.

مشتقات مادة (رَهَبَ) عشر مرّات في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، وبمعاني متعددة كالتالي :

أولاً: استعملت بمعنى أخلاقي كماله في العلاقة بين العبد واللّه سبحانه، كالخشية والخوف من اللّه تعالى والفرع إليه، والآيات التي ورد فيها هذا الاستعمال هي :

أ - (يرهبون): ﴿ولما سكّت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي سُخفها هدًى ورحمةً للذين هم لربهم يرهبون﴾^(١).

ب - (فارهبون): ﴿يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإنيّ فارهبون﴾^(٢)، ﴿وقال اللّه لا تتخذوا إلهين اثنين إنّما هو إله واحد فإياي فارهبون﴾^(٣).

ثانياً - استعملت بمعنى إدخال الخوف في قلب العدو أو إخفاءه عنه، وهو ما يسمّى في الاصطلاح الحديث بالحرب النفسية (الإعلامية)، وهي ليست مقترنة بالضرورة بالقتال أو إراقة الدماء وما شاكل ذلك، كما لو كان لإعداد القوة الدفاعية التي تُدخل الرهبة في العدو؛ حتّى لا يتجاوز ويعتدي. والآيات التي ورد فيها هذا الاستعمال هي :

أ - (ترهبون): ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو اللّه وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم اللّه يعلمهم...﴾^(٤).

ب - (رَهْبَةً): ﴿لأنتم أشدُّ رهبةً في صدورهم من اللّه ذلك بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾^(٥).

(١) الأعراف: ١٥٤.

(٢) البقرة: ٤٠.

(٣) النحل: ٥١.

(٤) الأنفال: ٦٠.

(٥) الحشر: ١٣.

ج - (استرهبوهم): ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرهَبُوهم وجاءوا بسحر عظيم ﴾ (١).

د - (الرَّهْب): ﴿ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ (٢) فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٣).

ثالثاً - استعملت بمعنى الرهبانية، وهي الانقطاع للعبادة في الصومعة، والآيات التي ورد فيها هذا الاستعمال هي:

أ - (رهبانهم): ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤).

ب - (الرهبان): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.. ﴾ (٥).

ج - (رهباناً): ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٦).

د - (رهبانية): ﴿ .. وَرُهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٧).

مع العلم أن ما ذكرناه من الاستعمالات القرآنية لمشتقات (رَهْب)

(١) الأعراف: ١١٦.

(٢) واضمم إليك جناحك من الرَّهْب: أي أخفي الخوف عن العدو/ راجع: تفاسير القرآن الكريم الآية الشريفة، منها: شبر، السيد عبد الله - تفسير القرآن الكريم: ٣٧٣.

(٣) القصص: ٣٢.

(٤) التوبة: ٣١.

(٥) التوبة: ٣٤.

(٦) المائدة: ٨٢.

(٧) الحديد: ٢٧.

ينطبق أيضاً على الاستعمالات في نصوص الحديث الشريف .
ونستخلص مما سبق أن استعمال مصطلح (الإرهاب) وما اشتق من
مادة (رَهَب) في اللغة العربية والثقافة الإسلامية لا ينحصر في الدلالة
على الخوف والفرع والرعب كما هو في اللغة والثقافة الغربية، ولو
استعمل في هذه المعاني فليس بالضرورة أن يكون مقترناً بالقتل وإراقة
الدماء والتعذيب ومصادرة الأموال وأمثالها، كما هو الأصل في الإطلاق
الاستعمالي في اللغة والثقافة الغربية .

الإسلام والإرهاب :

وبعبارة أخرى، هل تشتمل أصول الإسلام وأحكامه ومبانيه على ما
يلزم منه عدوان أو إرهاب ؟

للإجابة على هذا السؤال نستعرض باختصار أهم الاصول والمباني
العقائدية والتشريعية للإسلام ذات العلاقة بموضوعنا؛ لنعرف هل أنها
تشتمل على هامش من العدوان أو الإرهاب أو أنهما لازم لها أم لا؟:

١- إن من الاصول الأولية التي يقوم عليها الإسلام والدعوة
الإسلامية باعتبارها دعوة للتوحيد الإلهي؛ هي أنها عالمية وخالدة
وشاملة للإنسان في كل زمان ومكان، وبعبارة أخرى إن من مباني
الإسلام الأساسية هي أن يكون خطابه شاملاً للبشرية جمعاء، وممتداً
في عمود الزمان إلى قيام الساعة، وإن دعوته إلى إقامة العدل الإلهي
وتحقيق السعادة الحقيقية للإنسان قائمة على الدليل والحجة التامة التي
يجب أن يصل بيانها إلى كل إنسان في كل زمان ومكان، وقد صرح
القرآن الكريم بهذا في قوله تعالى :

﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت...﴾^(٣).

وأن الوعد الإلهي حتمي بظهور هذه الدعوة واستطالتها على غيرها من الدعوات، لكونها دعوة الفطرة الإنسانية السليمة لهدى التوحيد ودين الحق وفرقان العقل بين الحق والباطل، ولا يكون كذلك بغير الدليل والبرهان والحجة البالغة، وهذا ما تؤكد عشرات الآيات في القرآن الكريم، كقوله تعالى:

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾^(٤).

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾^(٥).

﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾^(٦).

﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٧).

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) سبأ: ٢٨.

(٣) النحل: ٣٦.

(٤) التوبة: ٣٢ والصف: ٩.

(٥) الفتح: ٢٨.

(٦) الفرقان: ١.

(٧) النساء: ١٦٥.

﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم...﴾^(١).

﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...﴾^(٢).

﴿إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾^(٣).
 ﴿وبالحق أنزلناه وبحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً * وقرآناً فرقناه
 لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾^(٤).
 ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾.

٢- إن عالمية الإسلام القائمة على مبدأ التوحيد العالمي وشمولية خطابه لكافة البشرية في كل زمان ومكان؛ يلزمها عقلاً حق البيان وحق المطالبة بإزالة الموانع والعقبات التي توضع في طريق وصولها إلى كل إنسان، وبعبارة أخرى أنها تملك الحق في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والحوار بالدليل والحجة البالغة، لقوله تعالى: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾^(٥). ولو حيل بينها وبين أن يصل خطابها وبيانها إلى الأمم والشعوب، فلتلك الشعوب والأمم الحق في إزالة تلك الموانع والعقبات، والانتفاض في وجه الطغاة الذين يحولون بينهم وبين وصول الحق إليهم ومعرفتهم به؛ بل ولهم الحق بالاستنصار وطلب العون من حملة رسالة هذه الدعوة؛ من أجل تحقيق هدفهم الذي يصبون إليه. وأكثر الآيات دلالة على هذا الحق هي الآيات التي تحكي لنا قصة

(١) إبراهيم: ٤.

(٢) الحديد: ٢٥.

(٣) المزمل: ١٥.

(٤) الإسراء: ١٠٥-١٠٦.

(٥) النحل: ١٢٥.

موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى... إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ قال ربي اشرح لي صدري * ويسر لي أمري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي * أشد به أزي * وأشركه في أمري... قال قد أوتيت سؤلك يا موسى... إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى * إذهبوا إلى فرعون إنه طغى * فقولاً له قولاً لينا لعنه ينذكر أو يخشى﴾ (١).

﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأه من أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين﴾ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ (٢).

﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ ونريد أن نمن على الذين اسضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ (٣).

٣- ومن الحقوق الأولية التي تترتب أيضاً على عالمية الإسلام والدعوة الإسلامية هو حق إقامة حكومته ودولته لمن أعلن القبول به بإعلان إسلامه، وعلى من كان داخل بلدانهم (دار الإسلام) من أهل الكتاب، وليس لأحد سلبهم هذا الحق؛ وإلا كان معتدياً جائراً وطاغوتاً ظالماً، وللمسلمين كل الحق في دفع هذا العدوان والجور والظلم الذي حاق بهم ويريد سلبهم حقوقهم الأولية فيما يعتقدون. ويفصح القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن هذا الحق الأولي، منها قوله تعالى:

(١) طه: (٩، ٢٤-٣٢، ٣٦، ٤٢-٤٤).

(٢) يوشع: ٨٣-٨٦.

(٣) القصص: ٤-٦.

﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾^(١).
 ﴿ ... وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند
 المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين * فإن
 انتهوا فإن الله غفور رحيم ﴾^(٢).

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على
 الظالمين ﴾^(٣).

﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
 بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾^(٤).

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من
 ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
 صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره
 إن الله لقوي عزيز ﴾^(٥).

﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون
 عليهم حسرة ثم يُغلِبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون * ليميز الله الخبيث من
 الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم
 الخاسرون * قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت
 سنت الأولين * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله
 بما تعملون بصير ﴾^(٦).

(١) البقرة: ١٩٠.

(٢) البقرة: ١٩١ - ١٩٢.

(٣) البقرة: ١٩٣.

(٤) البقرة: ١٩٤.

(٥) الحج: ٣٩ - ٤٠.

(٦) الأنفال: ٣٦ - ٣٩.

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴿ (١) .

٤ - من اصول الإسلام وفق مدرسة أهل البيت عليه السلام أن الولاية والحاكمية المطلقة على الناس هي لله وحده لا شريك له، وهي ولاية ذاتية له سبحانه، إلا أنه تعالى يمنح الولاية والحاكمية الشرعية بالنص الخاص لمن اصطفى من خلقه ممن ارتقى إلى أعلى مراتب الكمال الإنساني فينصبه بالجعل والاعتبار ولياً وحاكماً على الناس خليفة له سبحانه، وبهذا تكتسب ولاية الولي وحكومة الحاكم المعين شرعيته من خلال ذلك النص الإلهي الخاص، وهذا ما تحقق لنبيينا محمد عليه السلام ولأئمة الإثني عشر من أهل بيته عليهم السلام، وتسري شرعية الولاية والحاكمية بالنص العام للفقهاء الجامعين للشرائط الشرعية في حال عدم حضور الولي المعصوم، المنصوص عليه بالنص الخاص، إلا أن هذا الولي والحاكم رغم شرعيته المنصوصة من الله سبحانه مباشرة بالنص الخاص أو بواسطة الرسول عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام بالنص العام؛ سوف لا تنبسط يده في الأمة إلا بالتزامها وتعهدا بالولاء والطاعة له، وتعتبر الأمة عاصية لأمر الله ورسوله لو لم تلتزم بذلك، وحينئذ يتوجب على من له منصب وصلاحيه الولاية والحاكمية الشرعية أن يعمل على توعية الأمة وإرشادها إلى ضرورة الإلتزام بالولاية الشرعية والبيعة والطاعة لها، خصوصاً عندما لا تتوفر لديه عوامل القوة لردع من يتأمر ويوقف

(١) الممتحنة: ٨ - ٩ .

حائلاً بين الأمة وبين إعلان ولائها له . وهذا ما حصل للإمام علي عليه السلام الذي نصّ القرآن الكريم والرسول الأمين صلى الله عليه وآله له بالولاية الشرعية بعد الرسول صلى الله عليه وآله، فمُنعت الأمة عن مبايعته، ولم يجد من يقوم بهم لردع من يمنع عن إقامتها؛ فارتكن جانباً خمساً وعشرين سنة، يعمل على إرشاد الأمة وتوعيتها على حقيقة الولاية الشرعية، والفاروق الحق بينها وبين من تقتصصها بغير حق شرعي، وعندما آلت الأمة إليه وانثالت عليه تبايعه؛ نهض بها وأقام أركان حكومته الشرعية، وحينها كانت لديه القدرة بالأمة الغالبة على ردع من تأمر لنكث بيعتها في حرب الجمل، والقاسطين عن الحق والأمة لإسقاط حكومته الشرعية في حرب صفين، والمارقين عن الدين والأمة والولاية الشرعية في حرب النهروان .

وعندما اعترت الأمة الشبهات وضعت إرادتها، فانتكست بعد حكومة الإمام علي عليه السلام اضطر الإمام الحسن عليه السلام للصلح مع معاوية الخارج عن الولاية الشرعية، لعدم توفر شروط القوة لدى الحكومة والولاية الشرعية المقومة بطاعة الأمة وانقيادها إليها، وحقناً لدماء الصفة من أتباع أهل البيت عليه السلام^(١).

كما اضطر الأئمة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء على يد الخلافة الأموية اللاشرعية^(٢) للعودة إلى منهج التوعية والتربية، والإعداد للأمة للارتباط بولايتها الشرعية، والعمل على تهيئة عوامل الظفر بشروط إقامة حكومتهم الإلهية العادلة .

وخلاصة القول هنا هي: أن للولاية والحكومة وصفين، أولهما:

(١) يراجع: آل ياسين: صلح الإمام الحسن (ع) وغيرها من المصادر ذات الاختصاص.

(٢) يراجع: شمس الدين: ثورة الإمام الحسين (ع) وغيرها من المصادر ذات الاختصاص.

الشرعية التي تُجعل وتمنح من الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ وأهل بيته ﷺ بالنص الخاص، ومنهم ﷺ للفقهاء العدول الجامعين للشرائط الشرعية بالنص العام. وثانيهما: فعلية امتلاك القدرة على بسط يدها وحكومتها من خلال تولي الأمة، وطاعتها للولي والحاكم الشرعي. إذ لا تتحقق للحكومة الشرعية قدرة النفوذ بالقهر والإكراه؛ بل بالانقياد والطاعة القائمين على الإيمان والولاء. وهذان الوصفان (الشرعية وقدرة النفوذ بانقياد وطاعة الأمة القائمان على الإيمان والولاء) لا يتحققان في الحكومات الوضعية، إذ لا أساس شرعياً ولا عقلياً ولا قدرة نفوذ حقيقية لها؛ بل أنها تصل إلى سدة الحكم، وتستمر فيه بالخداع والتزوير والتضليل والتحميل والقهر والقوة^(١).

٥- إن الإسلام وفق مباني مدرسة أهل البيت ﷺ يشترط في الحاكم الشرعي المنصوص بالنص الإلهي الخاص العصمة من السيئات كالنبي محمد ﷺ والأئمة الاثني عشر من أهل بيته الطاهرين ﷺ، ويشترط العدالة بأعلى درجاتها في الولي الفقيه المنسوب حاكماً بالنص العام عند عدم حضور المعصوم ﷺ. ومن العلل الضرورية لهذا الشرط هو ضمان عدم وقوعه في الظلم، وعدم سوء استخدامه لموقع الحكومة والحاكمية المقدّس والخطير الذي وضعه الإسلام فيه، وعدم سوء استخدامه للقدرة والسلطة التي تمكنهما الأمة الإسلامية له من خلال التزامها بالواجب الشرعي بالانقياد والطاعة له، ووضع القدرات المادية والاجتماعية الهائلة بين يديه. ولهذا نجد أن الإسلام يسلب شرعية أي حاكم لا يتمتع بالعصمة في حالة حضور

(١) بُحث ذلك مفصلاً في مضامنه، وعلى سبيل المثال راجع: المقدادي، فؤاد كاظم - كلمة التحرير - رسالة الثقلين العدد ١٤ السنة الرابعة والمقدادي، فؤاد كاظم - أهل البيت (ع) ومصلحة الإسلام العليا والحائري، السيد كاظم - أساس الحكومة الإسلامية.

المعصوم، أو لا يتمتع بالعدالة المانعة عن الوقوع في الظلم والجور في حالة عدم حضور المعصوم، وبهذا يضمن الإسلام عدالة حكومته وقسطها، ويمنع عنها الوقوع في الظلم والجور .
ومن أبرز الآيات القرآنية التي تصرّح بهذا الشرط الضروري هي قوله تعالى :

﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١) .

وقوله تعالى في تنزيه الرسول وأهل بيته عليهم السلام وعصمتهم: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٢) .

وقوله تعالى في بيان وظيفة حكومة العدل الإلهي: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٣) .

٦- إن اعتناق فطرة الإنسان وانطلاق عقله بإدراك سليم في مدارج الفكر والمعرفة لا يتحقق بأفضل صورته إلا في رحاب حكومة العدل الإلهي، وظلّ سلطة الإسلام وعلوه، حيث يصبح الإنسان طليقاً أمام الحقائق؛ يتعايش مع الدليل والبرهان بلا إرهاب ولا موانع ولا أوهام ولا تزوير وخداع، إذ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤)، فينفتح عقله وتشرق نفسه بنور الله وهديه؛ فيتحقق له قوله تعالى في

(١) البقرة: ١٢٤ .

(٢) الأحزاب: ٣٣ .

(٣) الحج: ٤١ .

(٤) البقرة: ٢٥٦ .

قرآنه الكريم: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾^(٢).

أمّا في ظلّ سلطان الكفر وحكومة الطاغوت وبسبب نزعة الطغاة والحكام فيها نحو الاستكبار والطغيان؛ فستتحول حرية الفكر والبيان بالدليل والبرهان إلى تزوير وتضليل وكذب وخداع، وتتحول حرية الإرادة والاختيار إلى إكراه وقهر وإرهاب، وهو مصداق قوله تعالى فيما كان عليه فرعون مع قومه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٣).

وقوله تعالى عند تحذيره رسوله ﷺ من إرهاب المشركين وتضليلهم له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يوقنون﴾^(٤).

وقوله تعالى في وصف المستكبرين والجبابرة: ﴿الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٧)، وقال تعالى في صفة الجائرين المعتدين: ﴿الَّذِينَ

(١) الروم: ٣٠.

(٢) البقرة: ١٣٨.

(٣) الزخرف: ٥٤.

(٤) الروم: ٦٠.

(٥) غافر: ٣٥.

(٦) الجاثية: ٢٢.

(٧) الأنعام: ١٢٥.

يَكْذِبُونَ بيوم الدين * وما يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ .

وبهذا سيحوّل هؤلاء الطواغيت الأمم والشعوب عن مسار فطرتهم السليمة، ويخرجونهم من نور الحق والهدى إلى طاغوت الباطل والضلal، وقد أشار القرآن الكريم صريحاً إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (٢) .

ولا نحتاج إلى سرد الشواهد الكثيرة التي ملأت آفاق دول ومجتمعات الجاهلية المعاصرة؛ سواءً منها الغربية أو الشرقية الخاضعة لها، فالشعوب والأمم تكتوي بنار ظلمها حائرة بضلالها متخبطة بظلماتها .

٧- ومن الحقائق الساطعة في الإسلام هو أن مشهور فقهاء مدرسة أهل البيت (عليه السلام) لا يقولون بالجهاد الابتدائي في عصر حضور المعصوم (٣) وأن أحكام الجهاد الدفاعي تلزم المسلمين بعدم البدء بالقتال؛ يقاتلون من بدأهم بالقتال ويردّون العدوان على من بدر به، وقبل كلّ ذلك يجب أن لا ينسوا دعوتهم الإلهية وهدفهم التوحيدي؛ فيدعوهم إلى الإسلام وأن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يقبلوا بكلمة سواء تجمعهم وإياهم وهي كلمة التوحيد الخالدة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، حكاية عن قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٤)، ولقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) الشهير: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلَحُوا» (٥) .

فإن لم يستجيبوا إلى ذلك وبدأوا بالقتال والعدوان ثم تمكّن

(١) المطففين: ١١ - ١٤ .

(٢) البقرة: ٢٥٧ .

(٣) باستثناء بعض الأعلام المتأخرين، يراجع مثلاً: النجفي، الشيخ محمد حسن - جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام (باب الجهاد) والحائري، السيد كاظم - الكفاح المسلح في الإسلام .

(٤) آل عمران: ٦٤ .

(٥) بحار الأنوار ج ١٨ باب ١ رواية ٣٢ .

المسلمون منهم واستطالوا عليهم؛ فلا يجهزوا على جريح ولا يقتلوا أسيراً ولا طفلاً ولا امرأة ولا شيخاً إلا إذا كان محارباً، ولا يعقروا حيواناً نافعاً ولا يتلفوا زرعاً ولا يقطعوا شجرة مثمرة.. الخ إنما تكليفهم منحصراً بقتال المحارب وردّ عدوان المعتدي، فإن انتهوا عن قتالهم وعدوانهم؛ فلا قتال ولا عدوان عليهم. وقد صرح القرآن الكريم بذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يقاتلونكم وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١).

﴿... وَلَا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتّى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾ فإن انتهوا فإن الله غفورٌ رحيم (٢).

﴿وَقَاتلوهم حتّى لَا تكون فتنةً ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ (٣).

﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (٤).

وورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ في أحكام الجهاد والقتال قوله: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلّوا ولا تمثّلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبيّاً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيّما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتّى يسمع كلام الله، فإن تبعهم فأخوكم في الدين، وإن أبى

(١) البقرة: ١٩٠.

(٢) البقرة: ١٩١ - ١٩٢.

(٣) البقرة: ١٩٣.

(٤) البقرة: ١٩٤.

فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله»^(١).

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «إن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة ثم يقول: لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا متبتلاً في شاهر، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً؛ لأنكم لا تدرون لعكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم مما يؤكل لحمه إلا ما لا بد لكم من أكله...»^(٢).

ومن وصايا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لجيش المسلمين قال: «لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا مغوراً»^(٣)، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات...»^(٤).

٨- إن الإسلام يكرم الإنسان ويضمن حقوقه كاملة بما لم تضمنه أية لائحة تدعي حقوق الإنسان، فالكرامة الإنسانية نجدها في آخر لائحة وضعية لحقوق الإنسان محدودة في دائرة الأصل الأولي للإنسان، كموجود وكائن عاقل في هذه الحياة، في حين أن الإسلام لا يقصر الكرامة الإنسانية على الأصل الأولي للإنسان؛ بل يرى فيها قيمة متحركة مع الإنسان في جميع أطوار ومراحل سيره الإنساني في هذه الحياة، فيرى لها رتبتين:

الأولى: قيمة أولية مشتركة بين بني الإنسان: ﴿ولقد كرمنا بني آدم

(١) الوسائل: باب ١٥ من أبواب جهاد العدو - ح ٢.

(٢) الوسائل: باب ١٥ من أبواب جهاد العدو - ح ٣.

(٣) المغور: الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها؛ وأصله أغور أي أبدى عورته.

(٤) نهج البلاغة: الوصية ١٤ من كتب وصايا أمير المؤمنين (ع).

وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً^(١).

الثانية: قيمة مكتسبة، يحصل عليها الإنسان بحركته التكاملية ضمن مساريها المعنوي الخلاق للنفس الإنسانية، والتصديقي العملي البناء للحياة الإجتماعية؛ فإنّ أيّ وجدان إنساني يدرك أن هناك فرقاً كبيراً بين فردٍ عظيم بعلمه وخصاله الأخلاقية العالية، التي اكتسبها بجهدهِ وجهاده، والتي ملّكته قدرة أداء دور إنساني بناءً وإصلاحٍ كبير في بناء الحياة وإثرائها، وبين فردٍ عاديٍّ لم يكتسب شيئاً من ذلك، ولم يترك أثراً بناءً في الحياة، بل وفرق أكبر بين الأول وبين فردٍ شرير طاغية، يعيث في الأرض فساداً: ﷺ قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور^(٢).

فهناك في الإسلام ميزة وحقوق للكرامة الإنسانية المكتسبة، لا تجدها في لوائح حقوق الإنسان الوضعية كما هي في الإسلام، كميزة وحقوق الكرامة للعلماء: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾^(٣)، وللمؤمنين: ﴿وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾^(٤)، وللاتقياء: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(٥)، وللعاملين والمجاهدين: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وتلاً وعد الحسنّى وفضل الله المجاهدين على

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) الرعد: ١٦.

(٣) الزمر: ٩.

(٤) الأحزاب: ٤٦.

(٥) الحجرات: ١٣.

القاعدين أجراً عظيماً^(١)، وأمثال ذلك من الامتيازات والحقوق .
فالإسلام يبني الحياة الاجتماعية والأخلاقية للإنسان في إطار الأمم
والمجتمعات على قيمتين أساسيتين :
القيمة الأولى: قيمة التناظر والتماثل في الأصل الإنساني الأولي بين
الشعوب والأمم: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً
وقبائل لتعارفوا﴾^(٢)، ﴿ولقد كرمنا بني آدم... وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلاً﴾^(٣).

القيمة الثانية: قيمة التكريم والتفاضل الإنساني المكتسب بين الناس
أفراداً وجماعات: ﴿... إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(٤)، وهي قيمة مكتسبة
بالسعي والكفاح، يصل إليها بنو الإنسان أفراداً وشعوباً وأمماً،
ويمتازون بها فيما بينهم، وتترتب لهم بها حقوق إضافية؛ بل
ويتفاضلون على أساسها في الحقوق والواجبات، وبهذا امتازت وفُضِّلَت
أمة الإسلام المحمدي الأصيل^(٥): ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾^(٦).

ولهذا نجد في ظلّ حكومة الإسلام ودولته العادلة تتعايش مع
نظرائهم المسلمين جميع الأقليات الدينية من أهل الكتاب (نصارى،
ويهود، وصابئة... وغيرهم من أهل الكتاب) بأمان وحرية فكرية ودينية
 واجتماعية، وينطلق المسلمون في ذلك من التزامهم بالواجب الشرعي

(١) النساء: ٩٤.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) الإسراء: ٧٠.

(٤) الحجرات: ١٣.

(٥) لمزيد من التفصيل في حقوق الإنسان في الإسلام راجع: المقداوي، فؤاد كاظم - كلمة التحرير
مجلة صوت الإسلام - العدد ٢٠ (٤)، للسنة الأولى.

(٦) آل عمران: ١١٠.

والإنساني الذي شدّهم إليه وألزمهم به الإسلام. ومما ورد في ذلك ما جاء في الحديث عن أيام حكومة أمير المؤمنين عليه السلام: وهو أنه: «مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين هذا نصراني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعمتموه، أنفقوا عليه من بيت المال»^(١).

ولم يقتصر الإسلام على إعلان مبدأ التعايش السلمي فكرياً ودينياً واجتماعياً مع الأديان السماوية الأخرى، خصوصاً في ظلّ الحكومة الإسلامية؛ بل أمر بالدفاع عن مؤسساتهم الدينية المشرّعة في دياناتهم، كالصوامع والبيع والصلوات وما في حكمها، ويرى ضرورة الاحتفاظ بها إلى جنب الدفاع والمحافظة على مساجد ومشاهد المسلمين المقدّسة، وقد صرّح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾^(٢).

ولا يقتصر التعايش السلمي، والتعاون في المجالات الإنسانية المختلفة بين المسلمين والأقليات الدينية الأخرى من أهل الكتاب، خصوصاً داخل المجتمع والدولة الإسلامية؛ بل يتعداه إلى العلاقات الخارجية وعموم المجتمعات العالمية بمختلف دياناتهم وقومياتهم، على أساس من الاحترام المتقابل والمنافع المتبادلة والحقوق الإنسانية الأولية المشتركة، وهو مفاد قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين...﴾^(٣).

(١) الوسائل باب ١٩ من أبواب جهاد العدو - ح ١.

(٢) الحج: ٤٠.

(٣) الممتحنة: ٨.

الخلاصة :

١- إن استعمال مصطلح (الإرهاب) وما أُشتقَّ من مادة (رَهَبَ) في اللغة العربية والثقافة الإسلامية لا ينحصر في الدلالة على الخوف والفرع والرعب كما هو في اللغة والثقافة الغربية، ولو استعمل في هذه المعاني فليس بالضرورة أن يكون مقترباً بالقتل وإراقة الدماء والتعذيب ومصادرة الأموال وأمثالها، كما هو الأصل في الإطلاق الاستعمالي في اللغة والثقافة الغربية^(١).

٢- إن الإسلام ينطلق في أصوله ومبانيه وأحكامه من فطرة الإنسان الأولية التي فُطر عليها ليعلن مبدأ التوحيد العالمي؛ فيصدع بدعوته العالمية وسلاحه الأولي هو: الدليل والبرهان والحجة البالغة، ومن حقّه الدفاع عن مبدئه الفطري (التوحيد) إزاء أيّ عدوان أو إرهاب يهدف إلى انتزاعه منه، وله الحق في إزالة أيّ مانع أو عقبة يضعها الطغاة والمستكبرون في طريق إعلان مبدئه هذا، وبيانه لكل الناس بأهمها وشعوبها وقبائلها، لأن دعوته للتوحيد هي خطاب الفطرة الإنسانية التي فُطر عليها كلّ إنسان، ومن حقّه أن يقيم دولة التوحيد في المجتمعات والبلدان التي أسلمت لهذا المبدأ وآمنت به .

ويشترط في دولة العدل الإلهي العصمة أو العدالة بأعلى مراتبها في الحاكم الإسلامي؛ ضماناً لعدم الانحراف والظلم والعدوان، ويجب على المسلمين إعلان التولي والتسليم والطاعة له لتحقيق شرط الاقتدار وانسباط اليد، وإن لم يفعلوا ذلك فقد عصوا، إذ لا تتحقق للحكومة

(١) راجع: المقدادي، فؤاد كاظم - كلمة التحرير - رسالة النفلين العدد ٤٢ السنة الحادية عشرة.

الشرعية قدرة النفوذ في الأمة بالقهر والإكراه؛ بل بالإنقياد والطاعة
القائمين على الإيمان والولاء. وتتحقق في ظلّ حكومة الإسلام كل أجواء
الإنطلاق الإنساني السليم للمجتمع في مجالات الفكر الخلّاق والحرية
البنّاءة والتجربة العملية الرائدة، ويُلزم المسلمون بعدم الظلم والعدوان
والإثم؛ بل بالردّ إذا تعرّضوا للظلم والعدوان والإثم، وأن يتعايشوا في
ظلّ دولة الإسلام مع الأقليات الدينية الأخرى من أهل الكتاب، ويحفظوا
حقوقهم بالأمن الاجتماعي والسياسي والإقتصادي وحرية الفكر
والعبادة؛ بل ويدافعوا عن صوامعهم ويبيعهم وصلواتهم، كما يدافعون
عن مساجدهم. ويرسم الإسلام للمسلمين ودولتهم نهج العلاقات العامة
مع باقي المجتمعات والدول المختلفة على أساس من الإحترام المتقابل،
والمنافع المتبادلة وحماية الحقوق الإنسانية المشتركة.

وزبدة القول: أن لا موقع للعدوان ولا الإرهاب العدواني في أصول
ومباني وأحكام الإسلام العظيم.

وبقي لنا أن نستعرض ونقوّم التجربة التاريخية الإسلامية، وهل
اشتملت على عدوان وإرهاب عدواني أم لا؟ ونميط اللثام عن المقاطع
التاريخية من التجربة التي تنتسب بحق إلى الإسلام، والمقاطع التاريخية
من التجربة التي لا تنتسب بحق إلى الإسلام. وهذا ما سيكون موضوع
كلمتنا القادمة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين



على عليّ والحكم... معالم مسيرة الدولة الإسلامية

﴿ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الفاضل «دام ظلّه»﴾

من خطابين لولي أمر المسلمين وقائد الأمة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي «دام ظلّه»: الأول بمناسبة ذكرى استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بتاريخ ٢١ / رمضان / ١٤٢٢ هـ ق في صلاة الجمعة في طهران، والثاني بمناسبة ذكرى استشهاد الشهيدين رجائي وباهنر في اسبوع الحكومة بتاريخ ٢ / جمادى الثانية / ١٣٢٢ هـ ق في طهران.

سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم

قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء

مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾.



اليوم يوم استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام ويوم استذكار المقام الشامخ لإمام المتقين والزاهدين ، وفي البداية أدعوكم جميعاً أيها المستمعون

والمصلون الأعزاء للالتزام التقوى ؛ فإن أردنا أن يكون أمير المؤمنين إمامنا؛ فلنكن مؤمنين ومتقين ، فهو إمام المتقين والمؤمنين .

مما يستحيل نسيانه بخصوص أمير المؤمنين (عليه السلام) تلك المعالم العملية والسلوكية التي تجلت خلال البرهة الوجيزة من حكمه (عليه السلام) على امتداد البلاد الإسلامية الشاسعة وخلدها التاريخ . إن للمراتب المعنوية والشمائل الأخلاقية والشخصية التي تحلّى بها هذا الرجل العظيم شأنها؛ فلو راجعتم المصادر ستجدون فصولاً مسهباً تتعرض لبيان ملامح أمير المؤمنين ، فعلمه وتقواه وشجاعته وسابقته في الإسلام وزهده وما شابه ذلك ، كلها مما يفوق مستوى الحصر المتعارف ومن العظمة ما يثير الدهشة ، وكل منها كالشمس الساطعة في بريقها ، بيد أن ما أراه يسمو عليها جميعاً هو سيرة هذا الحكيم في الحكم التي تعد موضع امتحان جوهرى ، حيث تصبح السلطة بيد أمير المؤمنين وهي سلطة تمتد على بقعة شاسعة في البلاد ؛ فلتكن هذه السيرة الفريدة من نوعها والتي تثير الإعجاب قدوة لنا ؛ وكل المطلعين على سيرته (عليه السلام) في الحكم إنما يتحسرون أسفاً على قصر مدة حكمه ، لأن هذا النهج لو قدر له الاستمرار سنوات عديدة فلربما تغير مسار التاريخ العالمي ، ولو كتب لهذا النموذج الدوام وأصبح في متناول البشرية سنوات مديدة فلربما انعطف مصيرها ولم تبرز إلى الوجود هذه القوى القائمة على الفساد والثروة والشهوة والغطرسة والإجحاف، والتي شهدها التاريخ وجرت البشرية نحو الظلمات وغياهاها .

وفي الوقت الحاضر فإن هذا النموذج ماثل أمامنا وما يشغل بالي ويستحوذ على اهتمامي أكثر من غيره هو ضرورة اقترابنا نحن في نظام الجمهورية الإسلامية من هذا الأنموذج ، ولو تحقق ذلك فسيستنعم

شعبنا الإيراني ويتبعه العالم الإسلامي بأسره والبشرية قاطبة بحكومتنا، ويجب أن تتركز كل مساعيها وجهودنا على أن نقرب من هذه النماذج .

إن حكومة أمير المؤمنين بمثابة الأسوة على صعيد إقامة العدل والدفاع عن المظلوم ومقارعة الظالم وملازمة الحق في جميع الأحوال ، ولا بد من الاحتذاء بها ؛ وهذا مما لا يبلى ، فبوسعه أن يغدو مقتدى في ظل جميع الظروف التي تمر بها الدنيا علمياً واجتماعياً لتحقيق السعادة لبني الإنسان ، ونحن لانريد تقليد ذات النهج الإداري لتلك الحقبة وندعي أنه مما يخضع للتطور الزمني ونقول باستمرار ولادة المناهج الحديثة يوماً بعد يوم ، بل إننا نصبو لاقتفاء أثر المسار الذي اختطته تلك الحكومة والذي حاز الخلود إلى الأبد ؛ فالدفاع عن المظلوم صفحة زاهرة على الدوام ؛ وعدم مسالمة الظالم ، ورفض الارتشاء من المتجبر الثري ، والثبات على الحقيقة ، كلها من الأمور التي لا يتنازل عنها في الدنيا أبداً ؛ ولها شأنها تحت ظل مختلف الأوضاع والظروف ، وعلينا الاقتداء بها لما تمثله من أصول ، وإن ما نطلق عليه الحكم الأصولي إنما يعني الاحتذاء بمثل هذه القيم الخالدة التي لا تبلى والثبات عليها .

إن أشد ما يثير حفيظة الطغاة والجبابرة في العالم هو الثبات ؛ وإنهم ليسوؤهم ما تقدمه الحكومة الإسلامية في إيران من تأييد للشعب المظلوم في فلسطين أو أفغانستان أو عدم مهادنتها لدولة مستكبرة معينة في العالم ؛ وهذا هو السبب الذي يكمن وراء ما ترونه من تناقل أيدي وأبواق أعداء هذا الشعب للأصولية كاسم قبيح! فهذه الأصول هي التي تلحق الضرر بعبادة الدنيا وجبابرتها فيناوئونها ، وهي ذات الأمور التي حورب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بسببها في حينة ، ونحن كحكومة

يجب أن تنصبّ جهودنا في هذا الاتجاه .

رب سائل يسأل : ما الداعي لأن تطرحوا هذه القضايا أمام الجماهير ؟
اصدروا التعليمات الكفيلة بأن يتطبع مسؤولو الدولة على مثل هذه
السيرة ، أو قدموا النصائح لهم .

إن هذه الأمور بأجمعها أو أغلبها لا تتأتى عبر التعليمات والأوامر ،
وإنما تتحقق عبر الإيمان والقناعة والاعتماد بالحقيقة وعبر عزيمة
وإرادة صلبة مصدرها الإيمان .

وبطبيعة الحال فإننا نعزز تلك الحالات التي تتوقف على التعليمات بما
تحتاجه ونصدر إيعازاتنا للمسؤولين بخصوص القضايا التي تتوقف
على الأوامر ، بيد أن الإيعازات والتعليمات لاتعد مفتاح حل في الأمور
جميعاً ؛ كما أننا نقدم النصيحة للمسؤولين ، غير أن النصح بدوره ليس
يكاف أيضاً .. فهذه الحقائق لابد أن تتبلور وسط المجتمع كمبدأ عرفي
وتغدو من مطالبه ؛ فعلى الجماهير في ظل النظام الإسلامي أن تطالب
المسؤولين بالتصدي للظلم والظالم والمفسد ، ويجب أن تتحول مقارعة
الظلم وعدم مساومة الظالم ورفض الاستسلام أمام العنجهية
والحفاظة على الإنسان وإنسانيته والسعي لإحقاق الحق بكل صوره
وأشكاله وميادينه إلى ملاك في قبولهم للحاكم أو المسؤول الرفيع
المستوى في النظام .

نماذج من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم

وتأسيساً على هذا فإنني أطرح هذه الأمور أمام الملأ العام مثلاً
خاطب أمير المؤمنين عليه السلام الأمة بمثل هذه القضايا ؛ فكتبه عليه السلام بالرغم من
أنها كانت موجهة إلى أشخاص معينين بيد أن الجميع كانوا يطلعون

عليها؛ وكذا الخطب التي كان ﷺ يدلي بها بمرأى من أنظار الأمة؛ وإليكم نماذج من ذلك :

في مستهل حكومته ساوى أمير المؤمنين ﷺ في تقسيم بيت المال بين الناس ، لأن الأمور سارت على مدى ما يقرب من عشرين عاماً قبل مجيء أمير المؤمنين على تفضيل البعض لسابقتهم في الإسلام أو انتمائهم للمهاجرين أو الأنصار أو ... على من سواهم ، فكان يجري تقسيم ما يجبي إلى بيت المال في غنائم وزكوات على الأشخاص فرادى ، وهكذا جرت العادة في المجال المالي يوم ذاك؛ ولم تكن على ما عليه المؤسسات الحكومية في عالم اليوم ، وكان دأبهم يومئذ تفضيل البعض في العطاء ، فجاء ﷺ وألغى ما كان سائداً ، إذ قال: من كان متديناً وأكثر إيماناً فأجره على الله ، ومن كان ذا قوة ويسعى في حياته لكسب المال فله ما كسب ، أما بيت المال فإني أقسمه بالسوية . فجاءه البعض مشفقاً محذراً من أن نتيجة ذلك ستكون الإخفاق وتدفع بالبعض إلى الوقوف بوجهك ! فردّ ﷺ : «أنا مروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟! والله أطور به ما سمر سمير وما أمّ نجم في السماء نجماً» ، فأمر المؤمنين ﷺ يرفض كسب التأييد على حساب الظلم والجور .

وفي موضع آخر يقول في كتابه المعروف إلى عثمان بن حنيف :
«ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ، ألا وإن أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعامه بقرصيه» . وهنا يشير أمير المؤمنين ﷺ إلى ملبسه ومأكله اللذين كأن يشابه بهما أفقر الناس يومها ، ويقول أنا إمامكم أعيش هكذا حياة . ثم يقول لابن حنيف: «ألا وإنكم لاتقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد» ؛ وذلك ما يخاطبنا به أمير المؤمنين ﷺ اليوم : تجنبوا المخالفات والذنوب وما كان غير مشروع ، واجتهدوا للاقترب

بأنفسكم ممّا وسعكم الوصول إليه .

مرفوض منا أن نختار مساراً يعاكس الاتجاه الذي سلكه أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فلقد كان عليه السلام ينحو باتجاه التقدير على نفسه ، أما المسؤول الرفيع المستوى في دولتنا فيجعل هدفه من تقبل المسؤولية والتكليف عمارة دنياه ! وهذا أمر مرفوض وغير ممكن ، ولقد سبق مني القول في مثل هذه الأيام من العام الماضي أننا نرفض لمسؤول كبير في نظام الجمهورية الإسلامية أن يعتبر مسؤوليته كسباً ، شأنه في ذلك كأي كاسب ، فالمسؤوليات العليا في نظام الجمهورية الإسلامية ليست كسباً ولا ثروة يسعى المرء وراءها لتدبير حياته ، ولا يحق للمسؤول في نظام الجمهورية الإسلامية النظر إلى الأعيان والأشراف والأثرياء فيقرن حياته إلى حياتهم ، ولا يحق له المقارنة بينه وبين نظائره وأقرانه في الحكومات الطاغوتية . أجل ، فالوزير أو المدير أو الرئيس في الأنظمة الطاغوتية يتمتعون بضروب خاصة من الحياة ، ولكن أن نأتي ونقارن أنفسنا بهم على أننا وزراء ومدراء فهذا مرفوض ! فالوضع في ظل النظام الإسلامي ليس كذلك ؛ إذ أن المسؤولية في النظام الإسلامي ليست طعمة ، بل هي تكليف وخدمة وواجب يطوق عنق المرء ، وهذا ما يعلمنا إياه أمير المؤمنين عليه السلام .

وفي أحد المواضع يخاطب ابن عباس قائلاً : « فلا يكن حظك في ولايتك مالا تستفيده ولا غيظاً تشتفيه » ؛ أي لا يكن ما تجنيه من ولايتك التي بعثناك إليها مالا أو نقمة تفرغها على واحد من بني البشر ، كأن تستغل السلطة ضد فرد أو فئة أو طبقة نحن على خلاف معنا ، فذلك مما لا يجوز لك ، ثم يقول عليه السلام :

« ولكن إماتة باطل وإحياء حق » ، أي أن نصيبك من هذه الحكومة أن تमित

باطلاً أو تقيم حقاً .

وجاء أحدهم عند أمير المؤمنين عليه السلام يطلب مالاً ، فيقول : «إن هذا المال ليس لي ولا لك ، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم ، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم ، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم» .

هذا هو منطق أمير المؤمنين عليه السلام في تعامله مع مثل هذه الأمور ؛ فلقد كان تطبيق العدالة والدفاع عن المظلوم والشدة مع الظالم -أيأ كان الظالم وأياً كان المظلوم - مهماً بالنسبة لأمر المؤمنين عليهم السلام .

لم يجعل أمير المؤمنين من الإسلام شرطاً للدفاع عن المظلوم ؛ فأمر المؤمنين المتمسك بالإسلام ، المؤمن من الطراز الأول ، أمير الفتوحات الإسلامية ، لم يضع الإسلام شرطاً في دفاعه عن المظلوم ؛ ففي واقعة «الأنبار» - وهي إحدى مدن العراق - حيث أغارت مجموعة من أتباع حكومة الشام على المدينة وقتلوا واليها المنصوب من قبل أمير المؤمنين وحملوا على الناس وداهموا البيوت وقتلوا عدداً من الناس ثم قفلوا راجعين ، خطب أمير المؤمنين عليه السلام تلك الخطبة التي تعد من الخطب العواصف التي وردت في نهج البلاغة ، وهي خطبة الجهاد ، حيث يقول عليه السلام : «إن الجهاد باب من أبواب الجنة» ، قاصداً فيها حث الناس على التحرك لمواجهة هذا الظلم الشنيع ، فيقول : «ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة» ، فلا فرق لدى أمير المؤمنين عليه السلام من أن تكون المرأة المعتدى عليها من أهل الكتاب - يهودية أم مسيحية أم مجوسية - أو مسلمة ، فهو عليه السلام يذكرهن بلسان حال واحد ، «فينتزع حبلها وقلبها وقلاندها ورعُتها ، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام !» ، ثم يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً ، بل كان به عندي جديراً» .

وفي كتابه المشهور لمالك الأشتر حيث يحدد له فيه طبيعة التعامل مع الناس وأن لا يكون سبباً ضارياً ، يردف كلامه قائلاً : « فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق » . وبناءً على هذا : فإن الإسلام ليس مناهياً بالنسبة لأمر المؤمنين ﷺ في دفاعه عن المظلوم وإحقاق حقوق الإنسان ، فالمسلم وغير المسلم كلاهما يتمتع بهذا الحق .

انظروا أي منطق رفيع هذا وأي لواء خفاق رفعه أمير المؤمنين ﷺ على مر التاريخ ؟ وهناك الآن نفر يهتفون باسم حقوق الإنسان في العالم زوراً ورياءً ، وهم لا يراعون للإنسان حقوقاً أبداً حتى داخل بلدانهم ، ناهيك عن سائر أصقاع الدنيا ، فحقوق الإنسان بمعناها الحقيقي تلك التي صرح بها أمير المؤمنين ﷺ وعمل بها .

إننا مكلفون باقتفاء سيرة أمير المؤمنين ﷺ

إننا اليوم مكلفون ، وفي هذا العام الذي حمل اسم « عام السيرة العلوية » ، أن نقتفي سيرة أمير المؤمنين ﷺ ، وإذا ما رفع شعار مكافحة الفساد المالي والاقتصادي فعلى كل موالٍ لأمر المؤمنين ﷺ التحرك خلف هذا الشعار ؛ وعلى كل داعية للصلاح والإصلاح بالمعنى الحقيقي للكلمة التحرك صوب هذه المهمة ؛ وعلى الأجهزة المختصة - سواء السلطة القضائية أو التنفيذية أو التشريعية - أن تعتبر نفسها مكلفة بتحقيق هذا الشعار ولا تدعه يراوح على مستوى شعار فارغ إلا من بعده اللفظي ، فمكافحة الفساد من المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الحكومة والنظام الإسلامي ، وهذا هو نهج أمير المؤمنين ﷺ ، فلم يكن ﷺ يحابي الناس حتى أولئك الذين كانوا يطمعون به ، فقد كافح الفساد حيثما وجده . إننا لا نقوى على العمل كأمر المؤمنين ﷺ ولا ندعي ذلك البتة ، ولسنا جديرين - وهذا ما أقصد به نفسي - أن نسير خلف أمير المؤمنين ﷺ ،

ولكن علينا الاجتهاد ، وعلى الجميع اعتبار ذلك من صلب واجبهم لأن تستنفر قوى الضغط لمجرد تصدي إحدى الأجهزة لحالة من الفساد أو أحد المفسدين فتثير ضجيجاً وزوبعة من شأنها إرعاب السائرين في هذا الدرب ، وينبغي - طبعاً - عدم الاهتزاز أمامها ، بل لابد من المضي قدماً في هذا الدرب ، بكل عزم ، فالله هو المعين والشعب هو سندنا .

ما أدركته هو أن لا شيء يسرّ الجماهير كتصدي نظام الجمهورية الإسلامية للعتاة والمفسدين والطامعين والنفعيين ، على طريق إحقاق الحقوق العامة لأبناء الشعب . ومجلس الشورى والحكومة والسلطة القضائية يتحملون المسؤولية في ذلك ، وعليهم المضي والتحرك في هذا السبيل ، ولحسن الحظ فإن المرء يشاهد الآن إجراءات تتخذ في هذا الاتجاه ، ولكن أشخاصاً هنا أو هناك ممن يتعين عليهم بذل معونتهم يتقاعسون أحياناً عن ذلك ، آملين أن لايدوم هذا التقاعس .

إننا حينما نحیی ذکر أمير المؤمنين (ع) فلا بد أن يكون ذلك من أجل عملنا نحن ، فلسنا قادرين على مطالبة الشعب باستمرار العمل كأمر المؤمنين (ع) ؛ فنحن اليوم حيث نتولى مسؤولية في نظام الجمهورية الإسلامية إنما نتحمل القسط الأوفر من المسؤولية وتنوء عواتقنا بتكليف جسيم ، أملاً أن يحظى المسؤولون في الجمهورية الإسلامية بهذا التوفيق كأمر المؤمنين (ع) ويخطوا ذات الدرب ويتحركوا إثر الخط والدليل الذي رسمته أنامل هذا الرجل العظيم .

آلام أمير المؤمنين (ع)

لقد عانى أمير المؤمنين (ع) مصاعب جمة في هذا السبيل - واليوم يوم شهادة ذلك الرجل العظيم - ولعل ليس هناك من سمعه يبوح بشكاواه الأصلية خلال حياته ، وإن كان (ع) كثيراً ما يشتكي القوم ويؤنبهم من

على المنبر ، ولم تقتصر شكواه على مساءلة الناس على عدم توجههم إلى ميادين الجهاد ، فلقد كان قلب أمير المؤمنين عليه السلام يعتصر ألماً ؛ ففي دعاء كميل المعروف - وهو من إنشاء أمير المؤمنين عليه السلام - يخاطب عليه السلام رب العالمين «الهي وسيدي ومولاي ومالك رقي..» ، ومن بين ما احتواه خطابه هذا المقطع الذي طرق سمعي ومخيلتي بفائق حساسيته : «يا من إليه شكوت أحوالي» ، فلقد كان عليه السلام يبتث شكواه إلى الله ، وكان فؤاده يطفح بالألم ، وكان الهاجس الذي يقلق أمير المؤمنين عليه السلام يتعلق بوضع الأمة والمجتمع ، ومسيرة الدين والاتجاه الديني في النظام الإسلامي الذي كان حديث عهد يومذاك ، وكذلك شعوره بثقل مسؤوليته التي لم يفرط بواحد من الألف منها.

لما إنهال السيف على رأس أمير المؤمنين عليه السلام وهو في محراب العبادة كانت العبارة التي سمعت منه وتناقلتها المصادر هي «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، فزت وربّ الكعبة» !فتلك الليلة التي هي بمثابة العزاء والمصيبة بالنسبة للمسلمين جميعاً ، تحولت إلى ليلة ظفر وسرور وفوز بالنسبة لأmir المؤمنين عليه السلام الذي كان على موعد معها ، ويبدو أنها كانت ليلة جمعة ؛ ففي بعض الروايات كانت ليلة التاسع عشر ليلة جمعة ، فيما تقول روايات أخرى إن ليلة الحادي والعشرين كانت ليلة جمعة ، وفي تلك الليلة أفطر عليه السلام عند أم كلثوم بالصورة التي سمعتم بها حيث اقتصر إفطاره على الخبز والملح - وهذا يعني الإفطار بخبز لوحده في واقع الأمر - حيث رُفع اللبن وبقي الخبز ، فأمضى عليه السلام تلك الليلة بالعبادة حتى الفجر؛ حيث دخل المسجد ، بعدها رفع صوته مؤذناً ونزل إلى محراب الصلاة ، وإذا بالمنادي ينادي أثناء الصلاة : «تهدمت والله أركان الهدى» ! ومن المؤكد أن الناس كانوا قد فهموا المعنى من «تهدمت أركان الهدى» ، بيد أن المنادي سرعان ما أردف تلك العبارة بأخرى ؛ توضح مفهومها إذ نادى : «قتل علي المرتضى».

أمير المؤمنين ﷺ قدوتنا

لقد أطلقنا على هذا العام عام السيرة العلوية ، فمن ذا الذي يتوجب عليه التحلي بالسيرة العلوية بالدرجة الأولى يا ترى ؟ إنه أنا وأنتم . وحيث إننا وضعنا نصب أعيننا سيرته ﷺ في الحكم لا في المنزل أو المزرعة حيث يحتقر الآبار ، إذن نحن المخاطبون بالأساس . ولقد أحسنت العلاقات العامة في الحكومة صنعاً حيث زينت أيام أسبوع الحكومة لهذا العام باسم أمير المؤمنين ﷺ ، وكان ذلك عملاً صائباً ومنطقياً للغاية .

هذا العام هو عام السيرة العلوية ، والمسؤوليات التي نضطلع بها ثقيلة، وبالذات مسؤوليتي فواضحة جسامتها ، وكذا المسؤولية التي تتحملونها أنتم كوزراء ونواب لرئيس الجمهورية ، فإن كان عملكم قوياً فسيشق بالبلاد طريق التطور ويزرع التفاؤل في نفوس الجماهير حيال النظام ، وإلا فإن كان عملكم ضعيفاً مشوهاً فإنه سيخلق المتاعب والمصاعب للشعب ويجعله متشائماً إزاء النظام . وبناءً على ذلك فإن أصل النظام هو الذي سيواجه التحدي قبل أن يتعرض أحد الوزراء أو تشكيلة الوزارة بأكملها للمؤاخذه والمساءلة من قبل الشعب ، وكمثال على ذلك أن يقال : لماذا أصبح وضع نظام المرور أو اقتصاد النظام هكذا؟ ولا يقال : لِمَ أصبح مجلس الوزراء بهذا الوضع ؟ وإنكم تلاحظون أن الإعلام العالمي يركز على هذه القضية بالذات ، وهذا هو التأثير الضمني لها .

إنها فرصة سانحة أمامكم الآن كأعضاء في الوزارة ، وكذلك بالنسبة للنظام فإنها فرصة سانحة له كتغيير وتطور مثير ومحفز ؛ فالتغيير في الحكومة واحد من الأحداث السياسية التي يشهدها المجتمع تواكبها

حالة من الإثارة والتحفز والتفاؤل ، وتمثل مرحلة ثمينة يشعر فيها الشعب بالتفاؤل لحلول منظومة جديدة وعصر جديد ونفس جديد إلى الميدان ، ولا بد من استثمار هذا الوضع النفسي بأقصى درجات الاستثمار .

ولحسن الحظ فإن التشكيلة الوزارية جاءت في الوقت القانوني المحدد لها ، وأرى لزماً عليّ أن أتقدم بالشكر لمجلس الشورى الإسلامي الذي منح الثقة لكافة الوزراء ، وبذلك فقد أسدى خدمة للوطن . ولو قدر للأمور أن تجري - لا سمح الله - كما كان يتكهن البعض حيث قالوا بعدم حصول بعض المرشحين للوزارات على الثقة؛ لما كان بمقدورنا المباشرة بمهمتنا اليوم ، فبوسعكم اليوم المباشرة بعملكم ، ولم يكن ذلك إلا من خلال معونة المجلس . وإنني أتقدم بشكري لهم ، ولقد دعوتُ لهم لما قاموا به من عمل .

ما الذي يتعين علينا القيام به الآن ؟ إن الوزارات التي سبقتكم والوزراء الذين مضوا يتحلون بنقاط قوة ويعانون نقاط ضعف ؛ فتحروا نقاط القوة والضعف فيهم ، وأسسوا بنيانكم على أساس تعزيز نقاط الضعف بشرط أن لا يقع الخلط في معرفة نقاط القوة والضعف . وأحدد تنويهي للأساليب الدعائية المفبركة المستوردة في أغلبها والتي تسعى لتصوير بعض نقاط القوة في الوزارات السابقة على أنها نقاط ضعف ، فلئن اتخذنا في فترة الحرب أو في عهد المرحوم الشهيد رجائي بعض الإجراءات على الصعيد الاقتصادي أو قمنا بأعمال في الجانب الأمني؛ فلأن حاجة البلاد كانت تقتضي ذلك، ويحاول البعض الآن الإيحاء بأن تلك الإجراءات كانت نقطة ضعف ؛ فلو أن وزراءنا في تلك الفترة أخذوا يستقلون الدراجات البخارية هم ونساؤهم ليتوجوا إلى صلاة الجمعة

بعد انتهاء فترة استيزارهم ، فإن تلك نقطة قوة وتعد من مفاخرنا ونبراساً لابد من إدامته . وإذا ما التزم وزراؤنا بالمشاركة في صلاة الجمعة والجلوس بين أوساط الجماهير والاستماع لما يقولون فتلك نقطة قوة .

قال لي المرحوم الشهيد كلانترى : كنت جالساً لأداء صلاة الجمعة ، فالتفت إليّ شخص وقال : انظر كم الزمان قد تغير ؟ قلت : وكيف ؟ فأشار إلى شخص جالس في الصف المتقدم وقال : إنه وزير . فتطلعت إلى الصف المتقدم وإذا بي أرى السيد عباس پور وزير الطاقة ، فقلت له : سأريك ما هو أعجب ، فأنا وزير أيضاً ! رحم الله الشهيد كلانترى ؛ فالذين شاهدوه وعرفوه يعرفون نشاطه وتحركه وإرادته ومنفعته ، وكان من الذين افتقدناهم في واقع الأمر .

إذا كان وزراؤنا يجوبون المناطق المحرومة ولم ينغمسوا بالروتين ونزلوا إلى أوساط الجماهير فتلك من نقاط القوة . ولقد كانت هنالك نقاط ضعف أيضاً ؛ فإذا كان انضباطنا الإداري قليلاً وخبرتنا ضعيفة وتجربتنا ضئيلة ، فهذه نقاط ضعف علينا إزالتها ، وأن لا تعترينا الهفوات في تشخيص نقاط القوة والضعف ، فإذا ما سمح وزير لنفسه يومذاك بمخالفة القانون فيما يقوم به من أعمال على الصعيد المالي متوهماً أن المرحلة التي يمر بها هي مرحلة ثورة ، فإن عمله هذا بمثابة نقطة ضعف ؛ ففي مطلع انتصار الثورة قال لي أحد الوزراء : إنني أنقل شيئاً من مكان إلى آخر ، وإذا ما منعوني فإنني سأثقب الجدار وأنقله ! ولعله لم يكن هنالك من يلومه على عمله هذا لكنه يعد نقطة ضعف ، فلنعمل للحد من نقاط الضعف وتعزيز نقاط القوة وأن لا نخطيء في معرفتها .

شروط ورسالة الدولة الكريمة

لتكن الدولة كريمة ، فالمعنى المراد من الدعاء «اللهم إنا نرغب اليك في دولة في كريمة» هو : اللهم إنا نرفع اليك أيدينا ونتوجه إليك بقلوبنا كي ترزقنا دولة كريمة ، ولهذه الدولة الكريمة شروطها ؛ ولطالما دعونا منذ انتصار الثورة ولحد الآن أن نطلق على كلٍّ من الحكومات المتعاقبة اسم الدولة الكريمة ، فتلك كانت من أمانيتنا ، ومما أنا راغب فيه . وأنتم أعضاء حكومة عزيزة وثورية أيضاً ، بيد أن حقيقة الأمر هي أن للدولة الكريمة شروطها ؛ فالدولة الكريمة هي تلك الدولة التي تكللها العزة والشموخ ، راسخة الإيمان بالدرب الذي اختطه لها الدستور وما يناط بها من مسؤوليات وسياسات النظام ، منيعة لاستتخف بما في يديها من متاع لاستخفاف الآخرين به ، وذلك ما أوصى به الإمام الصادق (عليه السلام) - بما مضمونه - أحد شيعته قائلاً له : لو كانت بيدك جوهرة وقال أهل الأرض هذا خزف ، فهل تتراجع عما تعتقد به وتشعر بالذلة ؟ قال : كلا . قال : فاحفظ ما عندك من جوهرة .

إن للدولة الكريمة رسالتها ، ولديها ما هو جديد تقوله للعالم ، ونحن نمتلك هذا الجديد ، فحكومة الشعب الدينية التي نتداولها اليوم في بلادنا هي الجديد ، لا لأننا نقدم الآن مظهراً من مظاهر حاكمية الشعب ، كلابل إننا اليوم نطعن بما لدى العالم من حاكمية للشعب ، وإنني أشكك - في واقع الأمر - بصورة حاكمية الشعب في العالم ، وذلك لخضوع الانتخابات وعمليات التنصيب في العالم لتأثيرات وسائل الإعلام الواقعة في قبضة الرأسماليين . من الذي بوسعه تجاهل ما لوسائل الاتصالات العصرية من تأثير ؟ إنهم يدعون تمتع الصحافة في أمريكا وبريطانيا بالحرية ، وإنني أتساءل : أية صحيفة هي ملك الطبقات المتوسطة أو المسحوقة من الشعب كي يستشف المرء من الحرية التي تمتع بها حرية

تلك الطبقات ؟ لمن تعود هذه الصحف ؟ إنها تعود للكار تلات وكبار المستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال . نعم إنها حرّة بمعنى أن هؤلاء أحرار في التفوه بما يشاؤون ، وهم لا يتحدثون بما يتنافى مع مصلحتهم؛ إنها تعود لهؤلاء الذين يمثلون مظهر الديمقراطية وأربابها وصنّاعها وهي موضع فخرهم ! لاحظوا الدول التي تعلّمت الديمقراطية منهم ، ومنها ، على سبيل المثال ، دول مجاورة لنا - ولا أريد هنا الإشارة لاسمها - تدّعي الديمقراطية ، لكن الحكم فيها للعسكريين ؛ فكل من ينزل إلى المسرح يزيج الآخرين ويمسك بزمام الأمور دون اكتراث بالانتخابات ، وبالتالي يتولى الحكم عسكرياً ! أو الحكم الذي تحتكره الأحزاب فلا جرأة لأحد على ترشيح من لا ينتمي للحزب الحاكم ، أي أنّها انتخابات تجري لاختيار مرشح واحد لرئاسة الجمهورية!

أي بلد كالجمهورية الإسلامية من بين الدول الإسلامية وفي المنطقة التي نعيش فيها ونتعاطى معها اليوم يشترك أبناؤه بشئ طبقاتهم ومنها الطبقة الوسطى في الانتخابات ؟ وإذا ما أراد الرأسماليون النفوذ يوماً ما في واحد من الأحزاب والتيارات أو التنظيمات فإنهم يتسللون خلسة لسوء صيتهم !

لو قدّر لحاكمية الشعب أن تسود بلدنا ويمسك أبناء الشعب بالحكم بأيديهم فلن يكون ذاك ممكناً إلا في ظل الإسلام والجمهورية الإسلامية ، ومادام للإسلام والجمهورية الإسلامية السيادة في هذه البلاد فيمكن المحافظة على حكم الشعب فيها ببركة الإسلام والنفوذ الذي يتمتع به العلماء وما ينطوي عليه الدستور ، وإلا فسيأتي أولئك الذي دبّروا انقلاب الثامن والعشرين من مرداد^(١)؟ والانقلاب الذي سبقه في الثالث من

(١) مرداد أسم شهر إيراني حسب التقويم الهجري الشمسي المعمول به في إيران.

إسفند^(١)؟ بقيادة رضا خان ويأخذون بقرع طبول الدعوة لحاكمية الشعب والتنوير الفكري ويصادرونها، وإذا ما أبدوا تكرماً ولطفاً فإنهم سيصطنعون لقيطاً من حاكمية الشعب المترشحة عنهم - وهي صنيعه الشركات الدولية وأضرابها - لا غير؛ إن لم نقل بأنهم سيجلبون صنائعهم من العسكريين والأحزاب.

معالم مسيرة الدولة

إنني أحتفظ لكم - أيها الأخوة والأخوات - بنصائح أرى إمكانية أن تصبح معالم لمسيرتكم على مدى السنوات الأربع التي تتولون فيها الأعمال، فهذه السنوات الأربع تمر مر السحاب، فبالأمس كان خاتمي جالساً هنا بعد انتخابه للرئاسة لأول مرة يوماً كان الكثير منكم حاضراً هنا أيضاً، وقد تحدث هو وأنا كذلك تحدثت؛ فالسنوات الأربع تمر مر السحاب. وعليه فإن الفرصة للعمل قليلة، وإنني استحضر حديثاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل». و«الأجل» إما يعني أجل الحياة، أي نهايتها، أو أجل العمل، فقد يحدث للمرء أن يتوقف عمله لسبب من الأسباب فتضيع الفرصة من يده، فاخشوا ذلك، إذ ربما يطرأ مثل ذلك بين ساعة وأخرى، فإننا جميعاً نجلس هنا الآن بكامل الصحة والسلامة والحمد لله، ولكن ليس معلوماً من سيبقى على قيد الحياة أو من سيموت بعد ساعة من بين الحاضرين، فلا تعجبوا، فربما يقع ما يفنينا خلال لحظة واحدة ويُطوى سجلنا إلى الأبد، فاغتنموا الفرص ولا تهدروا أية لحظة تمر.

(١) إسفند أسم شهر إيراني حسب التقويم الهجري الشمسي المعمول به في إيران.

حكومة عمل ونشاط

أول ما أنصحكم به هو أن تجعلوا من الحكومة حكومة عمل ونشاط .
انظروا يا أعزائي ، فلقد جاءت الجمهورية الإسلامية كي تبدل الأقوال
الحسنة إلى أفعال حسنة ، ولقد كنا نطلق التصريحات الحسنة والتي
نجيد إطلاقها أيضاً ، وقد كثرت تصريحاتنا أيام الاضطهاد ، فانظروا كم
هي زاهرة بالكلام الحسن . يجب أن تتحول هذه الكلمات إلى أعمال
حسنة في ظل الجمهورية الإسلامية وحاكمية الإسلام . فما هي يا ترى
تلك الأعمال الحسنة ؟ إنها العمل الصالح ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
الذي لا خسران فيه ، ولتبدل تلك الأفكار والمبادئ والطموحات وتتلور
عملاً صالحاً ، وحيثما استطعتم المضي قدماً في هذا المضمار تكونوا قد
أعددتُم ذخيرة لكم ، فلقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله : « فليكن أحب
الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح » ؛ أي ليكن أحب إليك من ذخيرة المال
والشهوات ورغبات الحياة من قبيل الدار و ... بل وحتى أحب من ذخيرة
الشأن والجاد . فاستثمروا الفرص العابرة بأقصى مدى الاستثمار ،
واعملوا للشعب كي تنالوا رضا الله - وليترسخ لدينا الإيمان بأن ذلك في
غاية الأهمية - وكذلك لتنالوا حسن السمعة دنيوياً عند الناس ، فيقولوا :
رحم الله أبا هذا الوزير حيث صلح هذا القطاع أو هذا الحقل في عهده ، أو إن
الإصلاح قد شمل هذا الجانب من الأعمال في عهد الحكومة الفلانية .

الظروف مهيأة للعمل ، وإنني أؤيد ما ورد في حديث السيد رئيس
الجمهورية ، فالأوضاع الحالية أكثر ملاءمة واتساقاً من الظروف التي
كانت سائدة في الفترة الأولى لرئاسة السيد خاتمي ، سواء على الصعيد
الداخلي أو على الصعيد السياسي والخارجي أو على صعيد الإمكانيات ،
وأحدها حصيلة التجربة التي تحظى بتأييدي ؛ فالسيد رئيس الجمهورية

بالذات أصبح على معرفة تامة بفنون العمل وأسراره بعد اربع سنوات على أقل تقدير ، أضف إلى ذلك أن الكثير من الوزراء يتمتعون بمثل هذه التجارب ، والحكومة بمجملها ذات مستوى عال من التجربة . إذن فالظروف مهياة أمامكم ، وأبناء الشعب متعطشون لتلقي خدمات الحكومة ، وهم يكونون الحب للنظام ومسؤوليه ، وأنتم تعاينون معالم هذا الحب ، ولا يسع المرء أن يطبق عينيه ولا يرى ذلك ، والرغبة تملأ الجماهير لأن ترى عمالاً صالحاً من المسؤولين كي تحتفظ بحسن ظنها ومحبتها لهم ولا تقع أسيرة التناقض ، وأبناء الشعب تواقون للخدمة وهم بحاجة لها ، ولهذا فعلى الدولة أن تظهر خبرتها . ولكن كيف تنال هذه الخبرة ؟ بطبيعة الحال منكم من دخل دورات تلقى فيها موضوعات حول كفاءة الإداريين ودور الإدارة في بلوغ أي جهاز مرحلة الكفاءة وهي صائبة في أغلبها ، ومنكم من وصل هذا المستوى نتيجة التجربة التي اكتسبها .

هناك عاملان أو ثلاثة بشأن الكفاءة سأشير إليها :

أحدها أن تنتخبوا العناصر المقربة إليكم - وهم في واقع الأمر يمثلون أيديكم وسواعدكم - من بين ذوي الخبرة في العمل ، فلعل وزيراً ما لا يمتلك معرفة معمقة بالعمل ، فإذا ما كان معاونوه على معرفة بالعمل إذ ذاك سيسد الفراغ ، وإذا ما كان معاون الوزير - الذي هو مستشاره و ساعده - جاهلاً بالعمل المناط به فستحل الكارثة . ومن المتعارف في كافة الدول حينما تستبدل الحكومات يتم تغيير الوزراء ، ولكن هنالك الكثير من الدول دأبت على الإبقاء على معاون الوزير على الدوام ، وهذا ما شاهدته في الباكستان ، ثم إنهم قالوا لي فيما بعد إن هذا نمط بريطاني يقضي بالاحتفاظ بمعاون وزير في كل وزارة لأنه ينقل تجارب السابقين

إلى اللاحقين الذي يمثلون بطانة الوزير الجديد ، والذين لابد أن يتمتعوا بالخبرة .

العامل الآخر ذو التأثير في الكفاءة هو الرقابة المستمرة على المسؤولين .

إن الوزير لا شأن له كثيراً بالجانب التنفيذي بما يعنيه من تحرك بدني، وكذا لعله في غنى عن المكاتبات الرسمية ، ومن الأفضل أن يكون كذلك ولا يغط في الروتين . وذات مرة قال لي المرحوم رجائي : إنه توجه أثناء رئاسته للوزراء إلى مقر عمل أحد الوزراء فوجده مختفياً خلف الطاولة بسبب أكوام الملفات الملقاة على الطاولة ! وقال : توجهت نحو ذلك الوزير وسحبته من مكانه ، وقلت له : هيّا باشربعملك .

إن تقديم التقارير واتباع الروتين واحدة من الحيل ، ولقد مررت بهذا التجربة سواء أثناء رئاستي للجمهورية أو الفترة التي سبقتها في التشكيلات العسكرية وفي وزارة الدفاع ؛ فالبعض يعتمد إشغال المسؤول الأعلى بالقضايا المتعلقة بطاولة العمل لئلا تتوفر لديه الفرصة لأن يحك رأسه ! فحذار من بعض الحيل الظريفة التي يلجأ إليها أحياناً ! فليس هذه مهمة الوزير ، بل إن أهم ما يضطلع به الوزير هو فرض الرقابة الدائمة على تحركات من تحت يديه من مسؤولين ، شأنه في ذلك شأن المدرب الخبير لفريق رياضي يقف خارج ساحة اللعب أو على مقربة منها ويراقب لاعبيه عن كثب فسيستبدل من استحوذ عليه الإرهاق أو من أساء اللعب ، أو يخرج من لم يتسق في لعبه مع الفريق ، كأن يكون لعبه فردياً ، ويدخل لاعباً آخر محله ، وهناك من الاحتياط من لا بأس بلعبه ، لكن المدرب بحاجة إلى من يؤدي دوراً حساساً فُيدخل احتياطاً آخر للقيام بهذا الدور الحساس ، لعلمه بمقدرته على أدائه ، وفي كثير من

الحالات يتفق أن يُرشى لاعب من قبل مدرب الفريق الخصم - وهذا ما لم يحصل في بلادنا والحمد لله ، غير أن العالم شهد مثله - فيقع مدربه على العلة ويخرجه لنكوصه عن اللعب الحقيقي ، فالمدرب لا يحابي أحداً ، وفي المقابل ليس هنالك من اللاعبين من ينزعج لتصرف المدرب الذي لا يهمنه إن أراد استبدال لاعب أن يقول : مازلتُ قادراً على اللعب فلم لا تسمح لي باللعب ؟! فلا وجود لمثل هذا الكلام أبداً . وهكذا يجب أن تكون نظرتكم لمن تحت أيديكم من مسؤولين وتخضعون فريقكم للرقابة ، فلعن هنالك من أصابه الإعياء ، وآخر قد لا يحسن العمل ، وثالث تترشح عنه المشاكل أحياناً ، ورابع صالح لكنه لا ينفع لهذه المرحلة - أي العمل الجبار الذي أنتم بصدد القيام به - ويستلزم الإتيان بآخر ، فعليكم أن تستبدلوا الكادر فوراً ، ولابد - بطبيعة الحال - أن تتوفروا على الاحتياط دائماً .

ذات مرة قلت لمسؤولي أحد القطاعات: إن واجبكم الأساس يتمثل في تربية من يحل محل كل واحد منكم أو التفكير به والبحث عنه؛ لئلا يبقى عملنا متلكئاً إذا ما تعرض أحدكم - لا سمح الله - لكبوة في أحد المطبات فتتكسر رجله ، والبعض لا يبادر إلى ذلك خشية بروز من ينافسه ، غافلاً عن أن أحد دواعي بروز المنازع هو عجز المرء عن القيام بمهمته ! إذن عليكم أن تحتفظوا بالعناصر الاحتياطية وتجلسوهم على مصطبة الاحتياط ، وإذا ما وجدتم أحد اللاعبين مال قيد أنملة عن حركة الصواب واتخذ مساراً معوجاً فبادروا إلى استبداله فوراً واعملوا على إخضاع رعييتكم لرقابة دائمة .

لقد لمستُ ضعف المتابعة خلال فترة رئاستي للجمهورية ، سواء من قبلي أو من قبل رئيس الوزراء أو الوزراء أنفسهم ، وما زلت ألمسه لحد

الآن أيضاً . فعلياً بالمتابعة ، فإذا ما أبرق السيد خاتمي لإحدى الدوائر متسائلاً عن العلة في عدم إنجاز عملٍ ما - ولعله يسهب في إبراق الكتب - وقد يمضي شهران دون أن يترتب أي أثر ، فعليه المتابعة والمساءلة عن السبب في عدم إنجاز العمل ، وليقل : إنني أوعزت بإنجازه الآن لا بعد سنة ! وعلى المتصدي أن يقدم الإجابة عن ذلك ، أو على أقل تقدير أن يقدم ما لديه من مبررات ويقول : إن هذا العمل متعذر إنجازه ، أما أن يترك العمل ناقصاً فذلك ليس بصحيح .

طالبوا كبار مسؤوليكم بأن يزودوكم بالتقارير ، ولكن لا تركنوا إليها بنحو كامل ، ولا داعي لأن تفصّحوا عن عدم ثقتكم بها بل اجعلوا ذلك في بواطنكم ، لما علّمنا التجارب من عدم موافقة الكثير من التقارير للواقع ، فلعل شخصاً قام بعمل ثم جاء فألقى ورقة على طاولة المدير المسكين دون علم منه ومن ثم سلّمها إياكم فتحولت إلى تقرير موثق ! فليأخذ جهاز التحقيق لديكم حذره ، واختاروا له المقربين منكم ، وسبق لي أن أشرت بذلك على الشيخ الهاشمي أثناء رئاسته للجمهورية وكذا على السيد خاتمي حيث اقترحت عليه اختيار أخيه على خاتمي لأمر التحقيق فاستجاب بدوره لذلك ، ونعم ما صنع ، فيجب اختيار أقرب الناس - من كان حذراً وصادقاً - لأمر التحقيق ليعلم المرء بما يدور حوله ، أي أن تتوفر معلومات أخرى غير تلك التي ترد عن القنوات المتعارفة .

قضية توفير فرص العمل هي الأخرى مهمة ، ولقد تحدثت مع السيد خاتمي بإسهاب بعد انتخابه من جديد ، وفي اجتماع آخر تحدثت هو بالتفصيل بهذا الشأن أيضاً ، وإنني أقول : إلى جانب الأعمال التي تمارسونها في الوزارات - وهو ما يسميه ذوو الميول الغربية بالروتينية - اتخذوا أعمالاً أساسية وصمموا على أن تبادر هذه الحكومة إلى

المباشرة بها . حينها طرحت عليه ثلاث ملاحظات ، هي :

الأولى : توفير فرص العمل ؛ اعملوا ما من شأنه إذا انتهت فترة السنوات الأربع من رئاسة السيد خاتمي أن تقول الحكومة : لقد رفعنا نسبة العمل بهذا المقدار ، وكمثال على ذلك تقليص معدل البطالة من ١٣٪ إلى ٦٪ أي تكون قادرة على تقديم هذه الإحصائية للشعب بكل صلابة وحزم ، وهو فعل سيسجله التاريخ ويبقى خالداً في الأذهان .

الثانية : هي قضية تحديث الصناعة في البلاد ؛ فصناعتنا الآن متصدعة ، وهذه الملاحظة من صلب اهتمام السيدين ستاري فر وجهانگيري ، وعليهما أي يضاعف قضية تحديث الصناعة بنظر الاعتبار بكل جدية ؛ اعملوا ما يمكنكم أن تقولوا بعد أربع سنوات إننا أنقذنا الصناعة في البلاد بهذا المعدل من الانهيار ، وهو أيضاً من الأعمال التي تتميز بأهميتها وديمومتها . وكل رئيس جمهورية أو وزير أو مدير يخلفكم سيكون شاكراً لكم لأنكم قد قدمتم خدمة له والبلاد .

أما الملاحظة الثالثة التي ذكرتها فهي ربط جامعات البلاد بالقطاع الصناعي ، وهذا ما يتعذر القيام به إلا عن طريق مكتب رئيس الجمهورية . وإنني أنا شدهم بالإسراع في إنجاز هذه المهمة . وبطبيعة الحال أن لكل من وزارة العلوم ووزارة الصناعة دورها في هذا المجال ، بيد أن هذا الربط يجب أن يتحقق عن طريق مكتب رئيس الجمهورية وبإشراف مباشر منه شخصياً ، ولا بد من استقدام شخص موضع ثقة ومتضلع بالعلم والصناعة - وقد وقع اختيار السيد خاتمي على المرحوم الدكتور ابتكار لتولي هذه المهمة ، لكن الأمر لم يتحقق - إلى مكتب رئاسة الجمهورية ويقوم بمهمة ربط الجامعات بالقطاع الصناعي .

وهذا من شأنه تحريك القطاع الصناعي في البلاد ، وكذلك إزاحة ذلك

السد الذي يقف حائلاً بوجه ينابيع العلم في البلاد ، حيث يقال ليس لدينا مختبر ولا مصنع ، وسيكون هذا مدعاة لتبلور حركة جبارة ، وكلا الجانبين يعيش حالة تعطش لذلك ، وستكون نتيجته حصول صناعة البلد على رفد مادي أيضاً .

واليوم أضيف إلى تلك الملاحظات الثلاث التي طرحتها عليه قضية أخرى هي قضية القطاع الزراعي ، فلقد أوعدني السيد حجتى - وكنت أتوقع أن يصرح بذلك في مجلس الشورى ، لكنه أمسك عنه وللأسف - بأننا سنحقق الاكتفاء الذاتي في مجال المواد الأساسية من قبيل القمح والرز وربما الزيت ، وكان قد أكد لي ذلك بكل حزم وصلابة ، ولكنني كلما ركزت في إصغائي لأسمع منه ذكراً لكلمة «الاكتفاء الذاتي» أمام مجلس الشورى فلم أرَ ذلك منه ! فكان أن قال : بإمكاننا بلوغ التقدم بها ، فأين التقدم من الاكتفاء الذاتي ؟!

والسيد حجتى كما أعرفه يمتلك القدرة على إنجاز هذه المهمة والبلاد متوثبة لها ، وما عليه إلا شحذ الهمة ، على أن تمتد منظمة الإدارة والبرمجة يد العون له بعونه تعالى ، وكذا من المؤكد أن السيد رئيس الجمهورية سيسنده أيضاً ، وأنا بدوري سأعينه بكل ما أوتيت من قوة . وهذا العمل من الأعمال الجوهريّة ، وإذا ما تحقق فلن تراود السيد رئيس الجمهورية تلك الهواجس التي أعرب عنها في المجلس ، ولن تداهمه والسيد شريعت مداري حالة الأرق والسهر التي راودتهما لليلتين أو ثلاث ، كما أن السيد حجازي كان يشاطرنا تلك الهواجس لكنه لم يبح بها أمامي خلال اليومين أو الثلاثة الأولى ولم يطل به المقام حتى عشرة أيام أخرى ؛ حيث انتهت المشكلة نوعاً ما فأباح بالقضية أمامي .

علينا أن نرفع قضية القمح عن كاهل وزارة التجارة ونوكلها إلى

مزارعنا ووزارة الجهاد الزراعي؛ لتجعل الحكومة هذه المهام الأربع محوراً لبرامجها، فهي على ارتباط مباشر ببعض القطاعات ولها ارتباط غير مباشر بقطاعات أخرى .

الزمن الذي تستغرقه المشاريع طويل جداً، ومما تمتاز به الحكومة التي تتصف بأنها حكومة عمل هو أن تسعى لتقليص المدة التي تستغرقها المشاريع، وبالإمكان تحقيق ذلك . ولا يسعني هنا إلا أن أذكر بخير المرحوم دادمان؛ فخلال زيارتي إلى محافظة جيلان توجهت إلى بندر أنزلي؛ فوقعت عيني على ذلك الجسر القديم الذي كنت قد سرّت عليه قبل ما يناهز الأربعين عاماً، فشعرت بالخلج في داخلي، فربما تضاعف حجم غازيان اليوم عشرة أضعاف غازيان الأمس، وازداد حجم بندر أنزلي عدة أضعاف عن بندر بهلوي يومذاك، بيد أن جسراً قديماً ضيقاً بينهما مازال قائماً على ذلك النهر العريض! ثم تقدمنا في المسير فوجدنا الجماهير منضماً إليهم إمام الجمعة يطالبوننا جميعاً ببناء جسر لهم، ولما عدت إلى رشت كان الوزراء -ومن بينهم السيد عارف وغيره- قد اجتمعوا في دار السيد صوفي، فأثرت قضية الجسر وقلت للمرحوم دادمان: أنتمومون ببناء الجسر؟ ففكر ملياً ثم أجاب: نعم، على أن ننتهي منه بعد ثلاث سنوات . فقلت له: بل بعد سنتين . فردّ بأن هزّ رأسه . إذ ذاك تصورت أنه وافق على تسليمه بعد سنتين، وقلت حينها: إن الرغبة تملؤني بأن يأتي رئيس الجمهورية بعد سنتين وفي مثل هذا الوقت لافتتاح هذا الجسر . ولما توفي السيد دادمان نقل أحد أصدقائنا ممن هم على صلة بعائلة السيد دادمان أنه قال لعائلته: إن فلاناً طلب مني تشييد الجسر خلال سنتين، وأنا سأنتهي منه خلال سنة واحدة فقط ... هكذا كانت همة هذا الرجل .

لاحظوا الشدّ ما يتحرق المرء لفقدان مثل هؤلاء الرجال ، فقد كانت لديه القدرة على النهوض بهذه المهمة ، وإنني اعتقد بقابلية السيد خرم أيضاً .
إننا وحيثما استفسرنا من الوزراء عن السبب في طول المدة التي تستغرقها المشاريع - فالمشروع الذي ينبغي إنجازه خلال ثلاث سنوات يمتد به المقام حتى ثماني سنوات ! وذلك ما يلحق أضراراً بالبلاد - فإنهم جميعاً ينحون بالتقصير على عاتق منظمة الإدارة والتخطيط والبنك المركزي ، ولعلمهم يلزمون الحق ، ولكن يجب أن نبدأ من جديد ونعمل من أجل تقليص المدة المخصصة لهذه المشاريع جهد الإمكان .

ترسيخ العدالة

نصيحتي الثانية تتعلق بترسيخ العدالة ، فنحن إنما جئنا لتطبيق العدالة ، وإن الطبقة المسحوقة من الشعب يدها خالية من الميكروفون والمنبر ، أما المترفون والأثرياء والأقوياء فإنهم يستغلون المنابر ظلماً ويتسللون أينما شاؤوا لإنجاز أعمالهم ، والحرمان هو نصيب تلك الطبقة المسحوقة ؛ فلا بد أن تصب الحكومة اهتمامها في سياستها وعلى كافة الأصعدة من أجل القضاء على الحرمان وبما يحقق العدالة .

وأول ما ينبغي وضعه في الحسبان هو مقدار ما نقضي عليه من الحرمان ومدى اقترابنا في البلاد من العدالة من خلال ما نقوم به من عمل ؛ وأنتم - بطبيعة الحال - على علم بالعناصر التي لها المزيد من التأثير في إزالة الحرمان ؛ فالعمل والسكن والعلاج والتأمين ونحو ذلك مما له التأثير في انخفاض حالة الحرمان وزوالها ، فلو أردنا - على سبيل المثال - إقامة مشروع صناعي أو معدني أو اتصالاتي ؛ فلا بد أن نأخذ بنظر الاعتبار أولاً مدى تأثيره في توفير العدالة الاجتماعية فنعمل في

ضوء ذلك .

أيها الأعزة ! إن ما أذكره الآن هو من بين العناصر المثبطة لحركة المجتمع باتجاه العدالة ، فاجتنبوا ظاهرة الثراء التي تضرب بأطنابها بين كبار المسؤولين في البلاد ، ففيها عيبان ، وثانيهما أدهى من أولهما ؛ فالأول يتمثل في الإسراف . وإنما إذ نرى حلية الثراء فيمعنى اكتساب المرء لثروته عن طريق الحلال ، بيد أن العيب الآخر فيها هو الأسوأ من سابقه ويتمثل في اختلاقه لثقافة أخرى تفتح الميدان للتنافس في كل شيء ، وبطبيعة الحال فإن لكبار المسؤولين دورهم المهم في هذا المجال ، وكذا التلغاف والسلوك الذي تتبعه أنا وأنتم .

تناهى إلى سمعي ذات مرة أن أحد الذين تصدوا لوزارة المعادن - ولا أصرح هنا بالوقت الذي تصدى فيه للوزارة - كان قد جاء بأنواع الأحجار النفيسة التي تزخر بها بلادنا وزين بها بناية وزارته ، فاستدعيته إلى هنا وسألته : لِمَ فعلت هذا ؟ فأجاب : إذا ما حلّ الزوار الأجانب هنا ووقعت أعينهم عليها إذ ذاك سنحصل على الزبائن ! ناشدكم الله ، هل هذا منطق جدير بالقبول ؟! أنقوم باستهلاك كل هذه النفقات ولملمة ما في مبنى الوزارة من أحجار - إن وجدت - والاستعانة عنها بأحجار جديدة بغية كسب الزبائن ؟! بوسعكم نصب لوحة كبيرة طولها ٥ أمتار وعرضها ٣ أمتار في الصالة الرئيسية لبناية الوزارة لعرض أنواع الأحجار بشكل رائع وجميل - وهناك مختصون بعملية العرض - ومن ثم تصطحبون كل زائر باحترام لمشاهدة هذه الأحجار ، فتكونون قد عرضتموها للتفرج ولاستقطاب الزبائن معاً ، وهو المطلوب . فليس مناسباً التعلل من أجل البهرجة ! وإنما أرى أن البهرجة والتزويق في حياتكم لو انعكست إلى الخارج سيتخللها الإشكال الثاني ، إذ إنها ستنمخض عن ثقافة تدفع

بمن حديثو عهد بالغنى وارتقوا سلم الحياة توأ نحو الإسفاف في الزركشة ، وإذا ما رأوا أقطاب النظام يتهافتون بهذا المنحى إذ ذاك سيتهافتون أسرع منكم ، وذلك لما تتوفرون عليه من مزايا يفتقدها غيركم . ولقد سبق لي أن قدمت وصاياي بهذا الشأن للأخوة الأعزاء .

خلال الأشهر القليلة المنصرمة وصلني تقريران كل على حدة من بوشهر وأصفهان سلبا النوم من عيني بكل ما للكلمة من معنى ، لأنهما يتعلقان بالدوائر الحكومية ، فالتقرير الوارد من أصفهان يدور حول - محلة السدّ وهو مظهر للهوة والفجوة الفاصلة بين الوضع المعاشي الذي عليه الطبقات الفقيرة وبين حياة الكوادر الحكومية . فلقد شيّدوا دوراً هناك - وإن كان من قبل القطاع الخاص بيد أن القطاع الحكومي قام بمثل هذه الأعمال أيضاً - إلى جوار أناس تعوزهم الحياة البسيطة ويفتقرون للقمة الخبز التي تسد جوعتهم ، ثم إنهم وضعوا بوابة لمنع من يحاول العبور إلى الجانب الآخر ! وفي إحدى الجزر التابعة لبوشهر حصل ما هو على غرار ذلك أيضاً ومن قبل القطاع الحكومي ! إن هذا مرفوض بالمرّة ، ولم أكن على علم به ، ولو كنت قد اطلعت على نيتهم بإقامة مثل هذه التأسيسات في أصفهان وبوشهر لكتبت إلى المحافظ أو الوزير المسؤول أو أخاطبه شفهيّاً مؤكداً له أن لا حق لهم في القيام بمثل هذا العمل بالرغم من عدم نيتي التدخل في العمل التنفيذي .

على أية حال ، فقد أقدموا على عملهم هذا وشيدوا البناء وفرغوا منه ، فكان له بالغ التأثير !

الأمانة والصدق

ونصيحتي الثالثة هي : لتجعل هذه الحكومة من الأمانة والصدق

شعاراً لها . وأنتم بطبيعة الحال صادقون في عملكم ، ولطالما أثنيت وأطريت على الوزراء - أنتم ومن سبقكم - بهذه الصفة والسمة لأن ما نؤمن به هو استحالة أن يكون وزراؤنا غير صادقين وغير أمناء ، ومعروف الحديث الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول : «إن عملك ليس لك بطعمة» فهو ليس طعمة تحاول التهامها كلقمة دسمة ، «لكنه في عنقك أمانة» فهو أمانة في عنقك ومسؤولية ملقاة على كاهلك .

ينبغي أن لا تستغل فرص العمل للأغراض الشخصية ، ويجب تحاشي الإسراف والتبذير ، وإن الرسالة ذات البنود الثمانية التي وجهتها لرؤساء السلطات الثلاث خطوة جادة ، ولقد فسحنا المجال أمامهم للمبادرة ، وإلا فسوف أنزل بنفسي وأتدبر الأمر ! وحينها سيهرعون إليّ معاتبين ، ولكن يومها لن ينفع العتاب .. فلا بد في خاتمة المطاف من إنجاز عمل ما . وأنتم إذ تبدلون كل هذه الجهود ، وإنني أشاهد عن كثب هذه الهموم والمتاعب التي يتحملها السيد رئيس الجمهورية والجهود التي يبذلها ، ولكن يأتي من يسيء استغلال هذه الأوضاع والظروف فيملأ جيبه أموالاً فيسيء إلى سمعة الآخرين ويشوّذ صورة الحكومة ويزرع التشاؤم لدى الجماهير ، فهل هذا مما يمكن التغاضي عنه ؟!

إن غالبية المخالفات التي تصلني أخبارها تتعلق بالشركات ذات الصلة بالحكومة ، وعند مستهل رئاسة السيد خاتمي وصله - كما وصلني أيضاً - تقرير هذه الشركات ، وكان أُملي أن يتخذ إجراء بهذا الشأن ، إذ إن في بعض هذه الشركات تجري أعمال من قبيل عمليات شراء ضخمة تفتقر للمبرر الاقتصادي ، عمليات بناء مقترنة بالمخالفات ، استثمار اقتصادي لا مبرر له ، سفرات وبعثات إلى الخارج ليس لها ما يبررها ودون أن تكون ذات طابع تخصصي ، إنهم يرسلون هيئة إلى

الخارج من أجل مهمة ارتجالية وليست بتلك الأهمية ، توزيع غير عادل ودون توجيه للإمكانات ، فتارة يبيعون هذه الجهة سيارة ، وأخرى يهبون تلك الجهة سيارة حكومية ، أو يمنحون هؤلاء أموالاً لاستئجار بيوت لهم ، فيما يوزعون على آخرين بيوتاً على حساب الدولة في حين أنهم يمتلكون بيوتاً ، كما تدفع المنح المالية الضخمة وتوزع الهدايا والجوائز دون مبرر ، فمن القضايا السيئة للغاية التي كانت في طريقها للتفشي وقد جرى الحد منها إلى حد ما ولحسن الحظ هي قضية الهدايا ، فالذي يريد أن يودّع المسؤولية تغدق عليه الهدايا ! من أين جاء بهذه الهدايا ما نحها ؟! هل من جيبه الخاص ؟ كلا ، بل هي من بيت المال . ما المناسبة في ذلك ؟ وما هي هذه الهدية ؟!

وافتني أخبار حول حالات من الاستخدام الفاقد للضوابط للأقرباء وعمليات تزوير للوثائق ، فقام مكتبنا للعلاقات الشعبية بتحويل هذه الوثائق إلى وزارة الأمن ، فجاء ردها مؤيداً لهذا الحالات جميعاً مؤكداً صحة ما ورد حولها ! فلا بد من التصدي لهذه الممارسات ولا تدعوها تصل إلى السلطة القضائية من خلال تصديكم لها في إطار الحكومة ، فالجهاز المدير لتلك الشركة هو الذي عليه التصدي لها دون محاباة ، فلا معنى لأن يستولي شخص على سلع عائدة لشركة ما فيقوم ببيعها أو استئجارها ! ولماذا ؟! ما ذلك إلا لتغلغل مجموعة من الأقرباء في تلك الشركة . إنها أعمال مرفوضة في الأساس وهي منافية جداً للأمانة والصدق .

من مصاديق الأمانة مراعاة الأولوية في توزيع الميزانية ، وتارة تكون الميزانية صحيحة لكنها تفتقد الأولوية . وآثموا بين الأولويات والإمكانات ، فإمكاناتنا محدودة ، لذا عليكم المساواة بين الأولويات

والإمكانات! وبطبيعة الحال بمقدور منظمة الإدارة والتخطيط وسائر دوائر الدولة المساهمة بدور كبير في هذا الأمر. وخلاصة القول: لا بد من إيلاء مزيد الاهتمام ببيت المال.

وأقول هنا: من الأمور التي لا أولوية لها هي إقامة بعض المؤتمرات؛ فإنني أعتقد أن إيران حطمت الرقم القياسي في عدد المؤتمرات لهذا العام! ففي كل يوم توافينا الإذاعة والتلفزيون بخبر إقامة مؤتمر حول قضية لا أهمية لها، لعل هنالك ثلة تجتمع لتبادل وجهات النظر العلمية، بيد أن الأمر ليس كذلك في هذه المؤتمرات التي يتعين فيها تسديد تكاليف رحلات المشاركين في الطائرات وإقامتهم في الفنادق، ثم إنهم عندما يجيئون إلى هنا يطلبون الإقامة لمدة يومين آخرين بحجة أن الإيرانيين معروفون بحسن الضيافة وذلك مما هو غير معهود في العالم؛ فلا بد من الحد من هذه المؤتمرات باستثناء ما هو ضروري منها وهنالك حاجة ملحة لإقامته.

تحمل المسؤولية

والنصيحة الرابعة هي المسؤولية، فمما جرت عليه العادة تحمل المسؤولية أمام مجلس الشورى وأمام القانون، لكنني أريد تخطي ذلك خطوة واحدة إلى الأمام وأقول: يجب أن تتوفروا على دليل ومبرر مقنع لكل عمل تقومون به، فتقدموا الدليل إذا ما سئلتم: لما ذا قمتم بهذا الاستثمار؟ أو لما ذا أقدمتم على هذا العمل، ولم تقدموا على ذاك؟

ربما يكون استدلاكم خاطئاً وغير مقنع للجميع، بيد أن الحريّ بكم التوفر على الدليل، وهذا ما تعنيه المسؤولية. وهكذا الحال أمام الله سبحانه وتعالى؛ فإن كنا متزودين بالحجة أمام الله عز وجل فإنه

سيتجاوز عنا وإن كانت حجتنا خاطئة . وقد يحدث أن الإنسان بنفسه لا يقتنع بحجته وهذا مما يعلمه الله ويدركه الشعب ، فالآخرون يدركون إذا ما اختلفنا حججاً مزيفة ؛ فلا بد أن يكون احتجاجنا مقنعاً لنا بالذات .
هناك من يقول إنكم تسلبون الجرأة من المسؤولين . كلا ، فأنا بالذات إنسان جريء ولا أرهب الأعمال العملاقة أبداً ، ولقد اقتحمت وما زلت أقتحم الأعمال الكبرى وأستأنس لمن يتحلى بالجرأة ، وكل من تقع عليه عيني مقدماً على عمل جبار بكل اندفاع فإنني أكنّ له في أعماقي التقدير والثناء .

إننا لا نبتغي سلب المسؤولين جرأتهم ، غاية الأمر أن الجريء هو ذلك المسؤول الذي يعزز عمله بالاستدلال ، وإلا فلا جرأة له ، ومثله كالذي «يقدم رجلاً ويؤخر أخرى» ، والنتيجة ضياع العمل وخرابه . وهذا هو المعنى الذي تحمله المسؤولية .

إنني أرى في بعض الأحيان أن هناك من يقوم بأعمال كثيرة لكنها تفتقر للمبرر من الأساس ، والأدهى من ذلك أنه وعندما يجلس المعترضون لمساءلته ويخرجون بنتيجة مفادها أن أعماله بعد ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة من تصديه للوزارة الفلانية مما لا يمكن الاقتناع بها ، وإذا ما سألناه عن السبب فيما آلت إليه أعماله بعد هذه المدة ، يبادرنا وكأنه ذو المنة علينا : إنهم لم يساعدوني ! إنه كلام لا معنى له ، فعليكم أن تتخذوا موقفاً إزاءهم للعثور على إجابة واضحة لهذا التساؤل كي نعرف لماذا يلجأون إلى مثل هذا الكلام .

إنني أعتقد بضرورة تفعيل دور مجلس الشورى وديوان الرقابة ، وأطالب بإيجاد حالة من المجانسة بين منظمة الإدارة والتخطيط ووزارة الاقتصاد والأمور المالية وديوان الرقابة الذي يمثل دائرة في غاية

الصالح وهو عون لكم . ولقد لمست من دوائر الدولة نفوراً من ديوان الرقابة . إن ديوان الرقابة مركز صالح في هيكلته وفي محاسبته .

الحذر من التوتر السياسي

ونصيحتي الخامسة هي اجتناب التوتر السياسي ؛ فربما يدلي بعض الوزراء بتصريح أو يتخذون موقفاً ترون بعدها بروز قضية سياسية في البلاد ، وقد يطلق تصريح ارتجالي لا داعي له فتنبري الإذاعات الأجنبية والمحلية أو تلك الصحيفة بتهويله !

كلما ابتعدت الأجواء في البلاد عن الاضطراب السياسي كان بإمكانكم العمل بصورة صحيحة ؛ فلا تسمحوا بتبلور الأجواء المشحونة ، ولا تستعينوا في وزارتكم بالعناصر التي تقوم بمثل هذه التحركات . ولقد نصحت بعض الأخوة الأعزاء بشأن هذه القضية ، لكنهم لم يصغوا لنصيحتي ، لذلك لم نجن ثماراً محمودة ؛ ولست هنا بصدد الفرض والإجبار في هذا المجال ، وإنما أقدم النصح الأخوي الصادق للبعض فإن عملوا به أصابوا مصلحتهم ؛ وثمة من يعمل به وثمة من لا يعمل به للأسف ! فلا تستعينوا بالغوغائيين و مثيري الشغب والمرتبطين بهذا التيار أو ذاك أو بحزب معين ، فليذهب هؤلاء ويمارسوا نشاطهم في مكان آخر . فيجب أن لا تتحول الحكومة إلى بؤرة تحاول الأحزاب إضفاء صفة الرسمية على رؤاها وميولها والتلويح ببراياتها فيها، فليس ذلك بالأمر السليم ، إذ ستكون عاقبته توقفكم عن العمل وعقم تلك المسؤولية المعهودة إليكم .

أرى أن لا يهدر السادة الوزراء أوقاتهم في العمل الحزبي ؛ فمن بين المؤاخذات التي أثارها عليهم وصرحت بها أمامهم عند تشكيل حزب

كوادر البناء في عهده الشيخ هاشمي هو استهلاك الوقت من أجل الحزب - إذ لا بد من أن تجتمعوا وتتحدثوا وتتبادلوا وجهات النظر وتباحثوا في القضايا السياسية والثقافية - ولو أنه لا يترك بصماته على عملكم ، ولكن اعلّموا أن هذا المقدار من الهمة والوقت إنما هو من نصيب الحكومة، فالوزير الذي لا ينحصر عمله في الوزارة بثماني ساعات ، بل هو من حصتها على مدار الساعة ، فإن استهلكتم همتكم ونشاطكم وحديثكم وتفكيركم في مكان آخر ، تكونوا في الحقيقة قد اغتصبتم وقت الوزارة وهو فعل محرّم .

إن قولنا : «سياستنا عين ديننا ، وديننا عين سياستنا» - وهو كلام أصاب المرحوم مدرس حين أطلقه ومن ثم أيده الإمام - واضح في مغزاه، لكنه بصورة إجمالية يفيد وجوب أن تكون سياستنا سياسة الدين والورع ، فليس كل عمل سياسي صالحاً ، فهناك من ينظر إلى العمل السياسي كأى فعل سياسي مجرد عن أي توجه ديني ، وليس من الصواب أن تكون الغاية من العمل السياسي تقدمه إلى الأمام وإنما وجوب أن يكون العمل السياسي دينياً ، فكل ما حرّمه الشرع ينبغي أن يوضع في الحسبان ويؤخذ بنظر الاعتبار في العمل السياسي الذي يجب أن يتجرد عن المحاباة .

الانسجام والتوافق

النصيحة السادسة ، هي الانسجام والتوافق ، ولقد قلت مراراً - وكررت في اجتماعي بالوزارة السابقة أيضاً - إن مثل الحكومة كتقاطع طرق يؤدي رئيس الجمهورية فيه دور رجل المرور الذي يغلق طريقاً ويفتح آخر ، والمراد من ذلك أن يعبر الجميع منه دون اصطدام . لذلك

عليكم بالانسجام فيما بينكم ، سواء داخل الحكومة أو غيرها من مؤسسات النظام ، أي أن تتحدوا في التناغم ، فلامعنى للفرقة والتشتت ، واجعلوا من السياسات الإجرائية العامة للحكومة ملاكاً لكم واعملوا بانسجام ؛ وكمثال على ذلك أنني أشاهد أحياناً أن وزارة خارجيتنا تواجه مشكلة مع دولة ما على الصعيد السياسي وتحاول ممارسة الضغوط عليها مع افتقارها للقدرة على مهاجمتها بالدبابات ، وعلى الجانب الآخر هنالك بيننا وبين تلك الدولة مبادلات تجارية ينبغي استغلالها ، فإما أن توقف تلك المبادلات أو نستأنفها مشروطة ؛ ففي الوقت الذي تقوم وزارة الخارجية بأداء مهمتها تنهمك وزارة التجارة أو وزارة الصناعة أو وزارة الصحة - في محاولة لاستيراد ما يحتاجون من بضائع - في تقديم عروضها هناك وتدخل في مباحثات مع إحدى الشركات لشراء ما تريد ! وهكذا لا يمكن إنجاز شيء تحت طائلة التشتت في العمل .

وفي المقابل يتشكى هؤلاء من أنهم إذا ما توجهوا نحو وزارة الخارجية لتنسيق الجهود فإنها تقيدهم . حسناً ، ثمة سبيل لحل هذه المشكلة في إطار الحكومة ، فينبغي أن لا يخرج أي تحرك في خارج البلاد عمرانياً كان أو اقتصادياً أو تجارياً أو ... عن كونه رافداً لسياستنا الخارجية ، بل لابد أن يصب في مصلحة السياسة الخارجية وفي خدمتها .

إنكم تلاحظون ما يصدر من اعترافات عن الأمر يكان بأن إيران هي أفضل طريق لأنبوب النفط الممتد من آسيا الوسطى ، والشركات بدورها مقتنعة بذلك أيضاً ؛ بيد أن السياسة لا تسمح به ، أي إنهم أذعنوا للقيام بعمل يخلو من البعد الاقتصادي لتعزيز سياستهم - لعنهم الله فبئس ما

صنعوا - لكنه في وجهة نظر حكومتهم منسجم مع المنطق ولا بد من أن يتخذ هذا المنحى .

ويجب أيضاً أن يسود الانسجام سائر مفاصل النظام ، ولحسن الحظ فقد أشار السيد خاتمي إلى ذلك .

التزام المعنويات والأخلاق

وآخر نصائحي - وهي أهمها - تتمثل في التزام المعنويات والأخلاق ، فيا أعزائي ! عليكم جميعاً ، شيباً وشباناً ، عالم الدين فيكم وغيره ، في القطاع الاقتصادي أو الثقافي أو في القطاعات ذات الصلة بالجهات الإنسانية ، أن تعتبروا أنفسكم جنداً للدين ، وأن تنصبّ جهودكم على أن يتحول الشعب شعباً متديناً . وإنني أعتقد بأن القطاعات الاقتصادية لو أرادت للشعب أن يغدو متديناً؛ فعليها تأمين الجانب المعاشي له إذ «من لا معاش له لا معاد له».

إذا ما بادرت المفاصل الاقتصادية في الدولة إلى تأمين معاش الشعب فإنه سيصبح شعباً متديناً ، ولكن بالإضافة إلى ذلك فمن الواجب استتباب الحالة المعنوية والتصدي لمظاهر الفساد وتفشيهِ والوقوف بوجه الحالة اللادينية والتظاهر بها . يقول تعالى في كتابه ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝ ﴾ ، فلازمة فسقهم نزول العذاب عليهم ، وذلك مما لارجعة فيه ، أي إن هذه السنة تترك تأثيراتها على كافة المجتمعات ، غاية الأمر أنها تتفاوت بتفاوت العناصر التي يتوقف عليها صيانة ذلك المجتمع ، قرب مجتمع يتوفر على عنصر الهلاك والاضمحلال لكنه في المقابل يمتلك عناصر الصيانة من قبيل غزارة العلم والثروة والساسة المحنكين والموقع الجغرافي أو

التاريخي ، وهذا من شأنه أن يؤخر عنصر الهلاك في تأثيره لا أن يبطله .
إنكم تشاهدون الآن انحدار المجتمع الأمريكي نحو الانهيار بفعل
عامل «ففسقوا فيها» والكثير من العوامل الأخرى ، بيد أن بعض
المجتمعات تفتقد للإمكانيات التي تحفظها - فلا علم ولا ثروة ولا سياسة
محنكين وناضجين - وكلها عوامل مدمرة ، فلو انغمست في هذا
المستنقع فسرعان ما تزول ، وزوالها لا يعني موت عدة ملايين من
البشر ، وإنما اضمحلال هذه الأمة بهويتها وخوائها وهشاشتها من
الداخل وإهمالها عالمياً وتعرضها للكوارث والمزيد من المحن .
وبناء على ذلك فإن الجانب المعنوي في غاية الأهمية .

دعמי للحكومة مشروط

إنني أعلن دعמי اللامتناهي للحكومة ولكم أيها الأعضاء في الحكومة ،
لكنه دعم مشروط ؛ أي لو أنني أردت - وهو كذلك - دعم وزارة أو
الحكومة بشكل عام فهذا الدعم لحدود له ، ويشمل الدعم باللسان
وبالعمل وبالإقدام وتوظيف إمكانياتي ، وهكذا كان حتى الساعة .
وعليه فلست أضع حداً لتأييدي للحكومة ولكم كوزراء ، لكنه منوط
بمراعاتكم لهذه الأبعاد ؛ فإذا ما لمست وتبلور التشخيص لدي - وأنا
بدوري أتأني باتخاذ القرار - بأن وزارة ما تسير بالاتجاه المعاكس
لسبيل الحق اللاحب - الذي رسمه لنا الدستور وسياسات النظام
والإسلام - فلن أدمعها ، بل سأنبري لمواجهتها إن استدعى الأمر ! فتلك
مسؤوليتي الشرعية والقانونية ، وإلا فمادام الأمر على مايرام فإنني
سأقدم دعمي اللامحدود .

ولاية المعصومين وولاية الفقيه

✽ الشيخ مهدي هادي الطهراني

التعريب: عباس الأسدي

الإشراف العلمي على التعريب: الشيخ ضؤاد كاظم الهضاددي

اتضح مما مرّ بنا أن الإسلام يولي أهمية لوجود من يتولّى شؤون المجتمع، وأنه ليس من حق أحد أن يدّعي هذا الأمر، إلّا الله سبحانه وتعالى، العالم بجميع شؤون الوجود الإنساني، وهذا ما يحتم على الإنسان أن يكون مطيعاً لأوامره تعالى ونواهيه^(١). فإذا أمره باتباع شخص معيّن أو مجموعة ما أطاعه، وإذا وضع شروطاً للوليّ وخولنا اختيار من تتوفر فيه الشروط المطلوبة سمع له.



(١) راجع: جواد آملّي، ولاية فقيه، رهبري در إسلام (ولاية الفقيه، القيادة في الإسلام) بالفارسية، ص ٢٩.

وقد اعتقد المسلمون على مر التاريخ الإسلامي بأن الله تعالى أوكل قيادة الأمة الإسلامية إلى النبي ﷺ، وإلى من يأتي من بعده اعتقد أتباع مذهب أهل البيت ﷺ أن هذا الأمر انتقل إلى الأئمة المعصومين ﷺ وهو ما يمكن إثباته بالأدلة الأربعة: الكتاب والسنة والعقل والإجماع.

وقد بلغ إجماع علماء المسلمين الشيعة من الوضوح؛ بحيث لم يشكك به حتى علماء سائر المذاهب الأخرى، دون الحاجة للعودة إلى النصوص الواردة عنهم. وبشكل عام فإن أهم سمة لأصل «الإمامة» الذي يعتبر من أصول المذهب الإسلامي الشيعي هو الاعتقاد بأن زعامة الأمة الإسلامية أوكلت بعد الرسول ﷺ إلى أئمة أهل البيت ﷺ، ولهذا يعتقد المسلمون الشيعة بأن للنبي ﷺ إضافة إلى منصب النبوة والرسالة منصب الإمامة^(١). فإن منصب النبوة يعني معرفة الأسرار الإلهية في عالم التكوين والتشريع، ومنصب الرسالة هو تكليفه إيصال معارفه إلى الناس، أما منصب الإمامة فيعني زعامة المجتمع وإدارته.

ففيما يخص الدليل العقلي فقد تمسك البعض بقاعدة «اللطف» واكتفوا بها لإثبات زعامة النبي أو الإمام المعصوم للمجتمع، غير أن بعض العلماء عدّوا ذلك غير كافٍ، والتجأوا إلى دليل «الحكمة»^(٢).

ويعني هذا الدليل - باختصار شديد - مايلي:

(١) نعني بالإمامة هنا زعامة الأمة الإسلامية وقيادتها. والمعنى الآخر للفظ الإمامة الذي يستخدم بشأن الأئمة المعصومين (ع) التوفر على العلم الإلهي ويشبه منصب النبوة. وقد عدّ البعض خطأ أن معنى الإمامة ينحصر في المفهوم الثاني فقط (راجع: مهدي حائري يزدي: حكمت وحكومت (الحكمة والحكومة) بالفارسية، ص ١٧١).

(٢) خلافاً لآراء البعض الذين اعتبروا قاعدة اللطف بأنها الدليل العقلي الوحيد دون أي تحقيق أو تدقيق، وإهمالاً للشبهات التي أثبتت منذ قرون على ذلك - نحو اعتراضات الفخر الرازي - تصوّروا أنهم أوّل من انتقد هذه القاعدة وأغلّقوا برفضها باب الاستدلال العقلي (راجع: مهدي حائري يزدي، حكمت وحكومت، ص ١٧٣-١٧٦).

بعد إثباته لله تعالى والعالم غير المادي والمعاد، يستنتج العقل بأن ما يفعله الفرد في هذه الدنيا يمكن أن يترك تأثيراً دائماً على حياته الأخروية، ولما كان العقل عاجزاً عن كشف هذه التأثيرات وتحديد حالاتها؛ فإن الحكمة الإلهية تقتضي أن تكشف بنحوٍ ما طريق السعادة للبشر، وترسل إليهم الرسل، ويفترض أن يكون هؤلاء الرسل معصومين من الخطأ في تلقّي التعاليم الإلهية وإبلاغها للناس. ويصل العقل في تحليله لمسألة العصمة إلى نتيجة مؤداها تلازم العصمة في تلقّي الوحي وإبلاغه مع العصمة في جميع الأمور، حتى في الخطأ والنسيان^(١)، وهي سمة يجب أن تتوفر في الرسول. ثم يحكم العقل بأن زمام أمور المجتمع يجب أن يتقلدها المعصوم حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية، وعليه فإن الدين هو الذي نصّ على أن يكون الرسول ﷺ متولياً لشؤون المجتمع. وإذا تحرّى العقل عن منصب الإمامة ووجد الإمام مفسّراً لما جاء به النبي عن الله؛ فإنه يصل إلى النتيجة نفسها^(٢).

بعد أن يُثبت العقل العصمة للرسول والإمام، تقتضي الحكمة الإلهية في تفويض زعامة المجتمع إلى هؤلاء؛ لتثبت لهم عن هذا الطريق «الولاية» التي تعنى إدارة المجتمع.

ثمة آيات كثيرة فيها دلالة على ثبوت الولاية النبوية^(٣)، ربما كان أوضحها الآية الكريمة: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾^(٤)، وحاصل مفاد هذه الآية ثبوت الأولوية للنبي الأكرم ﷺ حيال المؤمنين من

(١) وضحنا هذا البحث بشكل كامل في الجزء الثاني من: مباني كلامي اجتهد (المباني الكلامية للاجتهد) بالفارسية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) راجع: منتظري، ولاية الفقيه، ج ١، ص ٣٧-٧٢.

(٤) الأحزاب: ٦.

أنفسهم، أي أن قرار النبي ﷺ حيال فردٍ معيّن تجب طاعته ولا يمكن نقضه، سواء تعلّق القرار بالشؤون الشخصية للمؤمنين، أو في نطاق شؤونهم الاجتماعية^(١)؛ وتثبت هذه الآية الولاية المطلقة للنبي الأكرم ﷺ في دائرة المباحات الشرعية، بوصفها المنطقة التي يستطيع أن يتحرّك فيها الفرد ويتخذ القرارات الخاصة به.

يشير النبي الأكرم ﷺ إلى هذه الآية في حادثة الغدير وفقاً لروايات متواترة حينما يخاطب الناس ويقول: «ألسن أولى بكم من أنفسكم؟»، ثم يردف قائلاً بعد إقرار الناس بذلك: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»^(٢)، لتثبت الولاية النبوية إلى علي عليه السلام وبقية الأئمة المعصومين عليهم السلام^(٣).

والآية الأخرى ذات الدلالة على الولاية النبوية والعلوية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٤).

في هذه الآية الكريمة التي تعدّ ميثاق العقيدة الإسلامية الشيعية في باب الولاية، يثبت الله تعالى ابتداءً الولاية لنفسه، ثم لرسوله ثم للذين آمنوا؛ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، رغم أن هذه العبارة الأخيرة «الذين آمنوا...» يمكن تطبيقها على مصاديق مختلفة، لكن المراد بها حسب الروايات الشيعية والسنية هو علي بن أبي طالب عليه السلام^(٥).

وفي هذه الآية أيضاً إثبات للولاية بشكلها المطلق للرسول والأئمة

(١) راجع: السيد كاظم الحائري، ولاية الأمر في عصر الغيبة، ص ١٥٣؛ منتظري، ولاية الفقيه، ج ١، ص ٤٠-٣٧.

(٢) راجع: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٧، ص ١٠٨؛ منتظري، ولاية الفقيه، ج ١، ص ٤١.

(٣) راجع: السيد كاظم الحائري، ولاية الأمر في عصر الغيبة، ص ١٥٣.

(٤) المائدة: ٥٥.

(٥) راجع: السيوطي، الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٩٣؛ البحراني، تفسير البرهان، ج ١، ص ٤٧٩.

المعصومين عليه السلام دون أي اختصاص بدائرة معينة.

وهناك أيضاً الكثير من الروايات الواردة في باب ولاية المعصومين عليه السلام أشرنا إلى بعض منها في ثنايا البحث، وسنشير إلى أخرى لاحقاً. مثال ذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله في ذيل الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾: «إنما يعني أولى بكم أي أحق بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم؛ الله ورسوله والذين آمنوا يعني علياً وأولاده الأئمة عليه السلام إلى يوم القيامة»^(١).

ويرى الشيعة أن ولاية الفقيه في عصر الغيبة استمرار لولاية الأئمة المعصومين عليه السلام وهي بدورها امتداد لولاية النبي الأكرم عليه السلام، وهذا يقود إلى الاعتقاد بلزوم وجود من هو عالم بأمور الدين على رأس المجتمع الإسلامي، وفي منصب الإدارة العليا له، يتولاه المعصوم عليه السلام في حضوره والفقيه في غياب المعصوم. فهذه الرؤية ناتجة عن الاعتقاد بأن الوظيفة الأصلية للحكومة من وجهة نظر الإسلام بسط القيم والأحكام الإلهية في المجتمع، ولا بد لتحقيق هذا الهدف أن يكون في أعلى مراكز القرار من هو مطلع على أمور الدين^(٢). كما يجب أن يكون على معرفة بالظروف المحيطة، وقادراً على إدارة المجتمع^(٣).

ولاية الفقيه، تحليل مفهومي

«الولاية» في اللغة مأخوذة من مادة «ولي» ولها - بإقرار علماء اللغة -

(١) راجع: الشيخ الكيني، أصول الكافي، ج ١، ص ٢٨٨، كتاب الحجة، باب مانص الله ورسوله على الأئمة عليه السلام، ح ٣.

(٢) راجع: مبحث أدلة ولاية الفقيه، الدليل العقلي.

(٣) راجع: مبحث شروط الولي الفقيه.

معنى واحد هو القرب^(١)، وقد تأخذ كلمة «الولي» ثلاثة معاني هي: الصديق والمحِبّ والناصر. وعلاوة على هذه المعاني^(٢) فإن لَلَفَظ «الولاية» معنيين آخرين هما: التسلط والزعامة والحكم^(٣).
وحيثما يستخدم لفظ «الولاية» مع الفقيه فإنه يراد به الحكم وقيادة المجتمع، وقد زعم البعض بأن هذا المعنى يستبطن مفهوم السيادة والرئاسة والسلطنة؛ مما يعكس وجود هيمنة للولي على المولى عليه^(٤)، بينما يُراد منه الإشراف على شؤون المولى عليه على قاعدة «سيد القوم خادهم»^(٥) وليس كلاً عليه.

لا تستخدم «الولاية» في المصطلحات الفقهية إلا في حالتين:

١- حينما يكون المولى عليه غير قادر على إدارة أموره بنفسه، كالميّت والسفيه والمجنون والصغير. وتعني «الولاية» في هذه الحالات القيمومة والإشراف، والملاك فيها عجز المولى عليه عن إدارة شؤونه، لهذا فإن المولى عليه هو الفرد العاجز فقط ويعتبر عنه في الفقه بـ«القاصر»، ثم أن هذه الولاية تنتهي بزوال عجز المولى عليه، فإذا عاد المجنون - مثلاً - إلى رشده أو كبر الصغير، ووصل إلى سنّ البلوغ؛ انتهت الولاية بمعنى القيمومة عليه.

(١) راجع: مقاييس اللغة، ج ٦، ص ١٤١؛ القاموس المحيط، ص ١٧٣٢؛ المصباح المنير، ج ٢، ص ٣٩٦؛ الصحاح، ج ٦، ص ٢٥٢٨؛ تاج العروس، ج ١٠، ص ٣٩٨.

(٢) أنكر بعض الباحثين أن يكون معنى الولاية هو الصديق أو الناصر، ورأوا أن معناها يقتصر فقط على التسلط أو الزعامة (راجع: المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، ج ١، ص ٥٥).

(٣) راجع: القاموس المحيط، ص ١٧٣٢؛ تاج العروس، ج ١٠، ص ٣٩٨؛ المصباح المنير، ج ٢، ص ٣٩٦.

(٤) راجع: مهدي حائري يزدي، حكمت وحكومت، ص ٦٧ و ١٧٧.

(٥) روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيد القوم خادهم في السفر» (انظر: المجلسي، البحار، ج ٧٦، ص ٢٧٣).

٢- حينما يستطيع المولى عليه إدارة شؤونه بنفسه مع وجود أمور أخرى تتطلب إشراف وولاية شخص آخر، وتعني هنا إدارة شؤون المجتمع، أي الولاية السياسية؛ ورغم أن للفقهاء الولاية بكلا المعنيين، بيد أن المقصود بولاية الفقيه في هذا البحث هو المعنى الثاني، ذلك أن الفقيه الولي على المجتمع يتولى الإشراف على كل أفراد ذلك المجتمع، بما فيه بقية الفقهاء وحتى نفسه، لا بدليل قصور المجتمع كمجتمع؛ كما يسؤل للبعض المقارنة بين ولاية الفقيه مع الولاية على الميت أو الصغير^(١)، إنما لحاجة كل مجتمع إلى من يديره. يقول الإمام علي عليه السلام: «ولا بد لكل قوم من أمير برّ أو فاجر»^(٢). وهذه حاجة اجتماعية، إذ يتطلب تنظيم الشؤون الاجتماعية وتحديد المسؤوليات في أية مجموعة إلى من يتولى أمر الرئاسة ويتدبّر أمر الزعامة.

للفقيه - إذن - الولاية على الأمة بوصفه المدير الذي يقود حركة المجتمع نحو الأهداف الإسلامية، والولاية في الحقيقة هي تجلّ للإدارة الدينية التي أشرنا إليها في البحوث السابقة.

السابقة التاريخية لولاية الفقيه

يرى البعض أن «ولاية الفقيه» بمفهوم تولّى المجتهد في الفقه زمام أمور المجتمع الإسلامي أمر جديد في تاريخ الفكر الإسلامي، لا يتعدى القرنين من الزمن. وزعم هذا البعض أن أيّ من الفقهاء الشيعة أو السنة لم يطرح موضوع حقّ الفقيه في زعامة البلدان الإسلامية، أو جميع بلدان العالم لكونه فقيهاً، إضافة إلى حقه في الفتوى والقضاء، وأن أوّل من ابتكره قبل

(١) راجع: مهدي حائري يزدي، حكمت وحكومت (الحكمة والحكومة) بالفارسية، ١٧٧.

(٢) صبحي الصالح، نهج البلاغة، الخطبة ٤٠، ص ٨٢.

أقل من قرنين: الملاً أحمد النراقي المعروف بفاضل الكاشاني؛ الذي عاصر الملك القاجاري «فتح علي شاه»، والسبب في ذلك - على حدّ هذا الادعاء - هو تقديم الدعم من قبل النراقي إلى الملك!!^(١).

إذ لو كان المرحوم النراقي بصدد دعم الملك؛ لساار على خطى بعض العلماء السابقين، وتمسّك ببعض الروايات مثل: «السلطان ظلّ الله في الأرض»^(٢)، وأوجب على الأمة إطاعته، كوظيفة شرعية إلهية^(٣)، لأن يجعل الفقيه هو الحاكم، مما لا يصدق هذا الأمر على الملك بأي وجه من الوجوه.

فإذا قيل: إنه أثبت أولاً هذا المنصب للفقيه، ثم أضفى بُعداً شرعياً لسلطة الملك من خلال تأييده لها كونه فقيهاً؛ أجيبناه: ما الفائدة التي ترتجى من إطالة الطريق، ولمّ لمّ يبادر مباشرة إلى تعريف الملك بأنه ظلّ الله، و يوجب طاعته؟

وإذا احتملنا بأنه كان يطمع في الزعامة، وأنه ما نسب هذه الاسطورة إلى الإسلام إلاّ لإشباع رغبته الجامحة؛ فلا بدّ من الإقرار بأن سلوك هذا الفقيه

(١) راجع: مهدي الحائري اليزدي، حكمت وحكومت، بالفارسية، ١٧٨.

(٢) راجع: المجلسي، بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٣٥٤، كتاب العشرة، باب أحوال الملوك والأمراء، الحديث ٦٩. وقد فسّر الإمام الخميني (قدس سره) هذه الروايات بحيث تصدق على الولي الفقيه أو الإمام المعصوم (ع).

(٣) لا بدّ من الانتباه إلى أن مثل هذه الروايات فسّرت بطريقتين: أ- أن من بيده السلطة والحكم هو ظلّ الله وواجب الطاعة، ولا تتدخل في لزوم الطاعة خصوصيات الحاكم وكيفية وصوله إلى السلطة، ومثل هذا التفسير يوافق دون شك أدواق الملوك والسلاطين ويبرر لما هو موجود وواقع فعلاً.

ب- إن من يتولى السلطة والحكم يجب أن يكون ظلّ الله، أي أن سلطته يجب أن تكون مشروعة ومؤيدة من قبل الله، وكذلك الصفات المتوفرة فيه، على أساس هذا التفسير فإن الطاعة تجب شرعاً فقط على من تتوفر فيه خصائص الحاكم التي يحددها الإسلام، ويتسلم الحكم بالإسلوب الذي يوافق الشرع. وهذه الخصائص نفسها يجب أن تتوفر في الفقيه الجامع للشرائط حسب نظرية ولاية الفقيه.

الزاهد والشاعر العارف ومعلّم الأخلاق رضوان الله عليه لا يدع مجالاً للريبة، وينزّه عنه أمثال هذه التهم والتحليلات الساذجة، وهي تُهم لا تناسب إلّا حال من ينسبها إلى هذه الشخصية الفذة.

لو تجاوزنا هذه الافتراءات البعيدة عن البحث والتحري العلمي، وألقينا نظرة عابرة على تاريخ الفكر الإسلامي في هذا المجال؛ لألفينا أنّ من مسلّمات الثقافة الإسلامية الشيعية هو تحميل الشارع المقدّس للفقهاء العدول إدارة المجتمع في عصر الغيبة، لهذا فإننا سنعرض عن أصل هذا الموضوع للتركيز في البحث على لوازمه والمكاسب التي تحقّقت.

يقول الشيخ المفيد (٣٣٣ أو ٣٣٨-٤١٣ هـ) وهو من أكابر فقهاء الشيعة في القرنين الرابع والخامس الهجري، في كتاب المقنعة، وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أن يبين مراتبهما ويصل إلى أعلاها، أي القتل والجرح: «وليس له القتل والجراح إلّا بإذن سلطان الزمان المنصوب لتدبير الأنام»، إلى أن يقول: «فأما إقامة الحدود فهو إلى سلطان الإسلام المنصوب من قبل الله تعالى، وهم أئمة الهدى من آل محمد ﷺ، ومن نصبوه لذلك من الأمراء والحكّام، وقد فوّضوا النظر فيه إلى فقهاء شيعتهم مع الإمكان»^(١).

يذكر الشيخ المفيد ﷺ في هذه العبارة التي يتضح منها الرعب المفروض من قبل حكام الجور، السلطان المنصوب من قبل الله تعالى أولاً، ويعدّه المرجع في اتخاذ القرار بشأن القتل والجرح في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يتطرق إلى موضوع إقامة الحد بوصفه مصداقاً بارزاً من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويؤكد^(٢) أن

(١) راجع: الشيخ المفيد، المقنعة، ص ٨١٠.

(٢) يتصور البعض أن إجراء الحدود والعقوبات الإسلامية يدخل في إطار القضاء، ويتعلق بشأن

تنفيذ هذا الأمر بعهددة سلطان الإسلام المعين من قبل الله تعالى، ويعرفه كالتالي:

١- الإمام المعصوم عليه السلام المنصوب مباشرة من قبل الله لإدارة المجتمع الإسلامي وتطبيق الحدود الإلهية.

٢- الأمراء والحكام المفوضون من قبل الإمام المعصوم عليه السلام لهذه المهمة في إدارة المجتمع الإسلامي وقيادته السياسية.

٣- الفقهاء الشيعة المنصوبون من قبل المعصوم عليه السلام لنفس المهمة في الزعامة وإقامة الحدود الإلهية.

إضافة إلى مسألة تصدي الأئمة المعصومين عليهم السلام للحكم - وهو أمر واضح ومسلم به في الثقافة الإسلامية الشيعية - يشير الشيخ المفيد إلى النواب الخاصين المعيّنين من قبل الأئمة المعصومين عليهم السلام لتقلد شؤون الأمور السياسية - مثل مالك الأشتر في عهد الإمام علي عليه السلام والنواب الأربعة في عصر الغيبة الصغرى للإمام المهدي (عج) - وإلى عموم النواب وهم الفقهاء الشيعة للتصدي لهذه المسؤولية.

ولم تفته مسألة العقوبات التي تمنع الفقهاء من مزاوله هذه الوظيفة الإلهية، فيقيّد القيام بذلك بعبارة «مع الإمكان»، وفي الحالات التي تنقل فيها كفة هذا «الإمكان» يقول: «فمن تمكّن من إقامتها على ولده وعبداه ولم يخف من سلطان الجور ضرراً به على ذلك؛ فليُقمّها»^(١).

هذه الفقرة التي تحزّ في قلب المرء، وتعصره ألماً؛ تكشف عن مظلومية الفكر الإسلامي الشيعي في الكثير من أدوار التاريخ الإسلامي، وتبيّن

→ القضاء عند الفقيه، بينما يعني القضاء في الاصطلاح الفقهي التحكيم والفصل في النزاعات، فيما يعدّ تنفيذ العقوبات الإسلامية من شؤون ولاية الفقيه، أي التصدي لإدارة شؤون المجتمع.

(١) راجع: الشيخ المفيد، المقنعة، ص ٨١٠.

وضوح مسألة «ولاية الفقيه» في فكر أتباع مدرسة أهل البيت (عليه السلام) وثقافتهم.

ثم يتطرق الشيخ المفيد إلى شكل آخر من إمكانية تطبيق الحدود الإلهية إذ يقول: «وهذا فرض متعين على من نصبه المتغلب لذلك، على ظاهر خلافته له، أو الإمارة من قبله على قوم من رعيته، فيلزمه إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار»^(١). أي أن على الفقيه أن يقيم الحدود الإلهية إذا وضع من قبل سلاطين الجور وحكام الظلم في منصب يؤهله للقيام بذلك، دون أن يصيبه ضرر. وفي عبارة الشيخ المفيد إشارة إلى أربع نقاط:

١- إقامة الحدود الإلهية وتنفيذ العقوبات الإسلامية وهو من صلاحيات الحاكم الإسلامي.

٢- إجراء وتنفيذ الأحكام التي تشمل جميع الأحكام الإسلامية بإطلاقها والوظائف الشرعية، وعلى الفقيه أن يسعى إلى تحكيم الإسلام في كل شؤون المجتمع.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تعدّ المراتب العليا فيها من مختصات الحاكم الإسلامي؛ وهو ما أشار إليه الشيخ المفيد قبل هذا أيضاً.

٤- جهاد الكفار الذي يشمل الدفاع، بل والهجوم أيضاً^(٢).

ثم يتطرق الشيخ المفيد إلى هذا الموضوع مرة أخرى، ربما ليفلق الطريق

(١) المصدر نفسه.

(٢) يمكن الاستفادة من هذه العبارة في إمكانية إعلان الجهاد الابتدائي من قبل الفقيه، ويتطلب التحقيق في هذا الموضوع مجالاً آخر لا يسعنا الآن إلا أن نتطرق إليه باختصار في الصفحات التالية من البحث.

أمام أيّ تسويغ غير مقبول، وتفسير غير معقول، فيقول: «وللفقهاء من شيعة الأئمة عليهم السلام أن يجمعوا بإخوانهم في الصلوات الخمس، وصلوات الأعياد والاستسقاء والخسوف والكسوف إذا تمكّنوا من ذلك وأمنوا فيه من معرّة أهل الفساد ولهم أن يقضوا بينهم بالحق، ويصلحوا بين المختلفين في الدعاوى عند عدم البيّنات، ويفعلوا جميع ما جعل إلى القضاة في الإسلام، لأن الأئمة عليهم السلام قد قوّضوا إليهم ذلك عند تمكنهم منه بما ثبت عنهم فيه من الأخبار، وصحّ به النقل عند أهل المعرفة به من الآثار»^(١).

يشير الشيخ المفيد هنا إلى مسألتين مهمتين:

- ١- إقامة الصلوات مثل الجمعة والفطر والأضحى والاستسقاء والوحشة.
- ٢- الحكم والقضاء.

ويعتبر كلاهما من شؤون الفقهاء المفوضين بذلك من قبل أهل البيت عليه السلام؛ بدليل الروايات الواردة، مما سنشير إليها بالتفصيل عندما نتقدم في البحث، على أن نكتفي الآن بملاحظة مفادها: أن الروايات المعتبرة قد صرّحت بضرورة وجود «الإمام العادل» في صلاة الفطر والأضحى^(٢) وأشارت إلى هذا الشرط في الجمعة^(٣)، وقد فسّر بعض الفقهاء الإمام العادل: بأنه الإمام المعصوم عليه السلام، وعندهم عدم وجوب هذه الصلاة في عصر الغيبة. لكن الشيخ المفيد عدّ إقامتها من وظائف الفقهاء الشيعة، وهذا يعني أنه اعتبرهم مصداقاً للإمام العادل. ويتفق هذا المفهوم مع ما

(١) الشيخ المفيد، المقنعة، ص ٨١١.

(٢) الشيخ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٩٥-٩٦، كتاب الصلاة، أبواب صلاة العيد، الباب ٢، الحديث ١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢-١٣، كتاب الصلاة، أبواب صلاة الجمعة وآدابها، الباب ٥.

سبق طرحه في كون جهاد الكفار من وظائف الفقهاء أيضاً، لأن هذا الكلام يشمل بإطلاقه على الأقل الجهاد الابتدائي. وقد شرطت الروايات الجهاد بوجود الإمام الواجب الطاعة^(١). ويرى بعض الفقهاء بأن المصداق ينطبق فقط على الإمام المعصوم عليه السلام، ولا يجوز الجهاد الابتدائي بأمر الفقيه، بينما يعتقد الشيخ المفيد بأن الفقيه الشيعي المكلف من قبل الإمام المعصوم عليه السلام في تولي الأمور في عصر الغيبة هو من مصاديق الإمام الواجب طاعته الذي يستطيع أن يأمر بجهاد الكفار ابتداءً.

إن ما كتبه هذا الفقيه الفذ كله يوحى بتبني مبدأ ولاية الفقيه، وتصدية لأمر المجتمع الإسلامي في عصر الغيبة، من قبل المعصومين عليهم السلام. وما زالت هذه الكلمات تتلأأ منذ أكثر من ألف عام، رغم أن البعض لا يرى بريقها أو يتعاضى عنها.

في بحث الأنفال، يقول الشيخ المفيد بعد أن يبين أنها لرسول الله صلى الله عليه وآله وخلفائه الأئمة عليهم السلام: «ليس لأحد أن يعمل في شيء مما عدّناه من الأنفال إلا بإذن الإمام العادل»^(٢).

وبلحاح بداية هذه العبارة وما جاء في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمكن أن نستنتج بأن الشيخ المفيد وكسائر العلماء الشيعة كان ينطلق من فكرة «الإمام العادل»، ومصادقه من كانت ولايته مفوضة من قبل الله تعالى إما بالتعيين المباشر أو من خلال تكليف هؤلاء المعينين. وفي مقابل هذا المفهوم نواجه في الثقافة الإسلامية الشيعية مصطلحات «إمام الجور» أو «سلطان الجور» أو «الإمام الظالم»، والمراد به الحاكم الذي لا تستند سلطته إلى الله تعالى ولم يُمضها الشرع، ولا تجوز شرعاً

(١) راجع: المصدر نفسه، ج ١١، ص ٣٢-٣٥، كتاب الجهاد، أبواب جهاد العدو، الباب ١٢.

(٢) الشيخ المفيد، المقنعة، ص ٢٧٩.

طاعة مثل هذا الشخص. وعليه فليس المقصود من السلطان العادل أو أيّ تعبير مماثل هو الحاكم الذي يمارس العدالة في حكمه، كما أن المقصود من سلطان الجور وأشباهه لا يعني ممارسة الظلم في الحكم، وإنما المراد بالأول الحاكم الذي يستمد شرعيته من الله^(١)، والثاني الحاكم الذي ليس لحكمه هذه الشرعية.

ولإلقاء المزيد من الضوء على المدى التاريخي في مبحث ولاية الفقيه نطالع ما قاله كبار الفقهاء الشيعة بهذا الصدد:

١- الشيخ أبو الصلاح الحلبي (ت: ٤٤٧ هـ)

وهو من تلامذة السيد المرتضى والشيخ الطوسي، وقد خصّص في كتاب «الكافي» فصلاً لمسألة الولاية التي عبّر عنها بـ «تنفيذ الأحكام» قائلاً: «تنفيذ الأحكام الشرعية والحكم بمقتضى التعبد فيها من فروض الأئمة المختصة بهم دون من عداهم ممّن لم يؤهّله لذلك»^(٢).

ألقت العبارة، مسألة تنفيذ الأحكام الشرعية والحكم على أساسها التي تشمل جميع الشؤون الحكومية والسياسية، على عاتق الأئمة المعصومين عليهم السلام ومن يفوضونه لذلك ممّن يجب أن تتوفر فيهم بعض الشروط، يبيّنها الشيخ أبو الصلاح الحلبي كما يلي:

«العلم بالحق في الحكم المردود إليه، والتمكن من إمضائه على وجهه، واجتماع العقل والرأي، وسعة الحلم، والبصيرة بالوضع، وظهور العدالة، والورع، والتدين بالحكم، والقوة على القيام به، ووضعه

(١) وبطبيعة الحال فإن العدالة هي من شروط هذا الحاكم.

(٢) أبو الصلاح الحلبي، الكافي في الفقه، ص ٤٢٢.

مواضعه»^(١).

إن هذه الشروط تذكّرنا بالمادة التاسعة بعد المائة من دستور الجمهورية الإسلامية الذي دُوّن بعد قرون من ذلك التاريخ، والتي تحدّد شروط القائد بما يلي: «١- الأهلية العلمية اللازمة للإفتاء في أبواب الفقه المختلفة. ٢- العدالة والتقوى اللازمة لقيادة الأمة الإسلامية. ٣- البصيرة السياسية والاجتماعية والتدبير والشجاعة والإدارة والقدرة الكافية على القيادة».

٢- ابن إدريس الحلّي (ت: ٥٩٨ هـ)

بعد نحو قرن ونصف من عصر الشيخ أبو الصلاح الحلبي، خصّص ابن إدريس الحلّي في كتاب «السرائر» فصلاً لبحث الولاية التي سمّاها «تنفيذ الأحكام»، وعدّها في عبارة مماثلة لما قاله الشيخ الحلبي من مختصات الأئمة المعصومين عليهم السلام ومن يتمكن منها وفق الشروط التالية: «العلم بالحق في الحكم المردود إليه، والتمكن من إمضائه على وجهه، واجتماع العقل والرأي، والحزم، والتحصيل وسعة الحلم، والبصيرة بالوضع، والتواتر بالفتيا والقيام بها، وظهور العدالة والتدين بالحكم، والقوة على القيام به، ووضعه مواضعه»^(٢).

فالشرط الوحيد الذي أضافه على شروط الحلبي هو: التواتر بالفتيا والقيام بها، ولعله قصد به التأكيد على اجتهاد الشخص النائب الذي أشير إليه في الشرط الأوّل، وهو العلم بالحق في الحكم الراجع إليه.

(١) المصدر نفسه، ٤٢٣.

(٢) ابن إدريس الحلّي، السرائر، ج ٣، ص ٥٣٧.

٣- المحقق الحلي (ت: ٦٧٦ هـ)

«يجب أن يتولّى صرف حصة الإمام عليه السلام إلى الأصناف الموجودين، من إليه الحكم بحق النيابة كما يتولّى أداء ما يجب على الغائب».

وفي توضيح هذه الفقرة يقول الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (ت: ٩٦٦ هـ): «المراد به (مَن إليه الحكم بحق النيابة) الفقيه العدل الإمامي الجامع لشرائط الفتوى، لأنه نائب الإمام ومنصوبه»^(١).

٤- المحقق الكركي (ت: ٩٤٠ هـ)

«اتَّفَق أصحابنا رضوان الله عليهم على أن الفقيه العدل الإمامي الجامع لشرائط الفتوى والمعبّر عنه بالمجتهد في الأحكام الشرعية نائب من قبل أئمة الهدى صلوات الله وسلامه عليهم في حال الغيبة، في جميع ما للنيابة فيه من مدخل... فيجب التحاكم إليه، والانتقياد إلى حكمه، وله أن يبيع مال الممتنع من أداء الحق إن احتيج إليه، ويولي أموال الغيَّاب والأطفال والسفهاء والمفلسين، ويتصرّف على المحجور عليهم، إلى آخر ما يثبت للحاكم المنصوب من قبل الإمام عليه السلام. والأصل فيه مارواه الشيخ في التهذيب بإسناد إلى عمر بن حنظلة»^(٢).

ثم يثني المحقق الكركي على سيرة كبار علماء الشيعة أمثال السيد المرتضى والشيخ الطوسي وبحر العلوم والعلامة ويقول: إن من يراجع بإنصاف هذه السيرة؛ يرى أنهم ساروا على هذا المنحى، وأوردوا ما اعتقدوا بصحته في مؤلفاتهم وكتبهم^(٣).

(١) زين العابدين بن علي العاملي الجبلي، مسالك الإفهام، ج ١، ص ٥٣.

(٢) المحقق الكركي، رسائل المحقق الثاني، رسالة صلاة الجمعة، ج ١، ص ١٤٢.

(٣) لاحظنا أمثلة على هذا الشيء في كلام الشيخ المفيد أستاذ السيد المرتضى والشيخ الطوسي.

٥- المولى أحمد المقدّس الأردبيلي (ت: ٩٩٠ هـ)

يكتب في استحباب دفع الزكاة إلى الفقيه: «دليله مثل ما مرّ أنه أعلم بمواقعه وحصول الأصناف عنده، فيعرف الأصل والأولى، وأنه خليفة الإمام فكان الواصل إليه، واصلًا إليه ﷺ»^(١).

ويعتقد الحاج آقا رضا الهمداني (ت: ١٣٢٢ هـ) بأن إيصال المال إلى يد الفقيه كإيصاله إلى يد الإمام ﷺ: «إذ بعد فرض النيابة يكون الإيصال إليه بمنزلة الإيصال إلى الإمام ﷺ»^(٢).

٦- جواد بن محمد الحسيني العاملي (ت: ١٢٢٦ هـ)

صاحب كتاب «مفتاح الكرامة»، وله اطلاع واسع على آراء الفقهاء الشيعة، إذ يعتبر الفقيه نائباً للإمام المهدي ﷺ ومنصوباً من قبله ويقول: إن العقل والإجماع والأخبار كلها تدل على ذلك، فأما العقل فإنّ الأمور سوف تشكل على الأمة، ويتفكك نظام الحياة إذا لم تكن للفقيه نيابة وإجازة عن الإمام المهدي ﷺ، أمّا الإجماع^(٣) فيؤكد أنه يمكن الادعاء بأن علماء الشيعة متفقون على هذا الأمر، واتفاقهم حجة. وأمّا الروايات فإنّ دلالتها على هذا الموضوع كافية وواضحة، ومنها رواية الصدوق^(٤) في إكمال الدين حينما يكتب الإمام ﷺ في جواب أسئلة إسحاق بن يعقوب: «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله»^(٥).

(١) المقدّس الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان، ج ٤، ص ٢٠٥.

(٢) الحاج آقا رضا الهمداني، مصباح الفقيه، كتاب الخمس، ص ١٦٠.

(٣) «الإجماع» يعني اتفاق آراء العلماء إزاء مسألة معينة بوجود الدليل المعتبر، وتكشف عن رأي المعصوم (ع).

(٤) سنوضح في البحوث التالية كيفية دلالة هذه الرواية (أنظر: مبحث أدلة ولاية الفقيه، الدليل النقلي).

(٥) راجع: الحسيني العاملي، مفتاح الكرامة (كتاب القضاء)، ج ١٠، ص ٢١.

٧- الملا أحمد النراقي (ت: ١٢٤٥ هـ)

للفقيه ولاية على أمرين: «١- كلما كان للنبي والإمام -الذين هم سلاطين الأنام وحصون الإسلام- فيه الولاية، وكان لهم فلفقيه أيضاً ذلك، إلا ما أخرج الدليل من إجماع أو نص أو غيرهما. ٢- إن كل فعل متعلق بأمور العباد في دينهم أو دنياهم، ولا بدّ من الإتيان به ولا مفر منه؛ إمّا عقلاً أو عادة من جهة توقف أمور المعاد أو المعاش لواحد أو جماعة عليه، وإناطة انتظام أمور الدين أو الدنيا به، أو شرعاً من جهة ورود أمر به أو إجماع، أو نفي ضرر أو إضرار أو عسر أو حرج، أو فساد على مسلم، أو دليل آخر، أو ورد الأذن فيه من الشارع. ولم يجعل وظيفة لمعيّن واحد أو جماعة ولا لغير معيّن أي واحد لا بعينه، بل علم لابتدئة الإتيان به أو الإذن فيه، ولم يعلم المأمور به ولا المأذون فيه وظيفة الفقيه، وله التصرف فيه والإتيان به^(١).

أما الأول (كلما كان للنبي والإمام... فلفقيه أيضاً ذلك) فالدليل عليه بعد ظاهري الإجماع، حيث نص به كثير من الأصحاب بحيث يظهر منهم، كونه من المسلمات ما صرح به الاخبار المتقدمة.. وأما الثاني فيدل عليه بعد الإجماع أيضاً أمران...»^(٢).

٨- مير فتاح المراغي (ت: ١٢٦٦-١٢٧٤ هـ)

ويستدل على ولاية الفقيه:

(١) ما وضحه النراقي في هذه الفقرة هو الأمور الحسبية التي يرى بعض الفقهاء المتأخرين مثل السيد الخوئي، أن ولاية الفقيه تخص هذه الدائرة فقط، ولا يوافقون على ولاية الفقيه في جميع الأمور التي للمعصوم ولاية عليها.

(٢) النراقي، أحمد، عوائد الأيام، ص ١٨٧-١٨٨.

- ١- الإجماع المحصل^(١) من دلائل ولاية الفقيه، حتى وإن تصوّر البعض بأن الإجماع أمر لبّي^(٢) - أي أنه مضمون ليس فيه ألفاظ خاصة - ولا يمكن التمسك به في حالات الخلاف. نعم إن هذا صحيح إذا كان المراد من الإجماع؛ الإجماع القائم على حكم واقعي، لا سبيل إلى الخلاف والتخصيص فيه، ولكن إذا قام الإجماع على القاعدة - أي قام الإجماع على ولاية الفقيه في الحالات التي لانملك فيها دليلاً على ولاية غير الحاكم - وهذا الإجماع مثل الإجماع على أن الأصل هو الطهارة، حيث يمكن التمسك به أثناء الشك. فإن الفرق بين الإجماع على الحكم والإجماع على القاعدة واضح، ومن يستطلع أقوال الفقهاء؛ يتضح له هذا المعنى.
- ٢- الإجماع المنقول، فمن الشائع جداً في كلام الفقهاء نقل مثل هذا الإجماع على أن للفقيه ولاية في جميع الحالات التي لانملك دليلاً على ولاية غير الفقيه فيها^(٣).

٩- الشيخ محمد حسن النجفي (ت: ١٢٦٦هـ)

يقول حول عمومية ولاية الفقيه: «... ظاهر الأصحاب عملاً وفتوى في سائر الأبواب عمومها (ولاية الفقيه)، بل لعله من المسلمات أو الضروريات عندهم»^(٤).

(١) «الإجماع المحصل» اتفاق رأي العلماء حول مسألة معينة، يكشف عنه الفقيه نفسه بعد مراجعته لفتاواهم وكتبهم. ومقابله «الإجماع المنقول» وهو الإجماع الذي ينقل عن شخص واحد أو عدة أشخاص.

(٢) الدليل «اللبّي» مقابل الدليل «اللفظي» وهو عبارة عن دليل ليس فيه لفظ خاص. ويعتد الإجماع والسيرة من الأدلة اللبّية، والآيات والروايات من الأدلة اللفظية.

(٣) راجع: ميرفتاح المراغي، العناوين، ص ٣٤٥.

(٤) محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ج ١٦، ص ١٧٨.

«إطلاق أدلة حكومته خصوصاً رواية النصب^(١) التي وردت عن صاحب الأمر روي له الفداء يصير من أولى الأمر الذين أوجب الله علينا طاعتهم، نعم من المعلوم اختصاصه في كل ماله في الشرع مدخلية حكماً أو موضوعاً، ودعوى اختصاص ولايته بالأحكام الشرعية يدفعها معلومية توليه كثيراً من الأمور التي لا ترجع للأحكام... ويمكن تحصيل الإجماع عليه من الفقهاء؛ فإنهم لا يزالون يذكرون ولايته في مقامات عديدة، لا دليل عليها سوى الإطلاق الذي ذكرناه المؤيد بمسيس الحاجة إلى ذلك أشد من مسيسها في الأحكام الشرعية»^(٢).

وحول صلاحيات ولاية الفقيه يقول: «...لظهور قوله ﷺ: فإني قد جعلته عليكم حاكماً» في إرادة الولاية العامة نحو المنصوب الخاص، كذلك إلى أهل الأطراف، والذي لا إشكال في ظهور إرادة الولاية العامة في جميع أمور المنصوب عليهم فيه، بل قوله ﷺ: «فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»، أشدّ ظهوراً في إرادة كونه حجة فيما أنا فيه حجة الله عليكم، ومنها إقامة الحدود... أن المقتضي لإقامة الحد قائم في صورتني حضور الإمام وغيبته، وليست الحكمة عائدة إلى مقيمته قطعاً، فتكون عائدة إلى مستحقه، أو إلى نوع من المكلفين وعلى التقديرين لا بد من إقامته مطلقاً، بثبوت النيابة لهم في كثير من المواضع؛ على وجه يظهر منه عدم الفرق بين مناصب الإمام أجمع، بل يمكن دعوى المفروغية منه بين الأصحاب، فإن كتبهم مملوءة بالرجوع إلى الحاكم المراد به نائب الغيبة في سائر المواضع... لولا عموم الولاية؛ لبقى كثير من الأمور المتعلقة بشيعتهم

(١) الشيخ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٠١، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، باب

(٢) محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ج ١٥، ص ٤٢١-٤٢٢.

معطلة، فمن الغريب وسوسة بعض الناس في ذلك، بل كأنه ما ذاق من طعم الفقه شيئاً، ولا فهم من لحن قولهم ورموزهم أمراً، ولا تأمل المراد من قولهم: إني جعلته عليكم حاكماً وقاضياً وحجة وخليفة ونحو ذلك، مما يظهر منه إرادة نظم زمان الغيبة لشيعتهم في كثير من الأمور الراجعة إليهم، ولذا جزم فيما سمعته من كتاب المراسم (لسلار ابن عبد العزيز) بتفويضهم عليهم السلام لهم في ذلك... وبالجمله فالمسألة من الواضحات التي لا تحتاج إلى أدلة»^(١).

«... ويمكن بناءً على ذلك - بل لعله الظاهر - على إرادة النصب العام في كل شيء على وجه يكون له ما للإمام عليه السلام كما هو مقتضى قوله عليه السلام: «فإني جعلته حاكماً» أي ولياً متصرفاً في القضاء وغيره من الولايات ونحوها.

بل هو مقتضى قول صاحب الزمان روي له الفداء: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله» ضرورة كون المراد منه أنهم حجتي عليكم في جميع ما أنا فيه حجة الله عليكم إلا ما خرج، وهو لا ينافي الإذن لغيره في الحكم بخصوص ما علمه من الأحكام الخاصة، وليس له هذه الرئاسة العامة أو يكون من قبيل قاضي التحكيم.

وحينئذ فتظهر ثمرة ذلك بناءً على عموم هذه الرئاسة أن للمجتهد نصب مقلده للقضاء بين الناس بفتاواه التي هي حلالهم وحرامهم، فيكون حكمه حكم مجتهد وحكم مجتهد حكيم، وحكمهم حكم الله تعالى شأنه، والراء عليه راء على الله تعالى.

(١) محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ج ٢١، ص ٣٩٥-٣٩٧.

ولا يخفى وضوح ذلك لدى كل من سرد نصوص الباب المجموعة في الوسائل وغيرها، بل كاد يكون من القطعيات»^(١).

١٠- الشيخ مرتضى الأنصاري (ت: ١٢٨١ هـ)

رغم أن الشيخ الأنصاري يرى في كتاب المكاسب أن حدود الولاية غير مطلقة، لكنه يصرح بأن ولاية الفقيه ثابتة في الأمور المسلّم بمشروعيتها^(٢). وفي كتاب القضاء يقسم الأمور المرتبطة بالإمام المعصوم عليه السلام إلى قسمين: ١- ما هو وظيفة الإمام عليه السلام وشغله. ٢- وما هو وليّ فيه، ويقول: إن القسم الأول يرتبط بزمان الإمام المعصوم عليه السلام، لكن الثاني يشمل جميع الأزمنة، ثم يعدّ نصب الفقهاء من قبل الإمام المعصوم عليه السلام مرتبطاً بالقسم الثاني ويذكر ولاية الفقهاء على أنها حكومتهم في زمن الغيبة^(٣).

١١- الحاج آقا رضا الهمداني (ت: ١٣٢٢ هـ)

«وكيف كان فلا ينبغي الاستشكال في نيابة الفقيه الجامع لشرائط الفتوى عن الإمام عليه السلام حال الغيبة في مثل هذه الأمور، كما يؤيده التتبع في كلمات الأصحاب؛ حيث يظهر منها كونها لديهم من الأمور المسلّمة في كل باب، حتى أنه جعل غير واحد عمدة المستند لعموم نيابة الفقيه لمثل هذه الأشياء، هو الإجماع هذا...»^(٤).

(١) محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ج ٤٠، ص ١٨.

(٢) راجع: الشيخ مرتضى الأنصاري، المكاسب، ص ١٥٤، س ٣٤.

(٣) راجع: الشيخ مرتضى الأنصاري، كتاب القضاء والشهادات، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٤) الحاج آقا رضا الهمداني، مصباح الفقيه، كتاب الخمس، ص ١٦٠-١٦١.

١٢- السيد محمد بحر العلوم (ت: ١٣٢٦هـ)

لبحر العلوم بحث حول ما إذا كانت أدلة ولاية الفقيه تدل على عموم الولاية أم لا، يقول: «إن المهم في المقام هو النظر في أدلة النيابة من حيث استفادة العموم منها وعدمه، فنقول: إن ما يتوقف على إذن الإمام عليه السلام ... من حيث رئاسته الكبرى على كافة الأنام، الموجب للرجوع إليه في كل ما يرجع إلى مصالحهم المتعلقة بأمور معادهم أو معاشهم، ودفع المضار عنهم وتوجه الفساد إليهم، مما يرجع فيه المرؤوسون من كل ملة إلى رؤسائهم إتقاناً للنظام المعلوم، كونه مطلوباً مدى الليالي والأيام، فلا بد من استخلاف من يقوم مقامه في ذلك، حفظاً لما هو المقصود من النظام... فتعين كون المنصوب هو الفقيه الجامع للشرائط في زمن الغيبة، مع ظهور بعض الأدلة المتقدمة في ذلك، كقوله عليه السلام: «وأما الحوادث الواقعة... فإن المتبادر منها عرفاً استخلاف الفقيه على الرعية... هذا مضافاً إلى غير ما يظهر لمن تتبع فتاوى الفقهاء في موارد عديدة، كما ستعرف في اتفاقهم على وجوب الرجوع فيها إلى الفقيه مع أنه غير منصوص عليها بالخصوص، وليس إلا لاستفادتهم عموم الولاية له بضرورة العقل والنقل، بل استدلووا به عليه، بل حكاية الإجماع عليه فوق حد الاستفاضة،^(١) وهو واضح بحمد الله تعالى، لاشك فيه ولا شبهة تعتريه»^(٢).

١٣- آية الله البروجردي (ت: ١٣٨٢هـ)

يرى أن ولاية الفقيه أمراً بديهياً واضحاً في موارد ابتلاء الناس؛ إلى الحد

(١) الاستفاضة تعني الكثرة، ويطلق على الرواية التي تنقل بإجماع عدد من الأفراد بأنه «الخبر المستفيض» أو «الإجماع المنقول المستفيض».

(٢) السيد محمد بحر العلوم، بلغة الفقيه، ج ٣، ص ٢٢١، وص ٢٣٢-٢٣٤.

الذي يستغني فيه عن مقبولة عمر بن حنظلة: «وبالجملة كون الفقيه العادل منصوباً لمثل تلك الأمور المهمة التي يُبتلى بها العامة، مما لا إشكال فيه إجمالاً بعدما بيّناه ولا محتاج في إثباته إلى مقبولة ابن حنظلة، غاية الأمر كونها أيضاً من الشواهد»^(١).

١٤- الشيخ مرتضى الحائري (ت: ١٣٦٢ هـ/ش)

يرى أن التوقيع الشريف هو من أدلة ولاية الفقيه، ويكفي في ثبوت الإذن للفقيه (لإقامة صلاة الجمعة)، ويقول: إنه وضّح سند التوقيع الشريف في كتاب ابتغاء الفضيلة. وقد أشكل في الاستدلال بهذه الرواية على أن في السؤال إجمالاً، وهذا إشكال مرفوض، لوجود الإطلاق في ذيل الرواية، وهي في مقام التعليل وبيان القاعدة الكلية، وإن الإجمال في السؤال لا يولد أي إشكال. وإذا كان في السؤال بعض الحوادث الجديدة، فلا يضر ذلك بعمومية الرواية، لأن في ذيلها العمومية، وإن العلة تعمم الحكم، وتقريب الاستدلال بهذه الرواية هو: «إن الفقيه حجة من جانب الإمام»، ومعنى الحجة في العرف: أن له المرجعية والحجية في جميع الحالات التي يجب أن يراجع فيها الإمام^(٢).

١٥- الإمام الخميني (ت: ١٣٦٨ هـ/ش)

يعتقد الإمام الخميني بالولاية المطلقة للفقيه، أي أن له في زمن الغيبة جميع الاختيارات والمسؤوليات التي يتولاها الإمام المعصوم عليه السلام، إلا أن يقام دليل خاص على أن بعض هذه الصلاحيات والاختيارات خاصة

(١) البدر الزاهر، تقريرات درس آية الله البروجردى، ص ٥٢.

(٢) راجع: مرتضى الحائري، صلاة الجمعة، ص ١٤٤.

بالمعصوم، ولهذا يقول:

«فتحصّل مما مرّ ثبوت الولاية للفقهاء من قبل المعصومين عليه السلام، في جميع ما ثبت لهم الولاية فيه من جهة كونهم سلطاناً على الأمة، ولا بدّ في الإخراج عن هذه الكلية في مورد من دلالة دليل دال على اختصاصه بالإمام المعصوم عليه السلام، بخلاف إذا ما ورد في الأخبار أن الأمر الكذائي للإمام عليه السلام، أو يأمر الإمام بكذا وأمثال ذلك فإنه يثبت مثل ذلك للفقهاء العدول بالأدلة المتقدمة... ثم إنّنا أشرنا سابقاً إلى أن ما ثبت للنبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام من جهة ولايته وسلطنته ثابت للفقهاء»^(١).

ملاحظتان مهمّتان:

١- صرّح بعض الفقهاء المذكورين بأن الإجماع حاصل بين علماء الشيعة على ولاية الفقيه، وهذا يدل على بداهة هذا الأمر عند من لم يخصّص من الفقهاء فصلاً خاصاً لولاية الفقيه في مؤلّفه لاعتقاده بعدم الحاجة إلى الطرح والإثبات.

مضافاً لذلك فإنهم تناولوا وظائف ولاية الفقيه وشؤونها في أكثر من موقع في الأبواب الفقهية، بحيث لو جمع المتفرّق منها في مكان واحد؛ لفاق حجمها الكثير من الأبواب الفقهية المستقلة، ولهذا يقول صاحب الجواهر: إن مؤلفات الفقهاء مليئة بهذا النوع من البحوث، وإن فقهاء الشيعة تطرّقوا في موارد كثيرة إلى ولاية الفقيه^(٢).

٢- لما كانت تلبية الحاجات الشرعية للناس هي من وظائف الفقيه؛ الذي يرى بدوره أنه المسؤول عن رفع هذه الحاجات والردّ على

(١) الإمام الخميني، كتاب البيع، ج ٢، ص ٤٨٨-٤٨٩.

(٢) راجع: الشيخ محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ج ١٥، ص ٤٢٢، وج ٢١، ص ٣٩٥.

الاستفسارات، فإن الفقهاء تناولوا في أكثر بحوثهم المواضيع محل الابتلاء التي يحتاجها الناس، ولما كان الابتلاء بالمسائل الحكومية نادراً حتى قبل تأسيس الدولة الصفوية؛ فإنه لم تكن لدى الفقهاء رغبة في طرحها، مكتفين بالمتفرّق منها الذي يفي بحاجة المؤمنين^(١). ويمكن استثناء فقهاء كالسيد المرتضى، وحكماء كالخواجه نصير الدين الطوسي من هذه القاعدة، منذ الفترة الممتدة من بداية الغيبة الكبرى حتى ظهور الحكومة الصفوية؛ لوجود علاقة وثيقة بين السيد المرتضى والحكام من آل بويه، وتولّي الخواجه الطوسي الوزارة لبعض الوقت أثناء حكم هولاء. وقد واجه الإثنان مسائل حكومية، وكان لهم فيها دور محدود. ويعتقد المرحوم كاشف الغطاء أن كلتا هاتين الشخصيتين البارزتين كانتا تؤمنان بولاية الفقيه، ولم ترى بُدّاً للوصول إلى هذا الحق سوى الارتباط مع السلطة حينذاك للإمساك بشيء من هذا الحق على الأقل^(٢). وعدّ المحقّق الكركي هذا التحليل مطابقاً للواقع، وأن هذين العالمين من أنصار ولاية الفقيه^(٣).

تغيّرت الظروف مع استقرار الدولة الصفوية التي بلورت أول حكومة شيعية شاملة، رغم أنها كانت ملكية، مما اعتبرها معظم الفقهاء الشيعة بأنها غاصبة، غير أن الأوضاع أصبحت بشكل بحيث رأى بعض الفقهاء أن دعم الملوك الصفويين هو الطريق الوحيد لتقوية شوكة الإسلام، ومصالح البلاد أمام هجوم الأجانب والملحدين، وتبع ذلك حصول

(١) مثل كلام الشيخ المفيد الدال بوضوح رغم اختصاره على قبول هذا الفقيه الكبير بنظرية ولاية الفقيه.

(٢) حاشية المحقّق الكركي على القواعد، النسخة المخطوطة، ص ٣٦.

(٣) رسائل المحقّق الكركي، ج ١، ص ٢٧٠.

ارتباط وثيق بين بعض العلماء والجهاز الملكي.

أدى قيام الجمهورية الإسلامية في إيران إلى طرح بحوث كثيرة في مختلف أبعاد ولاية الفقيه من قبل الإمام الراحل، الذي رفع بحق راية الموحدين، وقاد بصدق طلاب العدالة، لهذا سوف نخصّص الخاتمة لكلام هذا الرجل الذي أحيى الإسلام في عصر الظلمة والجاهلية الجديدة: «إن موضوع ولاية الفقيه ليس أمراً جديداً جئنا به، إنما كانت هذه المسألة مطروحة للبحث منذ البداية. فحكم الميرزا الشيرازي في حركة التبغ كان حكماً حكومياً واجب الاتباع على أي فقيه آخر، ولم يكن حكماً قضائياً حول اختلاف بين عدّة أشخاص، كما أن حكم المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي بالجهاد - طبعاً كان اسمه الدفاع - رغم أنه لم يتبعه فيه جميع العلماء، إلّا لكونه حكماً حكومياً. وحسب ما قيل فقد طرح المرحوم كاشف الغطاء الكثير من هذه المواضيع... ومن المتأخرين المرحوم النراقي الذي رأى أن جميع شؤون رسول الله ثابتة للفقهاء، وبدوره قال النائيني: إنه يستفاد في هذا الموضوع من مقبولة عمر بن حنظلة.

على أية حال، فالمسألة ليست جديدة، والذي فعلناه هو إننا أشبعنا الموضوع بحثاً، وذكرنا شعب الحكومة، ووضعناه في متناول السادة لكي تتضح المسألة... وإلّا فإن الموضوع هو نفسه الذي فهمه الكثير من الفقهاء. إننا طرحنا أصل الموضوع، وعلى الجيل الحالي والمقبل أن يبحث حوله، ويفكر فيه ويعثر على السبيل الموصل إليه...»^(١).

(١) الإمام الخميني، ولاية الفقيه، ص ١٧٢ - ١٧٣.

الجيل الإسلامي الثاني في الغرب

(٢)

رؤية تخطيطية مشتركة

(هولندا نموذجاً)

✽ الشيخ محمد الساعدي

(هولندا)

طرحْتُ في أحد الأيام على مجموعة من التلاميذ الذين أقوم بتدريسهم في مدرسة نهاية الأسبوع بهولندا السؤال التالي: إنَّ علماء الأخلاق الإسلاميين يشبّهون أحدكم .



والكلام موجّه الى تلاميذي - بكأس من الماء العذب والمجتمع الغربي الذي تعيشون في داخله بماء البحر .

قلت لهم : فإذا سكبنا كأس الماء العذب في ماء البحر ؛ فماذا سوف يحدث لماء الكأس ؟

أجابوا على الفور : سيتحوّل الماء العذب إلى ماء مالح .

قلت لهم ثانياً ، إذن فما هي الوسيلة التي نحافظ بها على بقاء الماء عذياً ، دون أن يتغيّر ويفقد صفة العذوبة ، حتّى لو أفرغناه في الماء المالح؟ وطلبت منهم أن لا يتعجّلوا في إعطاء الإجابة بل يفكّروا بهدوء ودقة. فلم يمض على طرح السؤال سوى دقائق معدودة لتقدح خواطرهم البريئة بإجابات دقيقة تلمح بذكاء حادّ ، وتؤكد على أنّ الشاب المسلم يتوفّر على إمكانية صنع حلوله بنفسه ، ومواكبة الإشكاليات والمستجدّات التي تعترض حياته المعاصرة إلى جانب المرشدين الواعين حينما توفر له المناخ المناسب من تنمية قدراته الفكرية ، وتقديم الأدوات المساعدة على ترشيد مصادر الممارسة المعرفية عنده ، فمن بين الأجوبة التي لازالت عالقة بذاكرني إلى الآن ، جواب تقدّم به شاب لا يتجاوز عمره الثالثة عشرة ، قال لي بكل سهوله وعفوية :

نحوّل ماء البحر المالح إلى ماء عذب ؛ فحينئذ لا نخشى على ماء الكأس العذب - فقلت له والدهشة تسيطر عليّ - !. إنّها فكرة رائعة . وطموح كلّ مسلم رسالي يهدف إعمار الأرض وتجسيد مفهوم استخلاف الإنسان عليها . بيد أنّها محفوفة - في الوقت الحاضر - بعدّة معوّقات تحول دون تحقيقها ، لذا فالحاجة تسترعي في المرحلة الراهنة حماية أنفسنا من الذوبان والتلاشي مع ضرورة التخطيط للنهوض في واقعنا بالمستقبل للدور الذي ألمحت إليه .

وأنت الإجابة الثانية متساوقة مع الإجابة الأولى من حيث حدّة المعالجة الذكية ؛ حيث قال التلميذ الثاني - لو أنّنا جمعنا كأساً مع كأس وبقينا على هذا النحو من تجميع الكؤوس فيما بين بعضها البعض الآخر؛ لتكون لدينا بركة صغيرة إلى جانب البحر المالح .

ومن الممكن أن تتوسع هذه البركة لتشكّل بمرور الأيام بحيرة صغيرة ، وعند ذلك الوقت سوف نتمكّن من الحفاظ على الماء العذب من التلاشي ، وفقدان خاصيته الرئيسية فدفعني أسلوبه المسترسل في الشرح والإقناع ، أن أطلبه بالاستمرار والإيضاح أكثر ، فقال : لو أنّ المسلمين في هولندا على سبيل المثال تجمّعوا فيما بينهم وكوّنوا من خلال الجمعيات والمدارس والمساجد والمتاجر والعلاقات الاجتماعية الأخرى ، مجتمعاً صغيراً خاصاً بهم ؛ فإنهم لاشكّ سوف يشكّلون كتلة اجتماعية مترابطة ، لا يمكن اختراقها أو تفكيكها من قبل الثقافات الأخرى ، بحيث يسهل إفراغها من كلّ مضمون قيمى أو عقيدى ؛ فتتسلخ بعد ذلك عن هويّتها الأصيلة .

إنّ الملفت في كلام الطلبة أن إجاباتهم بنحو عام تستبطن وعياً استراتيجياً يتّسم بقابلية التخطيط والمعالجة ومقاربة المستقبل ، في حين يفتقر الجيل الأول أو بكلمة أدقّ قسم كبير منهم الى السمات المذكورة . فلو اتجهنا بالسؤال إلى الكوادر الاسلامية من الجيل الأول العاملة في هذه البلدان ، وسألنا عن خطّتها في العمل الإسلامى ، ومشروعها أو برنامجها الحركى ونظرتها لمستقبل أبناء الإسلام في الغرب (على طريقة الأخذ بأضعف الإيمان) ؛ لحصلنا على أجوبة غارقة بالعمومية وتسطيع الحلول ، مضافاً إلى حالة تفرقة ناتجة من الإستهاء والتبرّم ، وإلقاء المشاكل على الآخرين ، وتعليق الإخفاقات على الظروف والواقع الذي يأبى الحل أو البديل الدينى في بلدان الحضارة المادية الصرفة . وكلّها صورتكشف عن فراغ فظيع في حقل التخطيط ، ورسم الاستراتيجيات الملّحة فهناك غياب حقيقي في التفكير المشترك لأزمات

يشارك الجميع في مواجهتها ، حيث إنّ كلّ مجموعة تفكّر بمعزل عن الأخرى ، وتعمل بنمط مغاير لما تطرحه الجامعات الثانية وتجتهد في أن تسلك في برنامجها العملي منهجاً يبرزها بالتفرد والامتياز . فقد يبذل مركز من المراكز الإسلامية المعنية وقتاً طويلاً وأموالاً كثيرة لإنجاز هدفٍ معيّن ، وربما زامن خطوات العمل نفسه مركزاً آخر يعمل في الاتجاه عينه ؛ دون أن يعرف أحدهما نية الآخر؛ فتكون التكلفة والجهود والوقت مضاعفة ، لعدم وجود رابطة مشتركة في معرفه المشاريع والتخطيط المتضامن لها .

هناك حالة من التهرّب وعدم الأمان من الاقتراب والتعاون المشترك داخل مؤسسات الجالية الإسلامية والمنافسة المحمومة إن لم نقل بالصراع المحموم على التفوق ، والظهور على حساب مصلحة الجالية الإسلامية ، من حيث الاختصاص بالسمعة الجديدة والمكانة المرموقة من قبل الحكومات الغربية ؛ لأنّ بعض الإسلاميين يشعر أن اندماجه في خارطة العمل الموّحد ، أو الالتزام بالتخطيط لتبني استراتيجية موحّدة سوف يكلفه خسائر مادية ، يسبب له التخلي عنها إحراجاً حركياً لايسعه تقبل أنعكاساته العريضة .

إنّ من بين إحدى أهمّ المشاكل التي تعترض رسم استراتيجية إسلامية مشتركة تتبنّى حماية وتنمية وجود الجالية الإسلامية في العالم الغربي ، هي أن العديد من الناشطين الإسلاميين في مجال العمل والتبليغ يندرج ضمن اتجاه قومي أو طائفي أو حزبي معيّن ، لذلك تجده حريصاً على حشد طاقات الوجود الاسلامي في الغرب الى صالح جماعته أو فصيلته الإسلامية المعيّنة التي تمتد إلى داخل العالم الإسلامي ، وتبني

مشروعه الفكري والثقافي من خلال تفعيل جميع مقرّراته المنهجية في وسط الجالية الإسلامية في الغرب ، وبالتالي الوقوف بحزم تجاه كلّ من يقف موقفاً معارضاً أو متحفظاً أمام تطبيق أهدافه الخاصة . ومن هنا تعدّدت التوجهات وأرتفعت نسبة الفرقاء بما ساهم في عدم إمكانية الاجتماع على تحديد استراتيجية موحّدة ، تستوعب طموحات الجميع وتهتم في دراسة مصلحة الكيان الإسلامي في الغرب بشكل خاص و متميِّز . بحيث يغطّي مساحات التحدي الممتد مع امتدادات الإسلام على خارطة الفكر المعاصر .

إنّ أبناء الإسلام في الغرب وكما اتصوره قادرون على خوض مباريات التحدي المطروح ، وعليهم بالدرجة الأولى دون غيرهم من أبناء الإسلام الآخرين تقع مسؤولية توصيل الدعوة بإدخالها في الميادين الواسعة بالنسبة للإنسان الغربي ، لأنّنا تعودنا من خلال مدّة تزيد على القرن من الزمان أن نتلقّى موجات الوافد الغربي إلى صميم بؤرنا الإسلامية والاشتغال في ممارسة التصدي له ، ودفع أشكالياته التي أحدثت شروخاً في جسد العالم الإسلامي ، فقد آن الأوان أن يتحرّك الوافد الإسلامي من قلب العالم الغربي وفيه ليطرق أبواب أنسانيته الذي ظلت معرفته بالإسلام محصورة في ما تردّده وسائل الإعلام المزيّفة للحقائق . ولا شكّ أنّ مفاعيل هذا الوافد الواعد تعتمد على صياغة الشخصية المسلمة في الغرب وفق أعلى المستويات ، ومعالجة قضاياها من مختلف الأبعاد ، وبنحو يُلاحظ فيه . كما ألمحنا لذلك - خصوصيات هذا الوجود الجديد عبر تحليل ماهيته الغامضة وطبيعة مكوناته العرقية والقنوات العاملة على تغذيته الفكرية .

إنّ الصعوبات التي تحيط أو تعيق من عدم تمثيل الإسلام من قبل أبنائه على هذه الأرض، في ضوء ما تقدّم، تكمن في عجزنا عن إنشاء مراكز تخصّصية في مجال الدراسات الاستراتيجية والاعتماد على أصحاب الكفاءات العلمية في حقول المعرفة الاجتماعية والنفسية والتربوية والفقهية، وتخصيص ميزانية خاصة بهم، تتكفل دفعهم إلى العمل الجاد من إقامة البحوث والتجارب الميدانية لفهم واقع ومضمون الشخصية المسلمة، التي أسست هذه البلدان، نظير ما تفعله البلدان الغربية نفسها من دراسة كافة الأعراف والثقافات المتعددة التي تعيش داخل جغرافيتها الخاصّة، فبعد أن تقبّلت هذه البلدان الواقع والمطلب الضروري للنظام العالمي الجديد فيما يخصّ تشكيل مجتمعاتها الحديثة المتكوّنة من عدة أعراق^(١).

فقد سعت هذه المجتمعات على ضوء التصورات البشرية باهتمام بالغ إلى تأسيس مراكز ضخمة تحاول أن توجد صيغاً علمية تحمل هذه الأعراق والثقافات؛ على أن تنهج الوجهة التي ترسمها ثقافة البلدان التي استقبلت هذه الأعراق، وبطرائق ومشاريع لا تصطدم مع حرّية اختيار الثقافة والدين للمواطن في هذه البلدان أيّاً كانت ثقافته أو دينه. وكمثال بسيط أذكر واحدة من هذه الدراسات الكثيرة التي وضعت حول المسلمين والتي سوف نشير إليها في مجملها إن هذه الدراسة قد أعدت من قبل أحد مراكز البحث النفسي في هولندا عنوانها (دراسة هولندية حول اللاجئين العراقيين في هولندا) وقعت هذه الدراسة تحت يدي عن

(١) (يؤكد ذلك جملة من الدراسات الغربية منها دراسة لمركز الإحصاء في هولندا تشير إلى أن بداية القرن الواحد والعشرين سوف يكون المجتمع الهولندي مجتمعاً مختلف الأعراق. Hef sentraal Bureau voor de sftiek (CBS) 92 De tweede orde (طبعة ١٩٩٢).

طريق أحد الأصدقاء وهو طبيب أوكل إليه إجراء تجربة . أجريت هذه الدراسة على بعض من العيّنة المقرّر دراستها ، والعيّنة عبارة عن ستمائة شخص عراقي منهم من يحمل الجنسية الهولندية ومنهم من يحمل الإقامة الدائمة أو المؤقتة ، ومنهم من يسكن مراكز طلب اللجوء ، بمعنى لا زال يبحث عن الإقامة .

يقول ذلك الطبيب الصديق : لقد وافقت في البداية على أنّ المسألة تمثّل عملاً علمياً يزيد من إثراء معرفتنا النفسية ، وبعد أن تعمّقت في تفكيك رموز ودلالات الأسئلة التي تتضمنها الدراسة ؛ رفضت المشاركة في هذا العمل مع أنه يدرّ عليّ ربحاً مادياً يعتدّ به ، حيث اكتشفت أنّ المشروع ذا أهداف خطيرة جدّاً ، تتجاوز تخوم حيادية الأسئلة المطروقة ، والتي تبدو للقاريء البسيط أنّها مجرد أسئلة علمية صرفة - فالدراسة تسعى الى اختراق هذه الشخصية الجديدة الوجود في مجتمعها ، ومحاولة لفهم أسرارها ومكنوناتها ؛ بغية تطويعها مستقبلاً على الاندماج الكامل مع ثقافة البلد الذي نزحت إليه . والدراسة تتشكّل من تسعين صفحة تزخر بالأسئلة والاستفسارات المختلفة.. بدأ بتحديد عمر المجيب وعرقه الخاص - عربي - كردي - تركماني - ومستواه الثقافي والتحصيلي ووضع التّأهيلي - أعزب - متزوّج - مطلق -... واللغات التي يتقنها وهل أتقانه لها بالنحو الضعيف أو المتوسط أو الجيد أو الجيد جداً . والحرف التي يمتنها والنشاطات التي يقوم بها - دينية ، اجتماعية ، ثقافية ، منزلية ، علمية ، - وضمن أي المجموعات الدينية يضع نفسه بها - من دون دين ، مسلم شيعي ، مسلم سني ، مسيحي (لأي كنيسة تنتمي) ، صابئي ، يزيدي ، يهودي ، غير ذلك ..

وهناك سؤال يقول : لأي مدئ كان الدين مهماً لديك قبل هروبك من

بلدك ؟ ١ - غير مهم، ٢ - ذو أهمية محدودة، ٣ - ذو أهمية متوسطة، ٤ - مهم جداً.

ولأي درجة من الأهمية يجد الاعتقاد الديني مكانته في تفكيرك حالياً؟
١ - ليس ذو أهمية، ٢ - ذو أهمية قليلة، ٣ - ذو أهمية متوسطة، ٤ - ذو أهمية شديدة.

وهل أن تثقك بالله مقارنة مع فترة قبل الهروب أصبحت أكثر، أقل، أو بنفس المعدل ؟

وهل تؤدي التزاماتك الدينية مقارنة مع الماضي بشكل أكثر، أقل، نفس المعدل ؟

وهل تواصل الذهاب بانتظام للتجمعات والمناسبات الدينية...؟
وأسئلة أخرى تحوم حول الصعوبات بمختلف صورها، وقائمة من الأسئلة التي تتعلق بالشكاوي الصحية بفرعها السيكولوجي والبيولوجي فمن بين الأسئلة النفسية، الاستفسارات التالية :

هل تعاني من سرعة البكاء، الفزع والخوف الفجائي، ومن دون سبب؟ قلة الشهية، الأرتعاش، شعور بفقدان الثقة بالآخرين، انتقاد الآخرين، التفكير بإنهاء حياتك؟ الشعور بالخمول، الشعور بالذنب من أمور كثيرة، الأحساس بالوحدة، شعور بالانقباض، الإحساس بعداء الآخرين وعدم تقبلهم إيتك، صعوبة اتخاذ القرارات، أحساس بالفراغ (في التفكير والمشاعر)، اليأس من المستقبل، النوم المضطرب وغير المريح، أفكار استنتاجات تتباين مع الآخرين، الشعور بأن الآخرين لا يقيمونك التقييم الذين تستحقه، عدم ارتباطك الحميم بالآخرين^(١).

وهناك العديد من الأسئلة ذات الطابع الاجتماعي والثقافي والغريزي

(١) ggz Drerfre - geestelyke gezondheids zorg of ovdere Azorg.

إلى جانب الأسئلة الخاصة بالنساء ...

إن الباحث على الأطالة والتوسع في عرض بعض منحنيات الدراسة المذكورة هو أضاءة جانب بسيط من أهتمامات الطرف الآخر بالبعد الدراسي المتأني نتيجة وجود منظّمات تعني بالتخطيط المستمر، والرصد الدوؤب لحركة المجتمع وفهم مفاصل مكوّناته ، ومراحله التكوينة التي هي في توالد فاعل واحتكاك أيديولوجي منفتح ... لذلك يلاحظ أنّ (الآخر) يتعامل مع الأعراق والثقافات الثانية بأعصاب باردة واستيعاب عميق لاثثيره حسّاسية الهواجس التي تنطوي عليها الوجودات المتباينة ، لما يتوفر عليه من ثراء معرفي هائل في مجالات الدراسة والتجربة التي تزوّده بالحلول وإيجاد صيغ من التكيف والانسجام مع كافّة التوجهات ، بينما يبقى الأمر بالنسبة للعاملين الإسلاميين نوعاً من الحديث الذي يثير غثيان البعض ، والبعض الآخر يأخذه مأخذ التندر نظراً لعدم تطبيق مثل هذه المشاريع !

تتركّز صورة المشهد الامتحاني عند الجاليات المسلمة يوماً بعد يوم محنةً وصعوبة وأرقاً بما يشبه الشبح الذي - يجثم فوق صدرها فالكّل ملتزم بطابعه الأصيل - لغة ، ثقافه ، عقيدة - ويتوخى المحافظة على جذوره التي تحدّر منها - فنجدهم والحالة هذه يلعنون في لحظات متكرّرة الأسباب والظروف التي أوصلتهم الى هذه البلدان ، ويتوقّعون نتيجة الخطر الذي يلوح لهم بانهياء أسرهم وضياع أبنائهم من أيديهم، إنهم لم يخطوا قدماً واحدة نحو بلدان المهجر مفضّلين البقاء في بلدانهم الأصلية بالرغم من وجود كلّ أنواع المنغصّات التي تحفل بها تلك البلدان. فلا يختلف إثنان حول مسألة التحدي الثقافي والعقدي الذي

يتعرض له المغتربون ، وبخاصة الجانب الأسري لهم ، أعني به موضوع البحث (النشأ أو الجيل الثاني).

لقد أصبح من المسلّم به لدى كافة شرائح المغتربين أنّ المواجهة الحقيقية التي تهدّد وجودهم بشكل مباشر وملح ، ولم يتوصّلوا بعد من إيجاد السبل التي تؤهّلهم من الوقوف أمامها هي موضوع الجيل الثاني وما يتعرض له في مؤسّسة التربية والتعليم في البلدان الغربية، فمن البديهي أن نموذج الجيل الأول (الأباء) ظلّ محافظاً على طابعه العامّ ، بل أشتدّ تمسّكه في الكثير من موروثاته ، وهذا من المسائل التي لا تحتاج الى المناقشة والشرح ، بفضل عوامل عديدة ساعدت على تجذير هذه الحالة لديهم ، لكن المشكلة أو الامتحان الصعب والعسير يظلّ محدقاً بأبناء الجيل الأول ؛ وذلك عندما يضعون أقدامهم على عتبة المدرسة ويتلقون اللغة التي تصبح فيما بعد اللغة الأولى لديهم ، والتي تحدث لهم نقلة نوعية في عالم المعرفة والتشكيل الثقافي .

ويبدأ حينها الأنعطاف الكبير تاركاً أثره البالغ على صفحة سلوكهم العام حيث ينزع الجهاز القيمي الى تبني نزعات وميولات متجاوبة مع أنسيابية الإيقاع الحياتي المعاش ، والتي تشكّل المدرسة نموذجاً مكتفياً له - وكثيراً ما يرتطم الجيل الأول عبر هذا الطرق بالذات في الصخرة التي تجعله يعضّ أصابع الندامة حينما يكتشف أنّ المستقبل الذي كان ينشده لأبنائه والذي بذل من أجل تحقيقه أجمل أيام حياته وذلك في سبيل تهيئة أسباب العيش الهانئة قد أصبح وبالأعلى بعد أن سلك أبناؤه طرقاً لاتنسجم تماماً مع ذوقه العام ، ولا نقول أكثر من ذلك ؛ فالمطلقات حافلة بالوقائع والأحداث المخزية والمقرفة نتيجة الغفلة وعدم التخطيط

لانعكاسات المدرسة أو الحقل التربوي بعمامة ، ومضاعفات الحياة الاجتماعية في الغرب .

لهذا كله : يفترض بنا ونحن نضطلع بدور المحافظة على هذه الطاقات الإسلامية في الغرب بفضل القوانين التي تتيح لنا إنشاء المدارس ومؤسسات الثقافة الخاصة باللغة والعقيدة ... الخ أن تراجع أسباب تأخر التجربة الإسلامية في ميدان التربية والتعليم وتعالج بنحو سريع طرائق تحسين أليات العمل التربوي ؛ إلى درجة الطموح الذي نتوخاه . وقبل كل شيء لابد من كلمة تمهيد مختصرة حول السلك التربوي في هذه البلدان : يعتمد الحقل التعليمي بالغرب على أنماط تربوية تأتلف مع خصوصيات بنية المجتمع الغربي ، وطرائق استجابة أفراده لمفهوم التربية والتعليم المنسجم إلى حد كبير مع التوجه الفلسفي لرؤية المجتمعات الغربية من ظاهرة الكون والإنسان والحياة ؛ بما يصح معه الوصف بأنه نوع من الانعكاس الضروري والحتمي للواقع الحياتي الذي يغلف حالة النظم الايديولوجية التي تتصور مركبات الحياة الاجتماعية ، من خلال كافة مرافقها الفاعلة والمؤثرة في تنمية وتطوير الجانب الحضاري والإنساني في نفوس مواطنيها ؛ (وإن كنا لا نتفق في الكثير من المسائل مع مفردات المفهوم الإنساني لدى العقلية الغربية) كيف ما يكون تجدنا نلامس حقيقة لا يدنو منها الغموض ؛ تتمثل بما يلي : إن نظام الحقل التربوي في الغرب عبارة عن منظومة تختزل صورة المجتمع كاملة في جهازها الخاص ، وتسعى قبل كل شيء أن تتكيف تماماً مع طبيعة المكونات والمنطلقات والنظم العامة للمجتمع ، ثم توظف نفسها بعد ذلك كله ، أن تتبنى أهدافاً ترسم لحركة المجتمع عينه من خلال

عملية التنشئة التربوية التي تحظى باهتمام مبالغ فيه ، وإشراف منظم من قبل مؤسسة التربية والتعليم ذات الإمكانيات والأجهزة التخصصية المدهشة ؛ بغية تخضيع النشأ وتأسيس إمكانية على تقبل صورة المجتمع والاندماج الكامل فيه .

بصراحة ، أقول : ليس بوسع هذه الأوراق المتواضعة أن تعرض خطوط النهج التربوي في بلدان أوروبا الغربية بالذات ولو بشكلها العام ؛ فضلاً عن الدخول في منحنياتها الخاصة ومحاولة الكشف والتحليل لمداليلها ومرتكزاتها ، أو مقارنة مكوناتها الفكرية من زاوية النقد الدراسي لمحتوى تلك المكونات ؛ حيث إن نظريات علم التربية المعاصرة جاءت نتيجةً طبيعة للجهود الضخمة المبذولة من المباديء والإشارات التربوية التي انبثقت منذ مئات السنين ، والتي مهدت بأفكارها إلى الشكل المعاصر لعلم التربية الحديث ، فمن المؤكد أن بصمات مفكرى علم التربية من أمثال : فلون ، روسو ، ديرو ، كانت ، باستالوتزي ، فروبيل ، سبنسر ، وليم جيمس ، دريكم ، ديوي ، دكروولي ، الآن ، وغير هؤلاء من الأسماء ذات أثر بليغ في بلورة وتأسيس علم التربية الحديث . ولا شك أن التعرض لنظرياتهم ومقولاتهم ليس من شأن هذه الدراسة البسيطة . بيد أن إشارات سريعة تستدعيها نوعية البحث الذي يستهدف في بعض جوانبه مقارنة الوضع التدريسي للجيل الثاني في قطاع مؤسسات التعليم الإسلامي في بؤرة البلدان الغربية مع نظيره الغربي ، لتلافي الخلل المخيم على مؤسساتنا الإسلامية ، فسوف تفصح عن نفسها مع الحرص الشديد على تعمّد الابتعاد عن دائرة الاسترسال في توصيف النموذج للدرس التربوي في هذه البلدان .

الكادر التعليمي وطرائق التدريس

المدرسة والمعلّمون :

ممّا تجدر الإشارة - قبل الدخول في منحنيات البحث - إلى أن هناك نوعين من المدارس الإسلامية في بلدان المهجر . الأول منهما : - المدارس الممّولة من الحكومات الغربية ؛ والتي تحظى بطابع رسمي ، حيث تدخل ضمن حيّز التخطيط المقرّر لنظام التربية والتعليم ، مع اختلاف عقائدي مميّز يدخل على بعض مناهج التعليم التي تخضع في برنامجها العام ، لبعض التعديلات الأيديولوجية بغية انسجامها مع الخط الإسلامي الخاص .

والثانية من المدارس التي هي الأكثر حضوراً وانتشاراً في هذه البلدان ، المدارس الحرّة أو مدارس نهاية الأسبوع (السبت والأحد) والتي دائماً ما تقوم بها المؤسّسات الإسلامية مثل : المساجد ، الجمعيات ، وغيرها .

وبالطبع أن حديثنا في هذه المعالجة سوف يشمل الإثنين معاً ، نظراً للتوافق الكبير بينهما ، وإن كنا لاننكر وجود خصوصيات وفوارق بين الإثنين ، إلّا إنها في الغالب العام محدودة جداً ، ولا علاقة لها في تغيير الروح السائدة على منهجية المدرستين .

لقد توصلنا في الواقع وذلك بعد نزول ميداني شبه مكثّف ، إلى الحقيقة المتمثلة : بأن أطفال المراحل الأولى وما بعدها من (المراهقين) لايتوفرون على رغبة كافية في الذهاب إلى المدرسة الإسلامية ، نظير ما يوجد عند نظائريهم من الأطفال والشباب الذاهبين إلى المدرسة اللإسلامية في تلك البلدان ، مع ملاحظة أن الآخرين ايضاً من أبناء

العوائل المسلمة ، وهذا ما يدعو إلى الدهشة والتساؤل العريض حيث يشعر الباحث أنّ أطفال المدرسة الإسلامية يذهبون مكرهين والامتناع بآد على وجوههم ؛ في حين أنّ الحالة على العكس تماماً بالنسبة للآخرين ، بحيث أصبحت أسرهم على يقين تامّ بأنّ المدرسة قد اختطفت أولادهم منهم وذلك لتعلّق أبنائهم بها.

ويتضحّ نفور الجانب الأول من مناخ المدرسة الإسلامية بنحو أبلغ حينما ينهون مراحل الدراسة الابتدائية ، وينتقلون إلى مراحل الدراسة المتوسطة ونعني بها المدارس الأوربية الصرفة ، لعدم وجود إمكانية بعد تأسيس المراحل المتوسطة في معظم البلدان الغربية ؛ فيلاحظون الفارق الشاسع بين المناهج والأساليب التدريسية ونمطية السلوك الاجتماعي الذي يخطّه المدرّسون في مجال تعاملهم مع الطلاب ... الخ . إنّ نظام التربية والتعليم في الغرب يولي المراحل الأولى من المدرسة عناية مركّزة ؛ حيث تعني المدرسة في هذه المراحل عنده فضاءً اجتماعياً مصغّراً لحالة الفضاء الاجتماعي الكبير خارج فناء المدرسة ، لذلك تتحدّد وظيفة المدرّس بالدرجة الأساس في هذه الفترة بالذات من أعمار الطلاب ، بمحاولة تنشئتهم اجتماعياً على السلوك والسنن والأعراف المنسجمة مع النظام الاجتماعي العام ، من أجل انخراط التلاميذ فيما بعد في إطار الواقع الحياتي الذي يلفّ الحياة برمتها ، وتقبل كافّة أشكالها المتنوعة . وأمّا التركيز على الجانب العلمي البحت فيأتي بالدرجة الثانية من اهتماماته ، أو كما يقول ديوي - أحد رواد علم التربية المعروفين بالغرب - : «إنّني أعتقد أنّ المدرسة هي أولاً مؤسّسة اجتماعية ، وإن التربية من حيث إنها عملية اجتماعية ، فالمدرسة هي

صورة الحياة الجماعية التي تتركز فيها جميع تلك الوسائط التي تهيء الطفل إلى المشاركة في ميراث الجنس ، وإلى استخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية ... يجب أن تمثل المدرسة الحياة الحاضرة ، التي تشبه في واقعيتها وأهميتها للطفل حياته في البيت ، أو البيئة المجاورة له أو الفناء الذي يلعب فيه^(١) .

وهذا ما هو موجود بالفعل عند غالبية مناهج النظام التربوي المعاصر في الغرب . في حين أن المدرسة الإسلامية ، تتحدد وظيفتها كما يخطط لذلك بعض العاملين في السلك التربوي ، في كونها فضاء يتم فيه حشو وملء الأذهان بمفاهيم الإسلام . ومحاولة تسريع - منقطعة النظير - في حمل التلاميذ على حفظ المواد العلمية مثل : القراءة والكتابة وحفظ سور القرآن الكريم والأناشيد ، مضافاً إلى المواد العلمية الأخرى ، وكثراً قد سعيينا من خلال إحدى مدارس نهاية الأسبوع المعروفة بـ (مدرسة أهل البيت عليه السلام) إلى مقارنة تجربة مماثلة للتجربة الأولى - ونعني بها التجربة الغربية - فانطلقنا من ثوابت عقيدية مدروسة سلفاً ، محاولين أن نخلق فضاءً إسلامياً خاصاً ، وكان - والله الحمد - أن نجحت التجربة إلى مستوى تمكنا فيه من غرس روح السؤال والحوار والمناقشة في عقول التلاميذ ، كما تمكنا من إلغاء وردم الحواجز الاعتبارية المتعارف عليها بين التلميذ وأستاذه في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، فاطمأنت لنا قلوب التلاميذ ، وتوثقت العلاقة فيما بيننا وبينهم إلى درجة أن فتحوا لنا مغاليق أسرارهم ، وأفضوا بما يشكل لديهم من معاناة وهوا جس يحبونها دون أن يشعربهم الآخرون حتى

(١) عن كتاب أعلام التربية ، حياتهم ، آثارهم ، أنطوان . م . الخوري ص ٢٠٥ .

آبائهم ، والمعاناة المشار اليها عبارة عن أسئلة واستفسارات باحثه عن معرفة الذات . وعن الاسباب الاخرى التي حملت آباءهم والكثرة الهائلة من المسلمين إلى الهجرة نحو هذه البلدان ، وعن عوامل تأخر العالم الإسلامي ؛ مقارنة بالعالم الغربي . وغير ذلك من الإشكاليات التي يتلقونها من وسطهم وزملائهم الأوروبيين في المدارس دون أن يجدوا أدناً صاغية منه طرف الجيل الأول ؛ وهم الآباء والمربون ، كيما يخففون ما في بواطنهم منه آلام .

وقد مشينا على تلك الخطّة مدّة من الزمن لا بأس بها إلى أن وأجهتنا اعتراضات الاتجاه الناظر إلى ضرورة التلقين ، وتمثيل دور الببغاوات المرددة ليس إلّا لمجموعة من الأصوات المفترقة إلى إدراك هذا المعنى . والجدير بالانتباه أن جلّة هؤلاء المعترضين هم منه الطبقة المثقفة ، وممن له حظ وافر في جانب المعرفة الإسلامية ، حيث كانوا يطالبوننا بأن نصنع من الأطفال قرّاء للقرآن الكريم من عيار المنشاوي وعبدالباسط والطبلاوي !!! ... الخ .

ولا شك أن عمليه اتخاذ أسلوب التشدّد في جعل الأطفال والشباب المراهقين حقاظاً للقرآن أو قرّاء له أو سجلات ضخمة حافظة للمعلومات أمر في غاية السهولة ، ولا يتطلب من المدرس سوى التحميل على الطالب ، بيد أن ذلك كلّّه على حساب أمانه الوعي الإسلامي في عقول تلك الطاقات الواعدة : وبمناسبة ذكر المعلّم والإشارة إلى اسلوبية نشاطه التربوي ، فإنّ قسماً كبيراً من فشل التدريس في هذه المؤسسات الإسلامية يعود إلى نوعية الشخصية التعليمية التي تزاوّل حرفة التدريس . فالملاحظ أن المدرّس في مؤسسات التعليم الأوربية يخضع

لدورات تربويه خاصّة ؛ يتدرّب من خلالها على كيفية التعامل مع الأطفال - فيما لو كان نشاطه يستهدف الأطفال ، وإيصال المعلومة إلى أذهانهم . ودورات خاصّة للتعامل مع العقلية الشابّة والمراهقة فيما لو كان طلابه من هذه الأعمار أيضاً . ويحصل المعلم نتيجة ذلك على شهادات تثبت كفاءته في هذا الجانب الملمح إليه ، في حين إن المعلمين عندنا يفتقرون إلى هذه الخصوصية ؛ حيث إن كلّ ما يشفع لهم في ممارسة مهنة التدريس وإثبات كفاءاتهم العلمية هو حصولهم على شهادة المعاهد الغربية للتربية والتعليم ، أو كون المعلم ممّن درس في مجال العلوم الإسلامية في إحدى الحواضر الإسلامية المعروفة ، مثل القاهرة أو اسطنبول أو مكة المقدّسة - الخ فيسلك المدرّس عين الخطوات المنهجية التي تطبق بالنسبة إلى تعليم أطفال وشباب تلك الحواضر المذكورة ، والبعض منهم يُفرط في ممارسة الطابع التشدّدي مع الأطفال المسلمين في البلدان الغربية ظاناً : أنّ أطفال هذه البلدان بحاجة إلى جرعات تأديبية مكثّفة ؛ فتراه يعمد إلى انتزاع الاحترام من الأطفال باديء ذي بدء ، ويتوسّل إلى ذلك بواسطة الغلظة واستخدام ألفاظ التوبيخ وزمجرة النبرات .

إنّني أتذكر الخطأ الذي وقعت فيه في أول ما درجت في سلك التعليم في هولندا حين تصرّف معي أحد الأولاد تصرّفاً لم يراع فيه قدسية الصفّ ووجود المعلم حسب فهمي للقدسية والاحترام في تلك الفترة - فنهرته للمرّة الأولى ، ولمّا لم يستجب للتحذير ؛ أخرجته في المرّة الثانية من الحصّة ، وحسبت في وقتها أنّ هذا النوع من العقوبة سوف يتكفّل في لفت انتباهه للخطأ الذي صدر منه ، بيد أنّ تصوري جاء على العكس

تماماً؛ إذ لاخطت في الأسبوع الثاني أن الولد نفسه قد تغيب عن الحضور،
وحينما سألت عنه ، قال والده : إنّه يرفض الحضور إلى المدرسة بسبب
ماحصل له سلفاً ، ولست فيما بعد عبر توغّلي في معرفة سلوكيات
الأطفال والأولاد أن التصرف الذي صدر عن ذلك الولد شيء مألوف
عندهم ، ولا يجدون في ممارسته خروج على الآداب العامّة في وسطهم
العامّ ؛ حيث إنهم كثيراً مايتعاملون في المدارس الحكومية في هولندا
بنفس تلك التصرفات ، ولا يجدون ردوداً سلبية من المدرّسين ، وحينها
ندمت ندماً شديداً لأنني تسببت في حرمان ذلك الولد من الاستفادة من
المدرسة الإسلامية ، حيث إن الأطفال والشبان في هذه البلدان الأوروبية
يحرمون أنفسهم من فرصة الاستمتاع في عطلة نهاية الأسبوع ومن
الكثير من برامج التسلية والراحة منه أجل الحضور والمشاركة في
المدرسة الإسلامية فيضغظون على أنفسهم مستحملين جهوداً
مضاعفة إلى جهود المدرسة اليومية .

إذن يفترض بنا أن نقدّر لهم ذلك المجهود ونتمنّى موافقهم بالنسبة
للمشاركة والحضور ؛ فنسلك معهم سلوكاً موازناً لمنهجية التعليم
الغربي الذي يضع في حسبانهِ . تحفيز التلاميذ وتحقيق أكبر حجم من
إمكانية التحبب والانفتاح عليهم ، من خلال التوفّر على دراسات تجريبية
معمّقة في حقول التربية والتعليم الحديثه في هذه البلدان ، إلا إن من
المؤسف جداً أن يحاول البعض منا أن يصر على ممارسة سلطته
الموهومة على الأولاد في هذه المدارس ، نظير ما يفعله معلّمو البلدان
الإسلامية ، وكلّنا قد خبر أوجه تلك السلطة المزيّقة وربّما هناك : في
جغرافيه - البلدان الغربية - من المسوّغات التي تحمل المعلّم على أن ينهج

مع التلاميذ الخطوات المشار إليها، نظراً لسيطرة النظم والآداب والأعراف المتوارثة، ومحاولة الانسجام قدر الإمكان مع طرائق تحريك استجابة الطلاب ، حيث إنّ الذوق العام يألف مثل هذه النمطية المتجذرة في اعمال الواقع الحياتي هناك - فيا ترى ما هو المسوغ الذي يدفعه إلى اتباع السلوك المذكور على هذه الرقعة ؟!

مناهج التربية والتعليم الإسلامية والعربية في الغرب :

في الواقع أن ما يدعونا للإفاضة والتبسط في الحديث عن حقل التربية والتعليم في هذه البلدان ، هي صميمية العلاقة الفاعلة في التعامل المباشر مع شخصية الجيل الثاني ، بدءً من مراحل التنشئة الأولى ومروراً بعملية تأسيس وعيه ، ووصولاً إلى مرحلة التسلح الأيديولوجي ، وذلك كله يعود إلى حيوية المؤسسات الإسلامية في هذه البلدان (مساجد ومدارس وجمعيات) حيث بلغ عدد المساجد - على سبيل المثال - في هولندا لوحدها أربعمائة وستة وثلاثين مسجداً (٤٣٦) حسب الإحصائية التي تمكنت من رصد المساجد المسجلة رسمياً في الاتحاد الإسلامي العام للمساجد والمؤسسات : (verenigingen koepelorgan isatis) islamitische مع اعتراف كاتب التحقيق بصعوبة حصر عدد المساجد والدور الإسلامية ذات الطابع غير الرسمي^(١).

ومن المؤكد لدينا أن أغلبية هذه المساجد تقوم بمهمة التدريس أو بدور المدرسة وأما عدد المدارس الإسلامية الرسمية ونعني بها المدارس التابعة إلى وزارة التربية والتعليم الهولندية ، فهو كثير جداً وبارتفاع مستمر بفعل القوانين المشجعة على إنشاء المدارس ، والتي

تعطي لكل أصحاب عقيدة أو عرق خاص أمكانية فتح مدرسة خاصة بهم. فمدينة أمستردام عاصمة هولندا تحتوي على ستة (٦) مدارس ابتدائية وفيها أيضاً مدرسة متوسطة (إعدادية)، وقد طالب الآباء المسلمون في مدينة أمستردام بزيادة هذا العدد، حيث تقدّموا بطلب إلى بلدية أمستردام، من أجل الحصول على فتح عشرين (٢٠) مدرسة إسلامية كما نشرت ذلك جريدة الشعب الهولندية. ، ولازال هذا الطلب قيد الدراسة والمداولة ٢٠٠٠ / ٣ / ٩ : Volkskrant .

من خلال كلّ هذا تأتي أهمية محاولة تقييم مناهج التدريس في مدارسنا الإسلامية، ونعني بما على وجه الخصوص مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية المقروءة باللغة العربية أيضاً، مثل القرآن الكريم والسنة الشريفة والتأريخ والى آخره .

حيث إن جهود جميع تلك المؤسسات الإسلامية المتقدمة الذكر رهينة في قبضة مناهج التدريس وصياغة المعلومة . وإن مشروع الاشتغال على تربية أبناء المسلمين في أرض المهجر لا يعدوا أن يكون كمن يكتب على سطح الماء أو يستنبت بنوره في الهواء مالم نعد قراءة وإنتاج مناهج التدريس المتداولة في هذه البلدان . فالتقصي المعمق يشير للأسف الشديد الى أن المناهج المذكورة لا تتحرّك في اتجاه تلبية الطموح الإسلامي مطلقاً، ولا تحمل على تنشيط واقع الحالة الثقافية عند شخصية الجيل الثاني، ولا يخرج من هذه العمومية الواسعة إلا استثناءات محدودة جداً، فإن صياغة المناهج الملحق إليها تواءم لم ينبثق من فضاءات المشهد الحياتي في عالم المهجر، ولم تأخذ باعتباراتها البتة ظروف أو واقع الاستجابة المعلوماتية عند الإنسان الغربي، أو مستوطن البلاد الغربية، ولا أيضاً نوعية الأدوات والوسائل التربوية

الحديثة التي أفرزتها طبيعة التصور التكنولوجي المعاصر، مثل التدريس عبر الكمبيوتر، وقاعات المحاضرات، المتلفزة ونوعيه الكتب والملازم المساعدة واسلوبية وضع التمارين من خلال الرسوم والألعاب المبرمجة علمياً ومنهجياً إلى جانب التدريس غير المباشر أو بكلمة ثانية! التدريس العملي وذلك من خلال تشريك الطالب في عملية التوصل إلى المعلومة وبشكل عكسي، أو كما تقول المقولة الغربية في التربية والتعليم مخاطبة التلميذ: (استخدم أستاذك) بمعنى حمل الطالب على إمكانية التوفر الجاد من الشعور الحقيقي بضرورة المعلومة والمعرفة التي يُراد إيصالها إليه إلى جانب الوسائل الأخرى ذات الصلة بنسيج المنهجية التربوية، بينما يظل برنامج التربية الإسلامية في الغرب صورة مطابقة للمناهج المطروحة في البلدان الإسلامية، بل أن المنهج عينه قد تم نقله من تلك البلدان إلى درجة لم يجرّ في عملية النقل سوى تعديل جزئي وضئيل.

إن أبسط ما يمكن أن توصف به هيكلية المنهجية التربوية الإسلامية، فنياً ومضمونياً: بأنها لاتلتئم مع طبيعة الذوق العام لدى المتلقي المسلم في بلدان المهجر الغربي، ولذلك فهي لا تحظى باهتمامات الجيل الثاني، ولم يتم لحد الآن أي تمثيل أو تبني من قبله، يعكس قدرات المنهجية المذكورة على تحسيسه بمقاربة الجانب الحياتي والتعاطي الإيجابي مع مفرداته العامة. بالرغم من أن برنامج التربية والتعليم في الغرب يُلزم طلاب المرحلة الثانوية بتعلّم لغة ثانية إلى جانب لغة البلد الخاصة، ويعطي الطالب حرية اختيار اللغة مثل: الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الأسبانية أو الإيطالية. وقد لاحظنا أن الكثير من الطلاب المنحدرين من أصل أجنبي بالنسبة الى بلدان المهجر الغربي عنده رغبة

عالية جداً في إتقان وممارسة اللغة الأجنبية الثانية ، وبخاصة شديدة عنه أبناء الجيل الثاني من المسلمين ، بيد أنهم لا يحملون الرغبة نفسها بالنسبة إلى اللغة العربية ، أو إلى لغتهم الأصلية ماعدا بعض الشرائح العرقية الخاصة ، بل يكاد أن ينعدم حافز التفاعل في نفوسهم إلى مستوى يثير أكثر من سؤال واستفهام !! حيث إن الغالب الأعم منهم يتنكر وبإصرار وإدراك حاد للغة الأصلية ، مع تمسكه بعرقته وإسلاميته ، إلى درجة الدفاع عنها أحياناً بالقوة والعنف ، وهذه من المفارقات الغريبة التي لمسناها من خلال بحثنا في موضوعنا ذاته .

من الطبيعي ، أن هذا التأخر يُعزى إلى محورية المناهج أو بجملة دقيقة إلى محورية المنهج التعليمي ، حيث يبقى هذا الجانب برمته سبباً رئيسياً في نجاح المشروع التعليمي ، وإن تجاوزته وتركه كما هو عليه يضاعف من سلبية الحالة التعليمية من دون أدنى شك .

والتوصية التي نؤكد عليها في المجال : هي محاولة التأسيس المستقلة لمناهج تعليمية ، وإلى منهجية تربوية نابعة من صميم الظروف الحياتية لابناء المهجر ، وعدم الإعتماد على المناهج المذكورة سلفاً ، إلا بما تستدعيه ضرورة تخصيص التجربة التأسيسية والإفادة من معطيات التجارب المتقدمة عليها . ولا بدّ من التنبيه الجاد إلى فهم عقلية الإنسان الغربي بصفة خاصة لأن المسلمين في هذه البلدان جزء من المجتمع الغربي ، وأن كان على جانب عريض من الخصوصيات الاجتماعية والعقيدية ، إلا إن ذوقه وتكوينه الإستمولوجي (المعرفي) يخضع للتشكيل الغربي .

ومن الضروري أيضاً التنبيه إلى مجالات الممارسة المعلوماتية وعدم

الاقتصار على قضاء الصف أو المدرسة في برنامج التعليم ؛ لأن ذلك سوف يجعل من المقررات الدراسية حبيسة داخل أسوار المدرسة فحسب ، وتنفي حينئذ الفائدة المتوخاة من تعليم هذه المواد التربوية ، فلابد من التوسع في عملية تفعيل المقررات الدراسية وإشراك الأسرة كجزء مهم في برنامج التعليم ، وكذلك إعطاء بدائل تشغل وقت فراغ الشباب ؛ تكون تحت إشراف البرنامج التعليمي ... فإن ما يمكن تسميته بلغة الاستهلاك اليومي من الألفاظ والمعاني والإشارات التي تستخدم بصورة متواصلة وهي لا تدخل في نطاق البرنامج التعليمي المتبع في المناهج المذكورة ولهذا السبب ، تبرز على السطح قطيعة واسعة بين المادة التعليمية وطرائق ممارستها الفعلية . وإذا كان المخططون لوضع مناهج التعليم في البلدان العربية والإسلامية يعتمدون على المحيط العام في توصيل المواد التعليمية المراد إنزالها على أرض الواقع الحياتي لدى الطالب مثل التلفاز والمجلات الخاصة بأعمار الطفولة والشبيبة ، إلى جانب الاعتماد على مراحل التعليم الحالية من خلال تواصل التعليم فإن الأمر مغاير تماماً في هذه البلدان . حيث كلما توغل الطالب في مراحل التعليم العالية ؛ ابتعد شيئاً ما عن دوائر اللغة والاشتغالات الرئيسية بأدواتها. كما ينبغي التنبيه إلى نوعية الكادر التعليمي ومهارته العالية في إتقان لغة البلد الغربي الذي يستوطنه (أبناء الجيل الثاني) ، حيث كلما كان متمكناً من لغة البلد الرسمية ؛ كانت عملية التعليم أنجح وأكثر توفيقاً ، لأنه العامل الرئيسي في برنامج توصيل اللغة من خلال ممارسة التعريب والاسلمة للمفردات والمصطلحات ، ولقربه من عقلية الطالب في استيعاب المعلومة المنطوقة والمكتوبة بلغة ثانية .

❖ قواعد أصول الفقه على مذهب الإمامية (❖):

- ١٤ = لا دلالة للأمر على الفور ولا على التراخي.
١٥ = الأمر بالأمر بالشيء أمر بذلك الشيء حقيقة.
١٦ = الأمر بشيء بعد الأمر به ظاهر في التأكيد.
١٧ = إذا نسخ الوجوب فلا دلالة لدليل النسخ ولا المنسوخ
على بقاء الجواز .

❖ إعداد : لهبة في مجمع فقه أهل البيت عليه السلام

❖ نص القاعدة: لا دلالة للأمر على الفور ولا على التراخي (١).

الألفاظ الأخرى للقاعدة :

لا دلالة للصيغة لا على الفور ولا على التراخي (٢).



(*) تنويه: إن جميع ما نُشر من قواعد أصول الفقه في الأعداد السابقة من مجلة رسالة الثقلين هي على مذهب الإمامية الإثني عشرية.

(١) مناهج الوصول ١: ٢٩١.

(٢) الكفاية: ٨٠.

توضيح القاعدة :

إنّ مراد الأصوليين من الفور والتراخي في مقام الامتثال هو الفور والتراخي عرفاً لا عقلاً ، إذ يستحيل الفورية العقلية ، لأنّه لا يتعلق البعث إلاّ بأمر متأخّر عن زمان البعث ، ضرورة أنّ البعث إنّما يكون لإحداث الداعي للمكلف الى المأمور به بأن يتصوره بما يترتب عليه من المثوبة وعلى تركه من العقوبة ، ولا يكون هذا إلاّ بعد البعث بزمان ، فلا محالة يكون البعث نحو أمر متأخّر عنه بالزمان (١).

الحقّ عدم دلالة الأمر على الفور ولا على التراخي ، إذ ليس مفاده إلاّ البعث الى نفس الطبيعة بلا دلالة على تقييدها بأحدهما ، فلا بدّ في التقييد من دلالة أخرى (٢).

استدلّ على الفورية بوجهين :

١ - إنّ الفورية وإن كانت غير ملحوظة للأمر قيداً للعمل إلاّ أنّها من لوازم الأمر المتعلق به ، فإنّ الأمر تحريك الى العمل وعلة تشريعية له ، وكما أنّ العلة التكوينية لا تنفكّ عن معلولها في الخارج كذلك العلة التشريعية تقتضي عدم انفكاكها عن معلولها في الخارج وإن لم يلاحظ الأمر ترتبه على العلة في الخارج قيداً (٣).

واستشكل عليه بأنّ القياس بين التكوين والتشريع في غير محله (٤).

(١) راجع الكفاية : ١٠٣ .

(٢) راجع الكفاية : ٨٠ ، ومناهج الوصول ١ : ٢٩١ ، ونهاية الأفكار ١ : ٢١٨ .

(٣) راجع كتاب الصلاة للمحقق الحائري : ٥٧٣ .

(٤) راجع مناهج الوصول ١ : ٢٩٢ .

٢ - قوله تعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ ^(١) و ﴿ وسارعوا الى مغفرة من ربكم ﴾ ^(٢).

تقريب الدلالة : إنّ الله «عز وجل» أمر عباده بالاستباق نحو الخيرات والمسارة نحو المغفرة ، ومن مصاديقهما فعل المأمور به ، فيجب على المكلف الاستباق والمسارة نحوه ^(٣).

وقد يستشكل عليه بوجوه :

ألف : قال الإمام الخميني «رضوان الله تعالى عليه» : إنّ الظاهر من مادّة الاستباق وهيئة المسارة هو أنّ الأمر متوجّه الى تسابق المكلفين بعضهم مع بعض الى فعل الخيرات والى مغفرة من ربهم ، ومع حفظ هذا الظهور لابدّ من حمل الخيرات وأسباب المغفرة على ما لو لم يسبق المكلف إليه لفاته بإتيان غيره مثل الواجبات الكفائية والخيرات التي لا يمكن قيام الكل بإتيانها ، ومعه يكون الأمر للارشاد لا للوجوب ، فإنّ الاستباق والمسارة في مثلها غير واجب بعد ما قام بأدائها شخص أو أشخاص ^(٤).

ب : قال السيد الخوئي رحمه الله بعد موافقته مع الإمام الخميني رحمه الله في المراد من آية الاستباق :

وأما آية المسارة فالظاهر من المغفرة فيها هو نفس الغفران الإلهي ، فالآية عندئذ تدلّ على وجوب المسارة نحوه بالتوبة والندامة التي هي

(١) البقرة : ١٤٨ ، والمائدة : ٤٨ .

(٢) آل عمران : ١٢٣ .

(٣) راجع نهاية الأفكار ١ : ٢١٩ ، والمحاضرات ٢ : ٢١٤ .

(٤) منهاج الوصول ١ : ٢٩٣ .

واجبة بحكم العقل ، وليس المراد منها الأفعال الخارجية من الواجبات والمستحبات ، فإن الآية ترشد الى ما استقلّ به العقل وهو وجوب التوبة، وأجنبية عما نحن بصدد^(١).

ج : لو سلّم دلالة الآيتين على طلب المسارعة والاستباق في اتيان المأمور به فلا بدّ من حمله على الإرشاد ، لاستقلال العقل بحسن المسارعة والاستباق نحو اتيان المأمور به^(٢).

د : ولو سلّم دلالتهما على أنّ الأمر فيهما مولوي فلا بدّ من حمله على الاستحباب ، لأنّه لو حمل على ظاهره وهو الوجوب لزم تخصيص الأكثر وهو مستهجن ، وذلك لخروج المستحبات بأجمعها عن إطلاقهما مع أنّها مصاديق للخير والمغفرة ، بل وخروج كثير من الواجبات كالواجبات الموسّعة^(٣).

التطبيقات :

إنّ الأوامر الصادرة من الشارع لاتدلّ على الفور ولا على التراخي إلاّ ما قامت قرينة على أحدهما.

١٥ - نصّ القاعدة : الأمر بالأمر بالشيء أمر بذلك الشيء حقيقة^(٤).

الألفاظ الأخرى للقاعدة : لا دلالة بمجرد الأمر بالأمر على كونه أمراً بذلك الشيء^(٥).

(١) المحاضرات ٢: ٢١٥.

(٢) راجع الكفاية : ٨٠، والمحاضرات ٢: ٢١٥.

(٣) راجع الكفاية : ٨٠، والمحاضرات ٢: ٢١٥، ٢١٦.

(٤) راجع نهاية الأفكار ١: ٣٩٩.

(٥) الكفاية : ١٤٤.

توضيح القاعدة :

إن الأمر بالأمر بشيء يتصور بحسب مقام الثبوت والواقع على وجوه :

١- أن يكون غرض المولى قائماً بخصوص الأمر الثاني باعتبار أنه فعل اختياري للمكلف من دون تعلق الغرض بالفعل الصادر من المأمور الثاني ، فلا يكون الأمر بالأمر أمراً بذلك الشيء .

٢- أن يكون الغرض قائماً بالفعل الصادر من المأمور الثاني ، ويكون الأمر الثاني ملحوظاً على نحو الطريقة من دون أن يكون له دخل في الغرض ، فيكون الأمر بالأمر أمراً بذلك الشيء .

٣- أن يكون الغرض قائماً بالفعل الصادر من المأمور الثاني لا مطلقاً بل بعد الأمر الثاني ، بحيث لو لم يصدر الأمر الثاني لم يجب على المأمور الثاني اتيانه وان اطلع من طريق آخر على أمر المولى ، فلا يكون الأمر بالأمر أمراً به^(١).

هذا بحسب مقام الثبوت ، وأمّا مقام الإثبات فاختلفت فيه كلمات الأصوليين :

قال المحقق الخراساني رحمته الله : لا دلالة بمجرد الأمر بالأمر على كونه أمراً بذلك الشيء ، ولا بد في الدلالة عليه من قرينة عليه^(٢).

وقال المحقق العراقي والسيد الخوئي «قدس سرهما» : الظاهر من الأمر بالأمر بالشيء بحسب المتفاهم عرفاً والارتكاز هو كونه على الوجه الثاني ، فيكون الأمر بالأمر أمراً بذلك الشيء^(٣).

(١) راجع الكفاية : ١٤٤ ، والمحاضرات : ٧٤ / ٤ - ٧٥ .

(٢) الكفاية : ١٤٤ .

(٣) راجع نهاية الأفكار : ١ / ٣٩٩ ، والمحاضرات : ٧٦ / ٤ .

التطبيقات :

ما رواه الحلبي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : إنّنا نأمر صبياننا بالصلاة إذا كانوا بني خمس سنين ، فمروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين ، ونحن نأمر صبياننا بالصوم إذا كانوا بني سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم ... فمروا صبيانكم إذا كانوا بني تسع سنين بالصوم ما استطاعوا من صيام اليوم ...^(١).

١٦ - نص القاعدة : الأمر بشيء بعد الأمر به ظاهر في التأكيد^(٢).

توضيح القاعدة :

لا اشكال في أنّ الأمر بشيء في نفسه ظاهر في التأسيس إلّا أنّه إذا ورد مسبقاً بأمر آخر به قبل امتثاله فالمتفاهم عرفاً هو التأكيد فيما لم يذكر سبب أو ذكر سبب واحد^(٣).

وأما إذا ذكر لكل واحد سبب غير الآخر أو كان أحدهما مطلقاً والآخر مقيداً بسبب فيأتي الكلام عنه في مبحث المفاهيم والإطلاق والتقييد .

التطبيقات :

كلّ الأوامر الواردة في الكتاب والسنّة المسبوقة بأوامر قبل امتثالها تكون ظاهرة في التأكيد .

(١) الكافي : ٤٠٩ / ٣ ، كتاب الصلاة ، باب صلاة الصبيان ح ١ .

(٢) راجع المحاضرات : ٨٠ / ٤ .

(٣) راجع الكفاية : ١٤٥ ، والمحاضرات : ٨٠ / ٤ .

١٧ - نص القاعدة : إذا نسخ الوجوب فلا دلالة لدليل الناسخ ولا المنسوخ على بقاء الجواز^(١).

الألفاظ الأخرى للقاعدة :

الوجوب إذا نسخ فلا دلالة فيه على بقاء الجواز^(٢).

الحق عدم إمكان بقاء الجواز أو الرجحان مع رفع الوجوب^(٣).

توضيح القاعدة :

إذا وجب شيء في زمان ثم نسخ وجوبه فهل يبقى رجحانه أو جوازه أم لا؟ المشهور هو الثاني والكلام يقع في مقامين :

١ - إمكان بقاء الرجحان أو الجواز عقلاً :

قال المحقق العراقي^(٤) : لا ينبغي الاشكال في أنه لا ملازمة بين ارتفاع الوجوب وبين ارتفاع جوازه ، وذلك من جهة أنه بعد أن كان له مراتب عديدة من حيث أصل الجواز والرجحان والإلزام فيمكن أن يكون المرتفع بدليل النسخ هو خصوص الإلزام مع بقاء رجحانه أو جوازه^(٥). واستشكل الإمام الخميني^(٦) مقالته بأن الوجوب ليس ذا مراتب حتى يأتي فيه ما ذكر^(٧) وعليه فمجرد نفيه لا يستعقب شيئاً .

٢ - مقتضى الأدلة :

قد يقرب بقاء الرجحان بعد نسخ الوجوب بأنّ القدر المتيقن من دليل الناسخ إنّما هو رفع خصوص الإلزام دون سائر المراتب ، ففيما عداه

(١) الكفاية : ١٣٩ .

(٢) المحاضرات : ٢٢ / ٤ .

(٣) مناهج الوصول : ٨١ / ٢ .

(٤) نهاية الأفكار : ٣٨٩ / ١ .

(٥) راجع مناهج الوصول : ٨٠ / ٢ .

يؤخذ بدليل المنسوخ، ويحكم بمقتضاه باستحبابه نظير ما إذا ورد دليل على وجوب شيء ودليل آخر على عدم وجوبه، فكما أنَّه هناك يجمع بينهما فيؤخذ بظهور دليل الوجوب في مطلق الرجحان ويرفع اليد عن ظهوره في الإلزام كذلك في المقام أيضاً، فإذا لم يكن لدليل النسخ دلالة على أن زيد من رفع الوجوب فلا جرم يؤخذ بظهور دليل المنسوخ في مطلق رجحانه، وبذلك يثبت استحبابه^(١).

وقد يناقش في هذا التقريب بأنَّ دليل الوجوب ليس له ظهورات حتّى يبقى بعضها مع سقوط بعض، بل البعث الإلزامي لا يكون له ظهور إلّا في نفس البعث، ويفهم الإلزام من أمر آخر كحكم العقلاء بكونه تمام الموضوع لوجوب الطاعة إلّا أن يقوم دليل على الترخيص، ولو فرض ظهوره في الوجوب وضعاً لا يكون له إلّا ظهور واحد، فمع قيام الدليل على النسخ لا يبقى ظهور له.

وأما الجمع بين الأمر الظاهر في الوجوب والنصّ المرخّص في تركه بحمل الأمر على الاستحباب فليس أخذاً ببعض مراتب الظهور وترك بعض مراتبه، بل هو تحكيم النصّ على الظاهر وحمله على خلاف ظاهره، وأما ما نحن فيه فبعد العلم بأنّ الأمر للوجوب والعلم برفع الوجوب فلا مجال لبقاء الاستحباب إلّا إذا فرض وجود مراتب للظهور، وهو بمكان من الفساد، فالقياس مع الفارق^(٢).

فبعد ذلك إذا كان كلّ من رجحان الشيء وجوازه وعدم جوازه محتملاً فلا دليل على شيء منها بخصوصه.

(١) راجع نهاية الأفكار: ١ / ٣٩٠.

(٢) راجع منهاج الوصول: ٢ / ٨١ - ٨٣.

حدود الجاذبة والطاردة - «الرفق والعنف» في الإسلام (٢)

✽ الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي

لمحة عن الأبحاث السابقة :

تعرّضنا في البحثين السابقين لمطالب تتعلق بالجاذبة والطاردة في الإسلام وحدودهما ، وكانا غالباً مقدّمة للدخول في البحث الأصلي ؛ وقد أكدنا سابقاً على أمر ، وهو أن الإنسان بما أنه موجود متكامل ، يواجه في مسيرته التكاملية مجموعتين من العوامل ، وهما : العوامل المفيدة والعوامل المضرة ، وهو بحاجة مثل جميع الموجودات الحيّة إلى جذب العوامل المفيدة ، وطرد تلك العوامل المضرة ، ولكي يتأتّى له هذا العمل بشكل صحيح فإن عليه .



(*) ويقال به بالفارسية (الجاذبة والدافعة) وهو مصطلح أشتهر إطلاقه على لسان المفكر الإسلامي الشهيد مرتضى المطهري (التحرير).

أولاً: أن يعرف جيّداً هاتين المجموعتين ، ويميّز بينهما بشكل دقيق ، وتكون هذه المعرفة بمثابة الخطوة الأولى في حركته ، وينبغي أن تكون عملية الجذب والطرْد هذه بإرادته واختياره ، وأن لا يكون مجبوراً عليها . ثانياً: أن يقوّي إرادته جيّداً ليستطيع القيام بالأعمال المفيدة وترك الأعمال المضرة ، ويكون ذلك بمثابة الخطوة الثانية له ، إذ من الواضح أن الإنسان لا يلتذ ولا يتعلّق بكل ما هو مفيد ونافع له ، كما أنه لا يتنفّر ولا يكره كل ما هو مضرّ له ، بل كثيراً ما يكون الأمر على العكس تماماً ، فيكره ما هو مفيد له قطعاً ، ويعشق ويرغب ما هو مضرّ له جداً ، كالذي نراه عند بعض الناس من تعلّقهم بالتدخين أو بالخمر وغير ذلك من المسائل الضارة ، والمهم هو بيان أن لمسألة الجذب والطرْد دوراً أساسياً في المعرفة ، وكذلك هناك دور أساسي لقوّة إرادة الإنسان .

المرجع في تشخيص العوامل المفيدة والمضرة في التكامل الروحي

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : أننا في عملية بناء النفس والتكامل الروحي نحتاج إلى مرجع يشخّص لنا كلاً من العوامل المفيدة ، والعوامل المضرة في هذا التكامل ، لكي يتأتّى لنا جذب العوامل الأولى وطرْد العوامل الثانية ، فما المرجع الذي يمكن له أن يقوم بهذا الدور ؟ وأي مرجع يشخّص لنا الأساليب التي تقوّي لدينا الإرادة أيضاً ؟

نحن المسلمون والمتدينون نعتقد بأن الله سبحانه وتعالى يحلّ لنا هذه المشكلة ، لأنه هو الذي خلق الإنسان ويعرف تماماً قوانين وخصائص روحه وجسمه ، وتأثيرهما على بعضهما البعض ، ويعلم أيضاً ما هي الأشياء المفيدة له وما هي الأشياء المضرة ، ويعلم بالأمور التي تقوّي أو تضعف الإرادة الإنسانية في مسائل الجذب والطرْد

المعنوي ، وقد حلّ لنا الدين هذه المشكلة وذلك بإرسال الله الأنبياء والرسل فليست فلسفة بعثة الأنبياء إلا هذا الأمر ، وليس الدين ولا مجموعة التعاليم والقوانين والأحكام الموجودة فيه إلا بياناً وتمييزاً بين ما هو نافع للإنسان ومقوّ لإرادته عمّا هو ضارّ له ومضعف لإرادته ؛ وإذا أراد الإنسان أن يصل إلى الكمال المعنوي والروحي ، ويميّز العوامل المفيدة عن المضرة ؛ فعليه أن يسأل الدين والأنبياء عن ذلك .

سياسة الإسلام العامة في تبليغ الدين

أمّا الآن ، فقد جاء دور هذا السؤال وهو : ما الذي ينبغي فعله لجذب الناس إلى الدين ؟ لأنه لا يكفي أن تكون تعاليم وأساليب التكامل الروحي للإنسان بيد الأنبياء فقط ، بل لابد من التفكير جيّداً في كيفية إيصال ذلك إلى الناس ليلتزموا به . وفي هذا المجال يطرح بحث الجاذبة والطاردة بمعناه الثالث المتقدّم ، وهو : السؤال عن الأساليب التي اتبعها الأنبياء لدعوة الناس إلى الدين ، وحثّهم لهم على الإلتزام به ، فهل استعملوا فقط السياسة والأساليب الجاذبة ، ليدخلوا الناس في الدين عبر التسامح والرحمة والليونة ؟ أو أنهم استفادوا من الأساليب الطاردة والعنف والقوة ؟ أو أنهم استعملوا واستفادوا من السياستين والأسلوبين معاً ؟ والخلاصة أنه هل هناك قاعدة وقانون خاص في هذا المجال أو لا ؟ وإذا أردنا التعرض لهذه المسألة بشكل جامع وكامل ؛ فسنحتاج إلى بحوث متعددة ، ولا يتلاءم ذلك مع البرنامج الموضوع لهذه البحوث ؛ فلذا سنسعى قدر الإمكان لبيان خلاصة ما يتعلّق ببحثنا هذا .

ألف - الاستفادة من البرهان والموعظة :

المرحلة الأولى في عمل الأنبياء هي دعوة الناس ، فلا بدّ لهم أن يقوموا

بعمل يسمع فله الناس كلامهم ، ومن ثم يلتزموا أولاً يلتزموا بما يقولونه، وفي مرحلة الدعوة هذه لا يستعمل الأنبياء إلا المنطق والاستدلال والبرهان ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (١)، ولكي تكون الدعوة جاذبة ؛ فلا بد أن تطرح بالحكمة والدليل والمنطق ، ولا مجال لاستعمال السياسة الطاردة في هذه المرحلة أبداً .

ولكننا إذا نظرنا إلى الواقع الموجود ؛ فسنرى أنه لا يقدر الجميع على إدراك الحكمة والأدلة والبراهين الفلسفية والمنطقية . وإذا رجعنا إلى أنفسنا أيضاً ، فسنرى أننا نرعرعنا على دين الإسلام وعلى مذهب يدعى التشيع وقبلناه ، من دون أن نبحث عن ذلك بالأدلة والبراهين العقلية ، وجلّ الناس يتأثرون بالعوامل الاجتماعية كتربية الوالدين ، وتعليمات الأساتذة والمدارس ، والأجواء المحيطة وأمثال ذلك ممّا يؤدّي إلى قبول الإسلام مثلاً دون أن يسأل عن الدليل على صحّة الإسلام وعدمه ، نعم قد يسمع ببعض الأدلة من عالم أو خطيب أو غير ذلك ، ولكن هذا غير ما نريد قوله وهو أن الأكثر ليس عنده الرغبة أو الدافع للبحث والتحقيق عن الدين والمذهب ، وإنما يتفاعل مع الأحاسيس والعواطف ، ويتعلّق بالمسائل المادية والظاهرية دون سعيه لإقامة البراهين.

والمحرّك الأصلي لنوع الناس هو : المنفعة والضرر ، والرغبة والرغبة ، ويعبّر عن هذا المحرّك في الثقافة الإسلامية (بالخوف والرجاء) بمعنى أنه لا بدّ من وجود شيء يحرك نحو الفعل أو يردعه عنه ، كأن يكون هناك مال أو شهرة أو مقام أو أي مرغّب آخر ، أو يكون هناك حبس أو جلد أو غرامة مالية أو أي مخوّف آخر ، عند ذلك تبدأ فعالية الإنسان ، بل في مقام الدراسة والتحصيل نرى أن الشخص عادة يدرس

إِمَّا لِيَحْصِلَ عَلَى عَمَلٍ مَهْمٌ ، أَوْ وَظِيفَةٌ مَرْغُوبَةٌ ، أَوْ لِكِي يَنَافِسَ أَصْدِقَاءَهُ وَرِفَاقَهُ وَلَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُمْ ، أَوْ لِأَنَّهُ لَا يَتَحَمَّلُ مَلَامَةَ الْأَهْلِ وَعِتَابَ الْوَالِدِينَ ، رُبَّمَا أَنَّ نَوْعَ الْإِنْسَانِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ؛ فَقَدْ قَامَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِطَرَحِ الْمَوْعِظَةِ إِلَى جَانِبِ الْحِكْمَةِ وَالْمَنْطِقِ وَالِاسْتِدْلَالِ ﴿۱﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴿۲﴾ فَتَنْصِبُ الْمَوْعِظَةَ عَلَى تَشْخِصِ الْأُمُورِ بِأَنَّ هَذِهِ الْفَوَائِدُ تَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ أَوْ التَّرْكِ ، وَهَذِهِ الْمَضَارُّ تَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ أَوْ التَّرْكِ ، وَالْمُتَتَّبِعُ لِأَوْصَافِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ يَجِدُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَبْشُرُونَ وَمَنْذُرُونَ وَمَا أَرْسَلُوا إِلَّا لِأَجْلِ ذَلِكَ ، ﴿۳﴾ وَمَا نَرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبْشُرِينَ وَمَنْذُرِينَ ﴿۴﴾ .

فَالْأَنْبِيَاءُ ﷺ لَا يُكَلِّفُونَ فِي مَقَامِ الدَّعْوَةِ بِإِقَامَةِ الْبِرَاهِينِ وَالِاسْتِدْلَالِ ، بَلْ يَقُولُونَ لِلنَّاسِ - لِمَا عَلَيْهِ نَوْعُهُمْ - : إِنَّكُمْ إِذْ قَبِلْتُمْ دَعْوَتَنَا وَالتَّزَمْتُمْ بِهَا ؛ فَسَوْفَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَكُمْ نَعَمٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ تَقْبَلُوهَا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ جَهَنَّمَ وَأَنْوَاعَ الْعَذَابِ لِلْكَافِرِينَ ، عِنْدَ ذَلِكَ يَضْطَرُّ الْإِنْسَانُ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ ، وَيَقْوَى فِيهِ الْحَافِزُ النَّفْسِيُّ خُصُوصًا عِنْدَمَا يَكُونُ قَدْ سَمِعَ بِبَعْضِ الْحَوَادِثِ الْوَاقِعِيَةِ وَالْعَمَلِيَةِ ، وَلِذَلِكَ يَقُومُ الْقُرْآنُ بِنَقْلِ مَا جَرَى لِلْأُمَّمِ السَّابِقَةِ وَكَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ ، وَمَاذَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ بَلَاءٍ ، وَعَذَابٍ ، وَيُوكِّدُ عَلَى أَنَّ يَنْتَبِهَ الْإِنْسَانُ ، وَلِيَكُنْ مُتَّقِظًا لَا يَحِلُّ بِهِ مَا حَلَّ بِهِمْ ، وَتَكُونُ لَهُ نَفْسُ الْعَاقِبَةِ . وَالْمَلَا حَظُّ أَنَّ حَالَةَ الْخَوْفِ مِنَ الضَّرَرِ تَحَرِّكُ الْإِنْسَانَ نَحْوَ الْفِعْلِ أَوْ التَّرْكِ بِشَكْلِ أَكْبَرَ مِنْ حَالَةِ الرَّجَاءِ وَالْوَعْدِ بِالْمَنْفَعَةِ ، فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ : إِذَا قَلْنَا لَشَخْصٍ غَنِيٍّ وَمُتَنَعِمٍ فِي الدُّنْيَا : إِنَّكَ إِذَا قَمْتَ بِهَذَا الْعَمَلِ سَوْفَ تَزْدَادُ عَلَيْكَ النِّعَمَ وَتَحْصِلَ عَلَى

(١) النحل : ١٢٥ .

(٢) الأنعام : ٤٨ .

مقام أرفع وشهرة أكبر و ... فمن الممكن ألا نرى منه أي اهتمام بذلك ويقول: عندي من النعم ما يكفيني ولا رغبة لي في أكثر من ذلك، ولكن إذا قلنا له: إنك إذا لم تقم بهذا العمل فسوف يقلّ مالك وتنقص هذه النعم التي أنت عليها، فسوف يتحرّك لدفع هذا الضرر، والضرر بالنسبة له مرفوض قطعاً بخلاف مسألة الرجاء وازدياد النعم، ولعلّه لهذه النكتة يؤكد القرآن على عنصر الإنذار أكثر من عنصر التبشير، وإن تقارنا في مواضع جمّة ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾^(١).

وعلى هذا، فقد اتضح أن القوة الجاذبة تتكاتف مع القوة الطاردة في ابتداء الدعوة، فتطرح الحكمة والبراهين معضودةً بالوعد بالجنة والتخويف من النار، وقد كان وصف الجنة والنار، خصوصاً في الروايات، جاذباً قوياً ومحركاً شديداً نحو الجنة، ومرعباً مخيفاً من النار وأهلها.

ب - الموعظة وصفتها:

ونلاحظ وجود نكتة في الآية، وهي بعد أن انتهت مرحلة الحكمة وجاء دور الموعظة، لا بدّ لهذه الموعظة أن تكون حسنة، فالموعظة كما أشرنا تشتمل على عنصر التبشير وكذلك تشتمل على عنصر الإنذار، وهذا الأخير يحتوي على الخوف والوعيد والتهديد، ولكن مع ذلك لا بدّ للواعظ أن يبيّن هذا العنصر بشكل يؤثّر في القلوب ويأخذ مكانه منها، حتى ولو كان المخاطب شخصاً فاسداً مثل فرعون، ويقول الله للنبي موسى وأخيه هارون عليهما السلام: ﴿إذهبوا إلى فرعون إنه طغى﴾ فقولوا له قولاً ليناً لعله

يتذكر أو يخشى^(١)، فإن فرعون طاغ وعات يجب أن تعظوه بشكل (يخشى) منه، وهذا هو عنصر الإنذار، ولكن مع ذلك عليكما بيان مقولتكما المشتملة على التهديد والوعيد بطريقة وأسلوب لئلا يملأكم، ولا يصح أن تواجهاه في بداية الأمر بالعنف والقسوة. وإذا أردنا استعمال الأسلوب الحاد والصراخ في بداية الدعوة؛ فإننا لانرى مدعوينا إلا واضعا أصابعه في أذنيه غير مستعدّ لسماع أي كلمة منا، ولا يُصدق ذهنه مدّعانا أبداً، ولكن إذا طرحنا نفس هذا الكلام الذي يحتوي على القوة الطاردة والتهديد بأسلوب هادئ وملائم جذاب فإنه سيؤثر ويوصل إلى النتيجة المطلوبة أحياناً.

ج - المناظرة

ثم بعد أن ذكرت الآية الكريمة الحكمة والموعظة الحسنة؛ تعرّضت لذكر المجادلة، ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾. ولكي يتأتى لك هدايتهم إلى الصراط المستقيم؛ عليك أن تناظرهم وتحاورهم، ولكن مع ذلك لا بدّ من استعمال أحسن وأجمل أساليب الحوار، وإذا انتصرت على خصمك في مقام الحوار والمناظرة؛ فلا تخرج عن الإنصاف والأدب والنزاهة، ولا تستخدم المغالطات للفوز عليه، ولا يكن أكبر همّك أن تسقط خصمك في حلبة المناظرة؛ بل لا بد أن يكون جلّ سعيك إقناعه وإيصال الحقيقة إليه.

السبب في عدم استعمال القوة الطاردة في مقام الدعوة وعليه، يمكن القول بأنه لا مجال للقوة الطاردة والعنف في مقام

الدعوة بجميع مراحلها ، سواء كانت مرحلة الحكمة أم الموعظة أم
المجادلة ، ومن الممكن أن تكون الموعظة في مجال عنصر الإنذار ،
ويكون الحديث عن جهنم والعذاب ، ومع ذلك لابد أن يكون أسلوب
الحديث جذاباً ، يلفت انتباه الطرف المقابل ويدفعه للتفكير بمحتواه ،
وعندما يكون الحديث بهذا الأسلوب ، سيفكر السامع بالمحتوى ويقول
في نفسه : «إنه قد تكون جهنم والعذاب فيها أمراً ممكناً ، فلماذا لا أتحقق
من الأمر وأرى ما هي حقيقته؟» خصوصاً بعد ملاحظة النكتة الموجودة
في مسألة النفع والضرر ، وهي أن المحرك والباعث ليس ناتجاً عن
احتمال النفع والضرر فقط ، بل هو حصيلة ضرب الإحتمال بالمحتمل ،
وهذا يعني أنه من الممكن في بعض الموارد أن يكون إحتمال النفع أو
الضرر قليلاً ولا يترتب عليه الأثر عادة ، ولكن إذا ضممنا إلى ذلك قوّة
المحتمل وأهميته ؛ سوف يؤدي إلى التحرك والإنبيعات وترتيب الأثر .

فعلى سبيل المثال لو أخبرنا طفل عمره خمس سنوات بوجود سلك
كهربائي على الدرج وقال : انتبهوا ولا تدوسوا عليه أثناء صعودكم .
فالاحتمال في هذه المسألة ضعيف جداً ، لأن طفلاً بعمر خمس سنوات لا
يعرف السلك الكهربائي عادة ، ولا يميّز بينه وبين سلك التلفون ، فكيف
علم بأن هذا السلك متصل بالكهرباء ، وأنه ليس مجرد سلك مقطوع ؟ فإن
كل ذلك يجعل الاحتمال ضعيفاً جداً ، ولكن من ناحية المحتمل والإخبار
عن الكهرباء التي فيها خطورة الموت والحياة ، فإنه قوي جداً ، ولقوة هذا
المحتمل نصح الدرج حذرين مراقبين ذلك السلك جيّداً ونعبره باحتياط
كامل .

وفي مجال بحثنا ، نرى المحتمل قوياً جداً أيضاً ، بل هو أقوى من
مسألة الموت والحياة وأرفع من ذلك بدرجات لأنه إخبار عن عذاب أبدي

وعن خلود في النار ، ويمكننا هنا طرح عنصر الإنذار هذا ، بما في ذلك الحديث عن العذاب وعن جهنم ، بأسلوب ملائم وخطاب عاطفي لين ، وبقلب صادق غيور على الناس حريص على مصالحهم ، وعند ذلك لا يستبعد أن يستمع الناس إلينا ويتأثروا بحديثنا .

تعاطي الإسلام مع السلوك الشخصي

وأما بالنسبة للبحث عن المجتمع والحكومة وسلوك الأفراد فيه ومدى تأثيرهم عليه ، فالأمر مختلف ، فإذا ما كان العمل الصادر من الشخص سرّياً وكان نفعه أو ضرره شخصياً ، وراجعاً إليه فقط وغير مؤثر على المجتمع ؛ عندها يُطرح هذا السؤال وهو كيف يتعامل الإسلام مع هكذا سلوك ؟ فمن يقوم آناء الليل يصلي أو يقوم بشرب الخمر ، والعياذ بالله ، من دون أن يطلع على صلاته أو شربه أحد ، فالنفع والضرر في هذين الموردتين شخصي لا يعود على المجتمع بشيء ، والإسلام في هكذا موارد يستعمل القوة الجاذبة لا غير ، فيقوم بذكر فوائد وآثار صلاة الليل ، وضرر ومساوئ شرب الخمر ، حتى يوجد الباعث لأداء صلاة الليل ، والحافز على ترك شرب الخمر ، طبعاً عبر الاستفادة من الأسلوب الحسن والخطاب المناسب والنصيحة الأخوية ، ولا يسمح الإسلام باستعمال القوة الطاردة مع من يشرب الخمر في سرية تامة ، حيث إنّ ضرر ذلك شخصي ، ولا يجوز استعمال القوة والعنف معه أبداً ، وإذا أطلع أحد على فعله ، فليس له الحق أن يقول له : إنني رأيته تفعل هذه المعصية ، فضلاً عن إفشاء ذلك للآخرين ، لأن هذه المعصية كانت بالسرّ وليس لأحد الحق في إفشائها ، ولعلّه إذا قيل له بأنك تفعل هذه المعصية ، ستحصل لديه ردّة فعل سلبية ، سيقول في نفسه بما أن الناس قد اطلعوا على

ما أفعل ، فلا فرق بين أن أقوم به في السرّ أو في العلانية ، ولذا نرى أن الإسلام يمنع عن فضح هكذا شخص ، وإفشاء سرّه ، فكيف يأمر بالتعاطي الطارد والمجازاة والقوة معه ؟! طبعاً لا يأمر بذلك ، وإنما يوصي بنصيحة وأن يطلع على مساوئ ومضار عمله بشكل غير مباشر ، ومن دون أن يعلم بأن أحداً قد اطلع على معصيته ، فلعله يقلع عن ذلك ويتوب إلى ربه .

تعاطي الإسلام مع السلوك الإجتماعي

هناك بعض الأعمال القبيحة يتعدى الضرر فيها نفس الشخص ليسري ويؤذي المجتمع كله ، وتارة يكون هذا التأثير مباشرة ، وطوراً لا يكون كذلك ، وأمّا مثال الأول فواضح ، وهو كما لو قام شخص بضرب وشتّم أو ظلم بعض الناس وغصب حقوقهم بالقوة ؛ وأمّا في مجال تأثير الأفراد على المجتمع بشكل غير مباشر ، فإنه قد يناقش في بعض الموارد وفي سعة وحدود هذا التأثير ، ولكن لا شك في وجود موارد تبدو غير مؤثرة على المجتمع ، ولكن من خلال التأمل والتدقيق نجد أن لها تأثيراً على بقية الأفراد في المجتمع ، كما لو قام أحد الناس بعمل قبيح على مرأى منهم ، فإن ذلك يعتبر تلقيناً وتعليماً غير مباشر للناس ، ومؤدياً لزوال قبح العمل شيئاً فشيئاً من أذهانهم ، كما لو كذب الأب على بعض الناس في محضر أولاده ، فإن ذلك يعتبر تلقيناً بشكل غير مباشر للأولاد بأن الكذب ليس بقبيح ، إذ لو كان قبيحاً ؛ لما فعله الأب .

وأمّا موقف الإسلام من هذه الأعمال فهو لما يراه من تأثير لها على الساحة والمجتمع ، فإنه ينهى عن التجاهر بالفسق ، ويمنع عن إجراء بعض الأعمال علناً ، وأمّا إذا صدرت من الشخص بالخفاء والسر من

دون أن يطلع عليها أحد فتكون معصية لا أكثر ، ولا يكون فاعلها قد ارتكب ذنباً حقوقياً ولذا لا تتعرض له الحكومة الإسلامية بأذى ، ولكن لو قام بنفس العمل أمام مرأى وأعين الناس ، فهذا يكون ذنباً حقوقياً ، علاوة على كونه معصية وستتعرض له الحكومة الإسلامية بالعقوبة والمجازاة .

وعلى كل حال ، يحكم جميع العقلاء في العالم بلزوم وجود قوة اجتماعية قاهرة اسمها الحكومة ، وظيفتها منع ومجازاة الأشخاص الذين يقومون بأعمال تعتبر تعدياً على حقوق الآخرين ، ولها تأثير مباشر على الآخرين ، وهذا أمر جرى عليه كل العقلاء ولا اختصاص له بالإسلام أو بالأديان الإلهية ، ولكن عندما يكون الضرر معنوياً على المجتمع كما في بعض الموارد ، يميز الإسلام بميزة أساسية عن النظم الديمقراطية والبيرالية ، فالإسلام يُجَوِّز للحكومة الإسلامية ، بل يكلفها بالتدخل والحد من الضرر المعنوي بينما نرى بقية النظم ساكتة عن ذلك ، وعلى سبيل المثال يحكم النظام الديمقراطي أو الليبرالي على ظهور شخص في الشارع بلباس لا يتناسب ولا يتلاءم مع المجتمع ، بأنه تصرف فردي ، وليس لأحد التعرض له بسوء ، بينما الإسلام يمنع بشدة هذا العمل لما له من الآثار السلبية والتخريبية على المعنويات ، ويعتبر من يقوم بذلك مخالفاً لأحكامه ومذنّباً لأبد من معاقبته .

القوانين الجزائية للنظم الاجتماعي

لا يوجد أي خلاف حول ضرورة وجود الحكومة للحد من الأعمال التي تضر بالمجتمع وتضيّع حقوق الآخرين ، ومن البديهي أن الحكومة تحتاج لوضع القوانين حتى يمكن لها القيام بوظيفتها بشكل صحيح ،

وتقسّم القوانين الموجودة في المجتمع - في إحدى تقسيماتها - إلى قسمين : القوانين المدنية (الحقوق المدنية) ، والقوانين الجزائية .

وتقوم القوانين المدنية ببيان حقوق وحرّيات أفراد المجتمع ، من زواج وطلاق وإرث وأمثال ذلك ، وأمّا القوانين الجزائية فهي ترجع إلى التخلف عن القوانين المدنية ، بمعنى أنه بعد أن وضعت الحقوق المدنية وعيّنت حدود وحرّيات الأفراد ، يأتي دور القوانين الجزائية لتضع الجزاء والعقوبات على كل من يتخلف عن الحقوق المدنية ولم يراع الحدود المعيّنة والحريات المذكورة ، ويعتبر وضع هذه القوانين الجزائية وتنفيذها من أهمّ الأعمال والوظائف الملقة على الحكومة والدولة ، ويكون ذلك عاملاً مهماً لإيجاد النّظم والاستقرار والأمن الاجتماعي ، وأمّا إذا اقتصرَت الدولة على وضع الحقوق المدنية وتعيين حرّيات المواطنين فقط ، دون أن تراعي مسألة وضع القوانين الجزائية وتنفيذها ؛ فستختل القوانين المدنية وسوف نسمع بكثير من التخلفات والتجاوزات وعدم رعاية حقوق الآخرين ، ولو لم يكن هناك ضريبة على مخالفة نظام المرور ، ولم يكن هناك مراقب لتنفيذ وإجراء هذا النظام كالشرطي ؛ فسنرى التجاوزات الكثيرة ، فلا نجد من يقف عند ضوء الإشارة الحمراء ، ولا من يراعي عدم الوقوف في بعض الأماكن الممنوعة ، وهكذا يختل كل نظام المرور في البلد ، وكما أنّ الذي يمنع اللصوص والقتلة من التماذي في تجاوزاتهم هو الخوف من الحبس والإعدام ، ولو لا ذلك لكثُر القتل والسرقة في البلد ، وعلى هذا الأساس نجد أن من أهمّ أعمال الدول وضع القوانين الجزائية وتنفيذها ، ولو لا ذلك ؛ لم يكن هناك معنى للدولة ولا للنظام الاجتماعي .

القوانين الجزائية والقوة الطاردة

إن تنفيذ وإجراء القوانين الجزائية يستتبع وجود القوة الطاردة ، ولا أظن أن أحداً يعجبه الحبس أو الجلد أو الإعدام ، لأن ماهية وطبيعة هذه الأعمال، العنف والإكراه حتى ولو كان الذي ينقذها بشوشاً ورحب الصدر ، فلو قال القاضي وهو يبتسم وبأسلوب هادئ ومؤدب لشخص قد تجاوز بعض الحقوق : أرجو منك أن تبقى في هذه الغرفة خمس عشرة سنة ؛ أو أرجو منك أن ، تسمح لي بكشف جسمك فإننا سنجلدك مائة جلدة ، أو أرجو منك أن تضع رأسك على المقصلة فإننا نريد قطع رأسك ؛ فإن هذا الأسلوب الهادئ والاحترام والابتسامه وكل ذلك لن يغير من عنف تلك الأعمال ، فإنها بطبيعتها وذاتها خشنه ، حيث إنه لا أحد يحب أن يبقى في السجن ولو يوماً واحداً ، ولا أحد يفرح بالجلد أو بقطع رأسه ، بل حتى تلك الضريبة التي يفرضها شرطي المرور على المخالف ، ومهما كان الشرطي مؤدباً في تعاطيه ومهما أبدى المخالف من سعة صدر واعتراف بالخطأ ، مع ذلك كله يبقى منزعجاً ولو قلبياً من الضريبة ومن الشرطي ؛ إذ لا شك بوجود القوة الطاردة والعنف الذاتيين في القوانين الجزائية ، وكذلك لا شك أن فلسفة وجود الحكومات هو وجود هذه القوانين الجزائية ، وعلى هذا الأساس ، يوجد في كل حكومة مجموعة من القوانين الجزائية ، وهذه القوانين بطبيعتها وماهيتها عنيفة وطاردة ، فكل حكومة لازمها مجموعة من أساليب الشدة والقوى الطاردة في قوانينها .

قد يقال : إن اصطلاح العنف لا يستعمل إلا في الموارد التي تؤدي إلى الألم والتعذيب الجسمي ، كالضرب والجلد وقطع اليد ، ولو سلمنا بذلك فعلى الأقل . توجد قوة طاردة في بعض الموارد كأمثال الضريبة المالية

والحبس وغيرها حيث لا ضرر على الجسم ، ولا يرضى المعاقب بالأحكام الصادرة في حقّه ، بل يشمئزّ منها ، فإذا لم يطلق عليها اسم العنف في القوانين فهي على الأقلّ قوانين طاردة .

والنتيجة التي وصلنا إليها هي : أن قوام الحكومة وجود القوانين الجزائية ، وهذه القوانين لا تنفك نوعاً عن العنف أو الطرد ، ولا يعقل قيام الحكومة على أساس القوى الجاذبة فقط ، لأنّ تشكّل هكذا حكومة يعتبر لغواً ، حيث إن إحدى الفلسفات والعلل الأصلية لتشكيل الحكومات: أنها تقوم بطرد كل من تجده مُعرضاً عن العمل بالقوانين ، وإلزامه بالتقيّد بها ، حتى ولو أدّى ذلك الطرد والإلزام إلى استعمال القوة ، ومن الطبيعي أن لاستعمال القوة مراتب ودرجات ، فقد يكون بدفع ضريبة وقد يكون سجناً ، وقد يصل أحياناً إلى الجلد أو التبعيد ، وقد ينجز الأمر إلى تنفيذ حكم الإعدام .

الفرق الدقيق بين البعد الشخصي والبعد الاجتماعي للأعمال

تبين أن استخدام واستعمال القوة الطاردة إنّما هو في الموارد التي تخالف فيها القوانين الاجتماعية ، ولا يحقّ للدولة إستخدامها وإنزال العقوبات طالما انحصرت المخالفة في دائرة العامل الشخصي ولم يتجاوزها إلى الناحية الاجتماعية ، ولكن لو أن شخصاً أذنب في الخلوة والسرّ ، ولم يكن قاصداً أن يطّلع على ذنبه أحد ، ثم صادف أن اطلع عليه بعض الناس ، واشتكوا عليه وثبتت معصيته أمام القاضي ؛ فعند ذلك يحكم الإسلام بلزوم مجازاته رغم كونه لم يكن قاصداً ومريداً لإظهار هذا الذنب ، والسرّ في ذلك أن هذا العمل أصبح له بعد اجتماعي ، لأنه اطلع عليه بطريقة أو بأخرى بعض الناس ، وقد يترتب الضرر الاجتماعي

على عمله حتى ولو لم يكن قاصداً ، ولا تحاسب الحكومة على القصد والنوايا وإنما تحاسب على العمل إذا كان له ضرر اجتماعي ؛ بل لو أن شخصاً اعترف وأقرّ على نفسه بأنه ارتكب ذنباً ؛ فسوف يكون مصداقاً لـ ﴿الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة﴾ وهذا أمر محرّم وممنوع في القوانين الإسلامية ﴿إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ (١).

تعاطي الإسلام مع الدول غير الإسلامية وأتباعها
ويطرح بحث الجاذبة والطاردة في الإسلام في دائرة تعاطيه مع الأفراد الخارجين عن الحدود الجغرافية للبلد الإسلامي ، وهذا بحث مهمّ وكبير يحتاج إلى الكثير من الوقت ، فلذا نقتصر على بيانه بشكل إجمالي :
لا يخلو وضع الأفراد الخارجين عن دائرة الحكومة الإسلامية من أحد حالتين : فإمّا أن يكونوا أفراداً يتربصون الدوائر بالحكومة الإسلامية ويهدفون إلى إضعافها بشتّى الطرق ، أو ليسوا كذلك ، وبعبارة أخرى : إمّا أنهم أشخاص يعادون المسلمين والحكومة الإسلامية ويستهدفون الإيذاء ، أو أنهم ليسوا كذلك : فإذا كانوا من الصنف الثاني الذي ليس عنده عدااء مع المسلمين ، ولا يريد إيذاءهم ولا إضعاف الحكومة الإسلامية ؛ فالمسلمون مأمورون بمراعاة العدل والإحسان معهم ، وعدم الاعتداء عليهم ولا مصادرة حقوقهم : ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم﴾ (٢) ؛ وطالما لا يعادون الإسلام ولا يتآمرون عليه ، فلا تجوز أدبيّتهم ، بل على المسلمين أن يتعاملوا

(١) النور : ١٩ .

(٢) الممتحنة : ٨ .

معهم بإحسان ، ويوصي الإسلام في بعض الموارد بالرحمة واللفظ بهم لعلهم ينجذبون إليه ، فمن موارد صرف الزكاة الكفار المجاورون للبلد الإسلامي ، وقد عبّر الاصطلاح القرآني عنهم بـ ﴿المؤلفة قلوبهم﴾ فلعل إعطاء الأموال لهم يوجب ميلهم إلى الإسلام ، أو على الأقل يوجب نوعاً من الحبّ للمسلمين من جانبهم فلا يسمحون للكفار المحاربين بالتوغل من جهتهم لضرب المسلمين . إذاً يمكن القول بأن حكم الإسلام في التعاطي مع هذا الصنف الثاني هو عدم جواز استعمال العنف والقوة الطاردة ، بل لابد من استعمال قوة الجذب معهم .

أمّا الصنف الأول من الكفار المعاندين والمحاربين للإسلام والمتأمرين عليه ، فإنّ حكم الإسلام تجاههم قاطع وحازم حيث يوجب استعمال قوة الدفع ، ولا يسمح لهم بأيّ تحرّك ضده ، ويحرّم أيضاً التعامل معهم : ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم﴾^(١).

وأؤكد مرة ثانية على أن حكم الإسلام باستعمال قوة الطرد مخصوص بالأفراد الذين يعادون ويحاربون الإسلام بشكل رسمي وعلني ، وأمّا غيرهم فالحكم يختلف تماماً ، ويقول القرآن الكريم بأنه إذا كان هناك معركة بين المسلمين والمشركين ، وظهر في ساحة المعركة من صفّ المشركين فردٌ يرفع علماً أبيض مثلاً أو أيّ شيء آخر يريد أن يصل إلى جهة المسلمين ولديه أسئلة علمية ، وهو واقعاً لا يعلم بأن الإسلام حقّ أولاً ، وأن الحرب ضدهم صحيحة أولاً ، فعلى المسلمين أن يرسلوا - مع تمام الحيطة والحذر - من يأتي به إلى معسكر المسلمين ، ويتداولوا معه الحديث ويجيبوه على أسئلته ، وعليهم أن يسعوا جهدهم

لإقناعه بالأدلة والبراهين ، فإذا اقتنع فيها ونعمت ، وإلا فعليهم إرجاعه إلى مكانه الأصلي بعيداً عن مرمى جيوش المسلمين ، وعند ذلك إذا صمّم على محاربة المسلمين ؛ قاتلوه وحاربوه ، وإلا تركوه يذهب إلى أي مكان يشاء : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾^(١) ، ففي أيّ نظام حقوقي نرى مثال هذا الحكم والموقف ؟ نعم الإسلام هو الذي يقول : إنّ على العالم والجامعي المسلم أن يجيب على أسئلة الكفار المعاندين حتى ولو كانوا في ساحة المعركة ، ومن قال بأن الإسلام لا يسمح بالسؤال والحوار وأنه لا يجيب إلا بالطعن والمحاربة ؟! فالإسلام هو الذي يأمر بهكذا تعامل رفيع مع المشترك المحارب الشهير لسلاح العداء ، فيكف به مع المسلمين أنفسهم ؟

إذاً السياسة الأولى للإسلام تبدأ بالحكمة والإعتماد على البرهان ، ثم الموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، وأمّا ذلك الشخص الذي أقحم في البحث العلمي ولم يبد أيّ جواب ومع ذلك يصرّ على محاربة الإسلام ، ويتأمر عليه ويسعى لتضعيف النظام الإسلامي ، فلا بد من مقابلته بالشدّة والحزم ، ولا مجال للتساهل والتسامح معه أبداً .

رأي الإسلام في استخدام العنف والقوة الطاردة

الإسلام إذاً يأمر باستخدام العنف والقوة الطاردة في مجالين :
الأول : في الدائرة الداخلية للمجتمع الإسلامي مسلمين كانوا أم غير مسلمين فيما إذا تجاوزوا القوانين المدنية وتعدّوا على حقوق الآخرين ، وظلموا وعتوا في الأرض مفسدين .

والثاني : في الدائرة الخارجة عن حدود الحكومة الإسلامية ، مع من

أضمر العداء للإسلام وتآمر عليه .

وأما بالنسبة لنوع المجازاة التي ينبغي تنفيذها وتطبيقها على المتخلفين عن القانون والمتجاوزين لحقوق الآخرين ، فلا يدركها العقل في كثير من الموارد ، فلذا يكون المعين والمشخص لها هو الله سبحانه وتعالى بشكل مباشر ، وبعد أن يتم تعيين نوع المجازاة ؛ تُنفذ بحق المتخلفين بشدة وعلى أكمل وجه ، ويقول القرآن عند تحديده لجزاء فاعلي الفحشاء ومسببي الفساد : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾^(١). فإنه لا بد من قمع هكذا متخلف بشدة ، ولا ينبغي أن ينظر إليه أي مسلم معتقد بالله وبيوم القيامة بعين الرأفة والرحمة ، وليشهد هذه الشدة والمجازاة طائفة من المؤمنين ؛ ليروا الآلام التي يتحملها المتخلف ، وكيف يُراق ماء وجهه في المجتمع ، لكي لا يجرؤ أحد بعد ذلك على ارتكاب مثل هذا العمل .

خلاصة الكلام في الجاذبة والطاردة في الإسلام

والنتيجة الأخيرة في هذا القسم من البحث هي : أن حدود الجاذبة والطاردة في الإسلام عبارة عن استخدام القوة الطاردة في مجالين فحسب ، وهما مجال المجتمع الإسلامي مع من يتعدى على حقوق الآخرين المادية أو المعنوية ومجال من هو خارج حدود الدولة والمجتمع الإسلامي مع من يعادي الإسلام وينوي الإضرار بالمجتمع الإسلامي ويتآمر عليه ، وأما في غير هذين المجالين ؛ فلا بد من استخدام القوة الجاذبة بالخصوص ، أو استخدام القوة الطاردة جنباً إلى جنب مع

(١) النور : ٢.

القوة الجاذبة وبأسلوب والطريقة المناسبة التي يمكن لها أن تقلل من حدة الطرد، كما أن المعين والمحدد لنوع العنف والطرد ولحدودهما في كثير من تلك الموارد هو الله سبحانه وتعالى، إما مباشرة أو ببيان القواعد الكلية لها، وفي كلا الحالتين لا يجوز تعدي هذه الحدود عند تنفيذ الطرد والعنف: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾^(١).

وفي ختام هذا البحث نذكر قليلاً ببعض المسائل التي مرت بنا سابقاً، حيث قلنا: إن البحث عن الجاذبة والطاردة في الإسلام يمكن أن يفرض على ثلاثة أشكال:

١- هل جعلت مجموعة المعارف والأحكام الإسلامية على نحو تجذب بعض العناصر للمتدينين بها، أو تطرد بعض العناصر عنهم، أو أنها تطرد وتجذب معاً؟

٢- هل جعلت مجموعة المعارف والأحكام على نحو تكون جاذبة لنوع الناس، أو تكون طاردة لهم؟

٣- هل الإسلام في مقام الدعوة إليه، يأمر المسلمين باستعمال الأساليب الجاذبة فقط، أو باستعمال الأساليب الطاردة فقط، أو استعمال كلا النوعين؟

وقد كان أكثر بحثنا منصباً عن السؤال الثالث، ولم نتعرض للسؤالين الأولين بشكل مفصل ودقيق، ولكن مع ذلك ننهي البحث عن الجاذبة والطاردة في الإسلام، آمليين أن تسمح لنا الفرصة فيما بعد لإكماله، وكذلك تناول الأبحاث المهمة والحساسة الأخرى.

سؤال وجواب

السؤال : لقد ذكر في طيات البحث عن الجاذبة والطاردة في الإسلام كلمة العنف ، ويقع البحث عن استعمال هذه الكلمة وهذا المفهوم من جهتين :

الجهة الأولى : هل ورد هذا المفهوم في القرآن الكريم والروايات حتى نعتبره اصطلاحاً دينياً؟

والجواب على ما يبدو بالنفي ، لأن هذه الكلمة لم تستعمل قطعاً في القرآن الكريم ، ولعلّها غير موجودة في الروايات أيضاً ، وإذا استعملت فذلك استعمال نادر جداً ، والخلاصة أن العنف لم يُطرح بعنوان فضيلة من الفضائل في الثقافة الإسلامية ، وكذلك الأمر في اللغة ، حيث إن مفهوم العنف لا يحمل في مضمونه قيمة إيجابية ، ويستعمل في موارد عدم الرحمة ، وهذا المفهوم يختلف عن مفهوم الحزم والشدة ، ومفهوم الحزم مفهوم قيمى إيجابى لا يرادف مفهوم العنف السلبي ، فعلى سبيل المثال ، من الممكن أن نجد قائد جيش حازماً غير عنيف ، وقد يكون عنيفاً غير حازم ، والحزم والعنف مفهومان متفauotان لا يصح استعمال أحدهما مكان الآخر ، بل قد يقوم الإنسان بعمل عاطفي (كالتقبيل) بأسلوب عنيف .

الجهة الثانية: إذا فرضنا وسَلّمنا وجود اصطلاح العنف في القرآن والروايات والثقافة الإسلامية ، وإذا قبلنا أيضاً أن مفهوم العنف مرادف لمفهوم الحزم وله قيمة إيجابية ، لكن مع ملاحظة الظروف المحيطة والمسائل الموجودة ، نجد أن هناك مانعاً من جهة العقل ومن جهة النقل أيضاً عن استعمال هذا المفهوم ، وأنه لابدّ من استعمال مفهوم آخر مكانه .

أما من الناحية العقلية فالعقل يقول : عندما يكون استعمال العنف في المجتمع لا يُفهم منه إلا المعنى السلبي وأنها مرادفة لعدم الرحمة ، وسيؤدّي من دون قصد إلى إيجاد حالة الطرد والنفور عند سماع هذه الكلمة ، بينما يمكن تجاوز المشكلة بسهولة باستعمال مفهوم آخر يؤدّي نفس المعنى ويكون مفهوماً ذاتيماً إيجابية ، فلا بدّ من اختيار المفهوم الثاني دون مفهوم (العنف) .

وأما من الناحية النقلية ، فالقرآن الكريم يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا﴾^(١) ، فعندما كان الأعداء يستفيدون من هذا التعبير (راعنا) بشكل سيئ ؛ جاء القرآن ليقول للمسلمين : إنكم تستطيعون أداء نفس المفهوم بتعبير آخر وهو (انظرونا) وتقطعوا الطريق على سوء استفادة الأعداء .

إذاً يفرض البحث عن العنف في مقامين :

الأول : في مقام الحسن والقبح الفعلي .

الثاني : في مقام الحسن والقبح الفاعلي .

فالبحث عن الذبح مثلاً بحث عن فعل بطبيعته عنيف ، فقطع رأس الدجاج أو الخروف بطبيعته وماهيته فعل عنيف ، ولكن إذا ما تعرّضنا للبحث عن الذي يقوم بهذا الذبح (فاعل الذبح) ، نرى أنه يقوم الذبح بصورة عنيفة وقاسية ، وطوراً يقوم به بأسلوب لا يتصف بالعنف ، وإنما ذكرنا هذا المثال للإشارة إلى أن بحثنا في المجال الثاني العنف الفاعلي لا العنف الفعلي ، فلا ينبغي لنا أن نظهر أحكام الإسلام عند تنفيذها بصورة عنيفة ، تماماً كالرسول الأكرم ﷺ الذي بعث رحمة للعالمين وكان على خلق عظيم ، فإنه على ما يتحلّى به من الصفات

السامية ؛ كان يواجه الكفار بحزم من دون أن يكون هناك عنف في فعله وتصرفه .

وخلاصة السؤال هي : أنه لماذا نصرّ على استعمال كلمة العنف ونوجد الحالة الطاردة بهذا الاستعمال ، ونترك المجال لسوء استفادة الأعداء من هذا المفهوم الحامل للقيمة السلبية ، والذي يرادف في كل المجتمعات معنى عدم الرحمة ، مع أنه وبكل سهولة يمكن لنا تبديل هذا التعبير وحلّ كل المشاكل الناجمة عنه ؟

الجواب :

بعض المسائل التي ينبغي ذكرها في مقام الجواب ، كنّا قد تعرّضنا لها في مناظرة في تلفزيون الجمهورية الإسلامية في إيران حول بحث العنف ، يمكن مراجعة هذه المسائل حيث إنها طبعت في مجلة پرتو (الشعاع) الأسبوعية^(١).

ولكن يمكن الإشارة في هذا المقام إلى أن مصطلح العنف تارة يبحث عن معناه في ثقافتنا ، وطوراً يبحث عن معناه في الثقافات والأعراف المختلفة، وأما في مجال ثقافتنا نحن ؛ فقد يُدعى أنها مرادفة لعدم الرحمة، وعلينا عند تحقيق هذا المدعى ، أن نرى ما معنى مفهوم الرحمة لكي يتّضح المفهوم المقابل له وهو عدم الرحمة والعنف ، ولو سلّمنا أن مفهوم العنف يطلق ويراد منه غالباً عدم الرحمة ، ولكن الأمر ليس كذلك في الثقافات والأعراف الأخرى ، ففي عرف الحقوق والسياسة مثلاً لايعني العنف عدم الرحمة ، فإن هذه الكلمة (العنف) عربية الأصل ، وإذا

(١) من المقرّر أن تطبع مؤسسة التلفزيون في الجمهورية الإسلامية في إيران هذه المناظرة ، وتنتشر على شكل كتاب .

راجعنا كتب اللغة والقواميس العربية ، لانجدهم أبداً يفسّرون العنف بعدم الرحمة ، بل يقولون : إن العنف ضد الرفق و اللين ، اللينة تأتي بمعنى النعومة والطراوة أحياناً .

وإذا قيل : إنه عندما تنتقل المفاهيم من العلوم الفيزيائية والطبيعة إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية ؛ يطرأ عليها عادة بعض التغيير ويصبح لها مصاديق جديدة .

قلنا: هذا صحيح ، ولكن تبقى أصول وجذور المعنى اللغوي محفوظة فيها أيضاً .

وأما ما قيل في ضمن السؤال ومقدمته ، من أن كلمة العنف لم تستعمل قطعا في القرآن الكريم ، وكان استعمالها في الروايات نادرا جدا ، وأن هذا المفهوم لم يطرح بعنوان فضيلة من الفضائل في الثقافة القرآنية والروائية ، فإنّ هذه دعاوى باطلة ، ففي القرآن وإن لم نجد هذه المادة (ع - ن - ف) ولكن هناك كلمات قد استعملت في القرآن وهي مرادفة لكلمة العنف ، ولا مانع من جهة قواعد اللغة والبلاغة والأدب أن توضع إحدى الكلمات المترادفة مكان الأخرى ، وإذا دللنا على الكلمات المرادفة للعنف في القرآن والروايات لا يمكن الادعاء بعد ذلك بأن مفهوم العنف غير مستعمل في القرآن الكريم ؛ ومن الكلمات المرادفة للعنف التي وردت في الكتاب العزيز هي كلمة (الغلظة) من مادة (غ - ل - ظ) وهي في قوله تعالى : ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ ^(١) وفي مكان آخر ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار واغلظ عليهم ومأواهم جهنم ﴾ ^(٢) وفي موضع ثالث يقول : ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ وفي موضع رابع :

(١) التوبة : ١٢٣ .

(٢) التحريم : ٩ .

﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾ والخلاصة أن مادة (غ-ل-ظ) وردت في الكتاب الكريم ثلاث عشرة مرة، والغظة مرادفة للعنف ولهما معنى واحد. ومن الكلمات المرادفة للعنف التي وردت في القرآن الكريم هي كلمة (الشدة) من مادة (ش-د-د)، كما في قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديد﴾^(١)، وكذلك نجد أن القرآن قد استعمل في مورد مفهوم الرحمة في مقابل مفهوم الشدة: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾^(٢) وأما من ناحية الروايات فنقول: أن كلمة الشدة من مادة (ش-د-د) المرادفة لكلمة العنف وردت كثيراً في الروايات، وذكرت في بعض الموارد بعنوان أنها فضيلة، كما في وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام لنفسه في كتاب له بعثه إلى معاوية بن أبي سفيان جاء فيه: «...وأني لو قتلت في ذات الله وحييت ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة لم أربح»^(٣) عن الشدة في ذات الله والجهاد لأعداء الله...^(٤)، وجاءت أيضاً في كتاب لأمير المؤمنين علي عليه السلام أيضاً يوصي بعض عماله قائلاً فيه: «...فاستعن بالله على ما أمرك، واخبط الشدة بضغت من اللين، وارفق ما كان الرِّفقُ أرفقُ، واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة...»^(٥).

كان هذا تحقيقاً للكلمات في اللغة والآيات والروايات، اتضح من خلاله بطلان الدعوى المذكورة في السؤال.

وإذا غرضنا النظر عن البحث اللغوي وموارد الاستعمال، فإن لنا أن نسأل عن معنى العنف، وهل تعني حقاً عدم الرحمة؟ فلو حكمت قوانين

(١) الاسراء: ٥٠.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) أربع: أتوقف.

(٤) بحار الانوار، ج ٢٣، ص ١٠٤، باب ١٦، رواية ٤٠٧.

(٥) نهج البلاغة، كتاب ٤٦.

الإسلام الجزائية ، على شخص ارتكب ذنباً معيناً ، بقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ، وأصبح بعد تنفيذ الحكم منبوزاً في المجتمع ، فهل يعتبر ذلك الحكم رحمة أو لا رحمة فيه ؟ وكذلك يوجد في قوانين الإسلام حكم بإشعال النار وإلقاء العاصي فيها ، أو تكبيل يداه ورجلاه ويرمى من شاهق ، أو لأجل سرقة دينارا من ذهب يحكم بقطع أصابع يده الأربعة ، فهل هذه الأعمال تعتبر رحمة أو لا رحمة فيها ؟

وقد ميّز في السؤال بدقة بين العنف الفعلي والعنف الفاعلي ، وبين الحسن والقبح الفعلي والحسن والقبح الفاعلي ، وقيل كذلك بالفرق بين الحزم والعنف ، ولو أن الشرطي إذا ضبط شخصا يعبر بسيارته من دون مراعاة الإشارة الحمراء ، وتعامل معه بكل احترام وأدب وقال له بابتسامه : عليك أن تدفع خمسة آلاف تومان غرامة وجزاء لتخلّك ، فإن عمل الشرطي هذا حازم وليس فيه عنف ؛ ولكن نقول إن عمدة البحث في أن العقوبات الموجودة في الإسلام ليست حازمة فحسب ، بل بعض منها وبطبيعة وماهيته عنيفة ، فمثلا عمل الجلاد عندما يفصل الرأس عن الجسد بسيفه القاطع ويفور الدم ، عمل بطبيعته وماهيته عنيف ، ولا يمكن أن ينفذ عمله هذا بطلاقة وجه وابتسامه وانشراح ، والمشهد الذي يتجلّى أثناء تنفيذ هذا الحكم لا يتحمّله كثير من الناس ، (ويغيب البعض عن الوعي ، وينسون الضحك والابتسامه وأمثال ذلك) ، عندها كيف نقول : إن هذا الحكم لابد أن ينفذ بحزم ولكن بأسلوب هادئ ؟ كيف يتصور قطع الرأس وفصله عن الجسد مترافقا مع الابتسامه ؟ إن طبيعة هذا العمل عنيفة ، وبطبيعة الجلاد المنفذ له عنيفة أيضا ، ولا معنى للتفكيك بين العنف الفعلي والعنف الفاعلي في هكذا أفعال .

أضف إلى ذلك : أن الأشخاص الذين أوردوا هذا الإشكال على

الإسلام، لا يعترضون في مورد العنف الفاعلي، وإنما وبطريق الصدفة يعترضون على العنف الفعلي، وأن هذه الأعمال الموجودة في الإسلام أعمال عنيفة لابد أن تلغى بنظرهم، ولا تحل المشكلة إذا قمنا بتنفيذها بأسلوب هادئ ولين، كما لا يصح الجواب بأن هذه الأعمال حازمة وليست عنيفة بل الإشكال منصّب عندهم على نفس هذه العقوبات، ويرجع أساسه إلى ما ورد في بلاغ لجنة حقوق الإنسان، حيث ورد من ضمن بنوده إلزام الدول على حذف المجازاة العنيفة مطلقاً، والمصداق الأبرز الذي أكدوا على حذفه هو مجازاة الإعدام وأمثاله كقطع اليد والجلد وكل ما ينال من جسد الإنسان، وعندما تقوم بعض الدول بطرح مسألة حقوق الإنسان، يتهمون - وعلى رأسهم أميركا - الجمهورية الإسلامية في إيران بعدم احترامها لهذه الحقوق، وهم لا يعترضون علينا بأننا لماذا لا نبسّم عند تنفيذ العقوبات، ولماذا نقطّب الجبين؟ وإنما اعتراضهم على أصل وجود هذه العقوبات عندنا، وهم يقولون: إن هذه الأنواع من العقوبات تتعلّق بالعهود القديمة، حيث لم يكن البشر متمدنين ومتطورين، وحيث كانت الصراعات بين القبائل والدول، وكانت الغارات والقتل والسلب، وأما إنسان هذا العصر فقد تطور كثيراً، وأصبح الناس يحترمون البعض (وإذا أرادوا على سبيل المثال أن يرموا القنبلة الذرية على منطقة ما؛ فإنهم يرمونها بشكل هادئ ومهدّب وهدوء تام !!!) وإذا تطور الإنسان لهذا الحدّ فلا معنى لهذه العقوبات العنيفة من إعدام وقطع وجلد وغيره.

نعم لقد أثّرت هذه الأفكار وهذه الدعايات على كثير من الناس، ووصل الأمر بأن يكتب جرّاءها بعض المعمّمين في مجلّاتهم بأن هذه المجازاة الموجودة في الإسلام عنيفة وغير إنسانية فلا بدّ من إلغائها.

علماً بأن هذه الآراء ليست جديدة علينا ، بل ما زلنا نذكر بيان بعض الحقوقيين في (جبهة الشعب) حيث ذكروا فيه أن قوانين الإسلام في القصاص عنيقة وغير إنسانية ولا بدّ من تغييرها أو حذفها ، وقد تصدّى لهم الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه وحكم بارتدادهم عن الإسلام ، وقبعوا في أوكارهم سنوات طويلة - جرّاء هذا التصدي - ، ولكن يطرح في هذه الآونة و من جديد كلام وقح للغاية ، فيه جرأة كبيرة على الإسلام ، يطرحونه وبشكل حرّ وصريح في المجالات والصحف والمراكز العامة .

والخلاصة أنهم لا يعترضون على نفس الفاعل والمنفذ لهذه الأحكام ، ولماذا لا يتسم ولا يكون مؤدّباً أثناء تنفيذه للحكم ، وإنما يعترضون على نفس هذه الأعمال والعقوبات ، ويعتبرونها عنيقة وغير إنسانية .

والسؤال المهمّ هو : هل لابد من حذف هذه العقوبات وهذه الممارسات التي يعتبرونها عنيقة ، أو أنه لا مجال لحذفها أبداً ؟ فهم يقولون : بضرورة إلغاء أي نوع من أنواع العنف ، ويقصدون من العنف خصوص هذه العقوبات من الإعدام والقصاص والجلد ، ونحن في مقام نفى كلامهم والردّ عليه ، مضطرون لاستعمال نفس الكلمة ، وأنه لا بدّ من وجود العنف في المجتمع ، ولا مجال لإلغائها ، وطبيعي أننا نقصد من العنف الإعدام والقصاص والجلد ، وليس هناك مبرّر لاستعمالنا هذه الكلمة أبداً ، ولكن عندما وردت في الإعلان العالمي للجنة حقوق الإنسان ، وصرنا بصدد الردّ عليها وعلى من يتمسك بمقولتها ؛ اضطررنا لاستعمال نفس الكلمة ، وأن هذه العقوبات التي تعتبر بنظرهم عنيقة لا بدّ من وجودها ، ودليلنا على ذلك ما جاء في صريح القرآن الكريم ، ونحن إمّا أن نتمسك بما ورد في كتاب الله أو - والعياذ بالله - نرفضه ونتمسك

بما جاء في بلاغ لجنة حقوق الإنسان ، ولا أظن أن مسلماً حقيقياً يرفض كتاب الله ويتهمه لأجل ما ورد في الإعلان العالمي للجنة حقوق الإنسان ، يقول القرآن الكريم : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ ^(١) وهذه الآية صريحة بأنه ليس للمؤمن بالله واليوم الآخر أن يرأف بالزاني أو بالزانية ، وليس له أن يرحمهم ، والقرآن يقول : إن على المؤمن أن لا يرحم في هكذا مواضع ، وعدم الرحمة في المورد الذي يستحق فيه الشخص ذلك لا تساوي الظلم أبداً ، وعلى كل حال ، فالمسلم إما أن يقبل القرآن الكريم بما فيه هذه الآية ويعمل بها ، أو أن يقبل ما تقوله لجنة حقوق الإنسان ويدافع عنها .

ومن الأمثلة الأخرى في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا ﴾ ^(٢) وهذا الحكم بنظر لجنة حقوق الإنسان حكم غير إنساني ووحشي وعلى المسلم أن يختار إما القرآن أو ما تفرضه لجنة حقوق البشر . وأما رأي القرآن من ناحية أصل القوانين الجزائية فهو قوله : ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب ﴾ ^(٣) فضمن حياة المجتمع وسلامته بالمجازاة ، ومجازاة القاتل مثلاً الإعدام ، بينما اللجنة المذكورة تعتبر هذا الحكم غير إنساني وينبغي أن يلغى .

وفي الواقع إن الذي يجري عبارة عن مؤامرة ثقافية ، فهم يهدفون من وراء هذه الغوغاء والتحرك الإعلامي الواسع وإثارة الضجيج حول الأحكام الإسلامية ، يستهدفون التأثير علينا سلبياً ، والضغط على مراجعنا العظام لإلغاء هذه القوانين ؛ علينا في مقابل هذه السياسة أن

(١) النور : ٢ .

(٢) المائدة : ٣٨ .

(٣) البقرة : ١٧٩ .

نصرّ على موقف الإسلام بحزم وجدّة ، ونقول لهم : نعم يوجد في الإسلام حكم الإعدام وقطع اليد والرجل وحكم الرجم وغير ذلك ، وإذا أطلقتم على هذه الأعمال اسم العنف ؛ فنحن عندنا عنف في الإسلام ، ولا نخاف ولا نهتم أن نطلقوا علينا اسم المتوحشين أيضا ، ولا نريد أن نلعب معكم على حبال الألفاظ ، فإننا تابعون للقرآن وهو يجوز بل يوجب هذه الأعمال التي تعتبرها لجنة حقوق الإنسان أفعالا وحشية وعنيفة ، والقرآن يأمر المسلمين بأن يكونوا أشدّاء على الكفار وأن يكونوا غليظين وشديدين معهم ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾^(١) ولا حظوا دقيق قوله تعالى (فيكم) ولم يقل (في عملكم) ، وهذا يعني أنه لابدّ من تحسس العنف في وجودكم عندما تتعاطون معهم ، ولتشعروهم بأنكم أشخاص لا تتأثرون بالعواطف والأحاسيس ، وإذا صدرت تجاهكم آية مخالفة فإنكم ستواجهون المخالف بشدّة ولن ترحموه ، وإذا كنّا نؤمن بالقرآن ؛ فلا بد من التصريح بوجود هذه القوانين فيه ، ولا نخاف من أحد أبدا ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾^(٢) وإذا كنّا نخاف من التصريح بحكم الله والقرآن ؛ فعلى الأقل نسكت ولا نتكلم ، لا أن نؤيّد كلامهم بكتابة المقالات وإلقاء الخطب بما يرجع نفعه عليهم . وكثير من الأشخاص لا يملكون الشجاعة والجرأة على الدخول في هذه الأبحاث ، ولكن هناك من يخوض فيها ويبلّغ أحكام الله ولا يخاف عتابا ولا ملامة : ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾^(٣).

وأما جواب البعض بأن أحكام الإسلام حازمة وليست عنيفة ، فإنه لا يصلح أن يكون جوابا للجنة حقوق الإنسان التي تعتبر أن مجازاة

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) الأحزاب : ٣٩ .

(٣) المائدة : ٥٤ .

الإسلام للمجرمين عنيقة ولا بد أن تلغى ، والجواب الصحيح أن نقول لهم: إن مجازاة الإسلام للمجرمين شديدة ولا بد أن تبقى ، ونحن لا يمكننا الإيمان ببعض آيات الله ورفض بعض آخر إرضاء للجنة الحقوق ، فإن الإيمان ببعضه والكفر ببعض آخر كفر حقيقي : ﴿ إن الذين ... يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقاً ... ﴾ ^(١) والمؤمن الواقعي لا يبيع دينه برفض بعض أحكام الله إرضاء للجنة حقوق الإنسان ، ولو كان لابد من غض النظر عن بعض الأحكام التي لا تتلاءم مع بعض الناس ؛ لما تعرّض الرسول الأكرم ﷺ لللات والعزى ولما حطّم أصنام مكة ، ولكن القرآن يأمرنا أن نتبرأ علناً من الكفار ودينهم ، وأن نستعمل الأسلوب الطارد في كلامنا وتعاطينا معهم ، ويأمرنا بالاعتداء بالنبي إبراهيم عليه السلام : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾ ^(٢) فكيف كان عمله هو والذين معه لنقتدي به ؟ يجيب القرآن في تكملة الآية : ﴿ وإذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله وكفرنا بكم ﴾ ، فالقرآن يأمرنا صريحا بالاعتداء بإبراهيم عليه السلام ، حيث وقف أمام الناس وقال بصراحة : أنا برىء منكم ، أنا برىء من آلهتكم ، ولم يقل القرآن بلزوم احترام عادات وتقاليد الناس ، واحترام أصنامهم لأنها محترمة ومقبولة عندهم !!! كلا لم يسمح بذلك لأحد من المسلمين ، بل يقول بحزم بضرورة الوقوف أمام الأصنام لإسقاطها ، ولم يكتف القرآن بذلك بل أضاف بعض التعاليم أيضاً وأنه علينا وان نغلظ بالقول على الكفار في أكثر من ذلك ، ونقول لهم : ﴿ وبدا بيننا وبينكم العداوة

(١) النساء : ١٥٠ - ١٥١ .

(٢) الممتحنة : ٤ .

والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴿١﴾ . وطالما تحملون هذه الأفكار فنحن أعداء لكم ولا نهاية لهذه العداوة ، ولا بد أن نقول لهم : الموت لكم ولأصنامكم ﴿٢﴾ أف لكم ولما تعبدون ﴿٣﴾ .

هذا هو رأي القرآن الصريح - وليس رأي الشخصي - يفرض علينا أن نضمّر لهم الكره والبغض في قلوبنا ماداموا غير مؤمنين بالله ، وتزداد روعة التعبير القرآني في الاستثناء المذكور في الآية ، فبعد أن أمرنا بالاعتداء بإبراهيم عليه السلام : استثنى من عمله شيئا واحدا لا ينبغي لنا أن نتبعه فيه هو : ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ فإن إبراهيم عليه السلام كان حازما مع الكفار ، إلا أنه أبدى في كلامه مع أبيه آزر بعض الليونة والملاطفة ، وأنه سيستغفر له الله ، والقرآن قد استثنى هذا العمل من أعمال إبراهيم عليه السلام التي أمرنا بالاعتداء بها ، فلا يعد أحداً من الكفار بأنه سيستغفر له الله . فمعنى الآية القرآنية صريح جداً ، ولا يقبل أي تفسير أو تأويل آخر ، إلا تفسيراً واحداً وهو تحريفها أو حذفها من القرآن لأجل إرضاء المؤسسات العالمية !!

فعلينا أن نشخص تكليفنا في هذه المسألة ، إما أن نكون أتباع القرآن الكريم أو أتباع لجنة حقوق البشر ، وبما أننا متبعون للقرآن حتماً ؛ فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء فيه ، لا أن نؤمن ببعض الآيات التي تخالف ما تقرّره اللجنة ، لأن ذلك عين الكفر الحقيقي ، ونحن نؤمن بما ورد في كتاب الله من القصاص من الإعدام وقطع اليد والجلد وغيره رغم مخالفة ذلك لكل لجان العالم ، ونؤمن بأن ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة...﴾ (٢) من القرآن ، ونؤمن كذلك بأن ﴿وقاتلوا هم حتى لا تكون فتنة﴾ (٣) من القرآن

(١) الأنبياء : ٦٧ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

(٣) الأنفال : ٣٩ .

أيضا ، ولا بد أن نعمل بكلا الآيتين معاً ، وإذا كنّا نؤمن بأن الله ﴿أرحم
الراحمين﴾ ؛ فإننا نؤمن أيضا بأنه ﴿شديد العقاب﴾ ، ولا يصح قبول الموارد
التي يكون فيها الله ﴿أرحم الراحمين﴾ ، ونرفض تلك الموارد التي يكون
فيها ﴿شديد العقاب﴾ ، بل الحق أن الله ﴿أرحم الراحمين في موضع العفو
والرحمة﴾ وأنه ﴿أشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة﴾ كما ورد في دعاء
الافتتاح .

ومن الضعف أن نخفي حقائق الإسلام ، ومن الجبن أن لا نظهرها كما
وردت في القرآن الكريم ، لماذا نخاف من ذكرها كما هي عليه ؟ وقد كان
الإمام (قده) يشير إلى هذا الأمر عندما كان يقول : ﴿لا تخافوا مما يتهمونكم به
من العنف والتحجر﴾ . والإسلام الذي ندعو الناس إليه كل لا يتجزأ ،
ومجموعة متكاملة من الأحكام ، ومن جملتها هذه المجازاة التي لا
تنسجم مع ما في لجنة حقوق الإنسان . ونحن لا نقدر أن ندعو الناس إلى
القرآن الكريم ونستثني منه بعض الآيات .

سؤال وجواب آخر

السؤال : أولاً : نحن نعلم أن القرآن والدين الإسلامي لم ينزلا في ليلة
واحدة ، وإنما أنزلا بالتدريج وعلى مقدار فهم الناس والمستوى
الاجتماعي الذي كان يخاطبه الرسول ﷺ .

ثانياً : نحن نعيش في الجمهورية الإسلامية في ايران التي يؤمن أكثر
من تسعين في المائة من سكانها بالدين الإسلامي ، فلذا نحن ملزمون
بقبول هذا الدين بكامله ومن دون أي نقصان ، وهذا لا كلام فيه ، وإنما
الكلام في أن الثورة الإسلامية جاءت لتحيي الإسلام من جديد بعد أن
كاد لا يُعرف منه إلا اسمه ، وصارت وظيفتنا الآن تعريف الإسلام للعالم

ودعوتهم إليه ، ولكن نلاحظ من جهة ثانية ما عليه الغرب من القدرات والوسائل الإعلامية ، فقد استطاع تشويه صورة الإسلام في العالم ، وإعطاء صورة عنه بأنه دين عنيف ومتحجر ، وأن المسلمين -خصوصا الإيرانيين -ارهابيون متحجرون عنيفون وغير منطقيين .

وفي هكذا ظروف وأجواء ، لا يمكن تطبيق كل أحكام الإسلام بحذافيرها في المجتمع ، لأننا إذا أردنا أن ننقذ حكم الإعدام بالقاتل ، أو رجم الزانية المحصنة ؛ فسوف يكون لعملنا أثر سلبي وصدى سيئ في أفكار عموم الناس في العالم ، وتستطيع وكالات الإعلام الغربية من النقاط الصور والأفلام عما يجري عندنا وتعرضه بصورة بشعة على الرأي العالمي ، لتعطي الانطباعات السيئة عن الإسلام ، وبالتالي لم يعد بمقدورنا إيصال الإسلام إليهم ، ولم نجد هناك من يرغب به ويميل إليه ، والسؤال هو : ألا تصلح كل هذه المسائل والأمور أن تكون سببا للتغيير في بعض الأحكام الإسلامية حفاظا على المصلحة الأهم من حفظ الإسلام ونشره مثلا ؟ فعلى سبيل المثال نقوم بتغيير دية القتل ، حيث كان الحكم الأولي دفع مائة جمل دية مسلّمة لأهل المقتول ، ونجعل الدية الآن سبعة ملايين تومان مثلا ، فهل نقدر على تغيير بعض الأحكام ونصلحها بصورة عصرية لنتمكّن من خلالها من جذب الناس إلى الإسلام ، وفي نفس الوقت لا تنعكس صورة بشعة عن الإسلام ؟

الجواب :

إن كل جملة من هذا السؤال تحتاج إلى بحث على حدة ، ولكن نبين بعض المسائل بالقدر الممكن في هذا المجال .
أما بالنسبة لما ورد في السؤال من أن أكثر من تسعين في المائة من

شعب الجمهورية الإسلامية يعتنق الإسلام ، ولا خوف عليهم من الانحراف أبداً ، فإنها دعوى على خلاف الحقيقة . فإنه لم يمض وقت طويل على عمر الثورة وإذا بنا نرى كلمات الإمام ﷺ تبتّ عبر وسائل الإعلام محرّفة أحياناً بالزيادة والنقصان ، وتطبع بعض المقالات التي تخالف صريح القرآن في صحيفة لرجل معمم . ، وقد شاهدت ذلك للأسف بأمّ عيني !! والخلاصة : أننا نخشى على شبابنا في هذا البلد ، من أن يصل اليهم الإسلام محرّفاً ، لما يقوم به هؤلاء من التشكيك وبث الشبهات في نفوسهم بالوسائل المختلفة والأساليب المتعددة .

وأما بالنسبة لما ورد في السؤال من أن الإسلام لم يُعرّف إلى الآن للغرب ، ووظيفتنا الآن إيصاله إليهم ، فهذا باطل أيضاً ، لأن القرآن تُرجم في هذا العصر إلى أغلب اللغات العالمية الحيّة ، وقد أصبح كل شيء بمتناول أيدي جميع الناس خصوصاً بعد توفر أنواع وسائل الإعلام ، من راديو وتلفزيون وأقمار اصطناعية وإنترنت ، فلا يمكننا أبدا القول بأنهم لا يعرفون الإسلام ، خصوصاً مع وجود هذه الحملة على الإسلام في الإذاعات والمحطات الإعلامية ولا سيّما الصهيونية منها . فقد عرّف الإسلام في الإذاعات والمحطات الإعلامية ولا سيّما الصهيونية منها بانه محجف بحقوق المرأة ، وأينما ذهبتم ستجدون من يقول لكم إن في الإسلام تمييزاً وتبعيضاً بين حقوق المرأة والرجل ، وقد طُرح نفس هذا البحث معي في كثير من دول العالم ، وقد أجريت معي في جنوب شيلي مقابلة تلفزيونية حيّة وعلى الراديو أيضاً حول هذه المواضيع . والخلاصة هي أن الكلام عن وجود أشخاص في العالم لا يعرفون عن الإسلام شيئاً ونحن نريد تعريفه لهم ، غير تام .

ولكن لو فرضنا وجود هكذا أشخاص ، وأردنا أن نعرّفهم على

الإسلام، فإنّ من البديهي جداً أن لا نبدأ معهم بتعريفهم بأحكام الإسلام الجزائية، وأن في الإسلام إعداماً للقاتل وقطعاً ليد للسارق وجلداً للزاني وما شابه ذلك، بل نبدأ معهم بالبحث والدعوة إلى مبادئ الإسلام وأصوله كالتوحيد والنبوة والمعاد ثم بعد أن تقوى هذه الأصول في قلوبهم نتدرج معهم بتوضيح وذكر المسائل الأخرى، بل نحن في بداية دعوتهم نقصر على أن يتشهدوا الشهادتين فقط ويعتقوا الإسلام بذلك، أو على أن يمتثلوا حكم الصلاة من بين جميع الأحكام الإسلامية؛ والخلاصة أننا نسعى لجذبهم إلى الإسلام بالمقدار الضروري واللازم، وبعد ذلك نعرّفهم بالتدرّج بالأحكام الأخرى وبالقدر الذي يمكن لهم امتثاله، وهذه السياسة التدريجية في بيان الأحكام عامّة لكل الناس باستثناء المسلمين. وهذا الجواب الذي تقدّم ممّا كان على فرض وجود هكذا أشخاص.

وأما إذا أردنا أن نعطي الحكم الكلي للسؤال المتقدم: فإنه إذا أدّى إجراء أحد أحكام الإسلام، في ظروف خاصة ومكان وزمان خاص أيضاً، إلى تضرّر الإسلام والمجتمع الإسلامي وإلى خسارة كبيرة لا تعوّض أبداً، فإن لولي أمر المسلمين فقط الحق في إعمال ولايته، وأن يحكم على طبق العناوين الثانوية - التي هي ضمن الأحكام الإسلامية - بتعطيل هذا الحكم بشكل مؤقت، وهذا الأمر خاص بالولي الفقيه وليس لأحد أبداً أن يمارس مثل هذه الصلاحية.

الملاحظة المهمة التي ينبغي التأمّل فيها جيداً، هي التمييز بين الحكم الذي يُعطّل بشكل مؤقت لوجود بعض المصالح الأهمّ، وبين إنكار الحكم من أساسه والقول بأنه غير موجود في الإسلام، أو القول بأن هذا الحكم كان موجوداً في الإسلام ولكن من الآن فصاعداً يعتبر محذوفاً وغير مرغوب فيه، فإنّ بين هذين الأمرين بوناً شاسعاً. كما أن تعطيل الحكم

الإسلامي بشكل مؤقت لا يختص بالأحكام الجزائية ، بل يمكن أن يكون في الأحكام العبادية أيضاً ، وقد شاهدنا ما قام به الإمام الخميني عليه السلام من تعطيل لفريضة الحج - الذي هو من العبادات الإسلامية المهمة - عدة سنوات وذلك لوجود بعض المصالح ، فتعطيل الحكم بشكل مؤقت شيء ، وإنكاره من الأساس شيء آخر ، وللولي أن يقول : بناء على بعض المصالح لا ننقذ هذا الحكم حالياً ، وأمّا أن يقال بأنه لا يوجد في الإسلام حكم الإعدام أو الرجم ، أو أن هذا الحكم كان خاصاً بالناس غير المتحضرين وشبه المتوحشين ، وبأولئك الذين كانوا يعيشون في شبه الجزيرة العربية ، فإنه قول لا يعني إلا إنكاراً ونسخاً لحكم إسلامي قطعي ، وهذا ما لا يحق لأحد القيام به حتى شخص الرسول الأكرم عليه السلام .

نموذج تاريخي

وهذا المثال يفيد في ترسيخ الفكرة في الأذهان : لقد كان المسلمون في صدر الإسلام وفي بداية الدعوة الإسلامية يواجهون مشاكل صعبة للغاية ، وفي الأثناء جاء أهل الطوائف - وكانوا يُعدّون من الأغنياء - واقترحوا على الرسول الأكرم عليه السلام بأنهم مستعدون لقبول الإسلام ومساعدة الرسول وحمایته والدفاع عنه ، وأنهم حاضرون لقول الشهادتين ودفع الزكاة ، وترك عبادة الأصنام ، وكلّ الأعمال القبيحة ، ولكن بشرط واحد فقط هو أن يعفوهم من السجود على الأرض ، لأنهم لا يتحملون هذا العمل .

فلو لاحظنا الظروف في ذلك الوقت ، حيث كان عدد المسلمين قليلاً جداً ، وكان وضعهم الاقتصادي سيئاً للغاية ، فهم بحاجة للمال والعدد في نشر الدعوة والحفاظ عليها ، ثم جاءهم عدد لا يستهان به كمّاً وكيفاً من الناس ليعرض إسلامه على الرسول ، ويمشي معه مائة خطوة إلى

الأمام في تطبيق أحكام الإسلام ، وليس عندهم إلا حكم واحد - يبدو أنه أمر بسيط بحسب الظاهر - لا يريدون امتثاله ، وبعد ملاحظة كل هذه الظروف ، وبعد أن كاد الرسول - على ما هو عليه من المقام الرفيع ، أن يميل إليهم ، لا أنه يميل إلى قبول اقتراحهم ، بل هو أراد أن يردّ هذا الاقتراح ولكن كاد أن يظهر في قلبه شيئاً قليلاً جداً من الانعطاف إلى اقتراحهم ، نجد القرآن الكريم يقول : ﴿ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾^(١) ، وما ذا يحصل فيما لو أظهر بعض الانعطاف إلى اقتراحهم؟ فقد جاء الجواب من القرآن الكريم شديد اللهجة جداً : ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾^(٢) وهذا يعني أنه لو ظهر منك بعض الانعطاف إليهم ؛ لكان عذابك مضاعفاً في الدنيا والآخرة ، وليس لك عون ولا منقذ ولا نصير ، فعندما يصل الأمر إلى إنكار الدين أو التساهل في أحكامه ، فإنه لأمر خطير لا يسمح لي ولا لكم ولا لشخص الرسول بذلك ، ولو فرضنا - ولو من باب أن فرض المحال ليس بمحال - أن صدر ذلك من الرسول ، فإن التعاطي معه سيكون حازماً وشديداً ، لأنه لا لعب ولا تهاون في هذه المسائل الأساسية الخطرة.

وأما مسألة الدية التي ذكرت في السؤال ، والدعوة إلى ما يماثلها في القيمة لها هذه الأيام خلاف ما كان يفرض في ذلك الوقت ، فإننا نقول : إن الدية منصوص عليها في الروايات ، وليست من ابتداع العلماء ، وقد جاء التعيين بالجمّل في ذلك الوقت مع أنه كان بالإمكان التعيين بالذهب والفضة الموجودين حينها أيضاً ، فلذا لا يمكن تغييرها أو القبول بما يماثلها في القيمة اليوم .

(١) الإسراء : ٧٢ .

(٢) الإسراء : ٧٥ .

النبي محمد ﷺ وأهل بيته عليه السلام في التوراة والإنجيل

الدكتور أحمد عبد الحميد مهود
(أستراليا)

إذا نحن ألقينا نظرة عامة على التوراة والإنجيل، فإننا نلمح من خلال بعض الصحاح البشارات بالنبي محمد ﷺ، وأهل بيته عليه السلام. «هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرّرت به نفسي، وضعت عليه روحي، فيخرج الحق للأمم^(١). لتحمد الصحراء، والمدن الرّب، وليحمده شعب قيذار، وليصرخ هؤلاء الذين يعيشون في مدينة سلع من الفرخ من فوق قمم الجبال^(٢).

إنّ هناك آراء متضاربة في كتاب AID BIBLE TO UNDRSTANDING^(٣)

(١) إشعياء، الأصحاح ٤٢: ١،

(٢) إشعياء الإصحاح ٤٢: ١١.

(٣) GOOD NEWS BIBLE, ISAIAH 42 : 11

عن موقع مدينة سلع قائمة على تقديرات وتفسيرات غير ثابتة أو مؤكدة لديهم. منها: إنها مدينة غير معروفة اليوم، ولعلها المدينة المحصنة المذكورة في مزامير داود عليه السلام ^(١) وظاهر ما في هذه الأقوال فإنهم لم يستطيعوا تحديد موقعها .

أما ما جاء في القاموس للفيروز آبادي ^(٢)، ومعجم البلدان للحموي ^(٣) ولسان العرب لابن منظور ^(٤) عن سلع بأنها موضع بقرب المدينة المنورة، وقيل جبل بالمدينة .

وبعد هذا، فقد جاء في سفر التكوين ما يظهر بالإشارة إلى الأئمة الإثني عشر عليهم السلام «وأما اسماعيل، فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه، وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، إثني عشر بلداً، واجعله أمة كبيرة» ^(٥).

أما في سفر إشعياء النبي الذي عاش في مدينة القدس في القسم الثاني من القرن الثامن قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام فقد أخبر فيه عن الوقت الذي سينعم العالم فيه بالسلام، وعن مجيء رجل ينحدر من سلالة النبي داود عليه السلام الذي سيكون الملك المثالي ^(٦). فقال: «ويخرج قضيب من جذع يسى، وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب، ولذته تكون في مخافة الرب. فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويكون البر منطقة مدنية، والأمانة منطقة حقوية... ويكون في ذلك اليوم أن أصل

(١) مزامير داود ١٠٩: ١٠.

(٢) الفيروز آبادي، القاموس ٣: ٤٠ - ٤١.

(٣) ياقوت الحموي، القاموس ٣: ٢٣٦.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٣: ٢٠٦٧.

(٥) سفر التكوين الأصحاح ١٧: ٢٠.

(٦) GOOD NEWS BIBLE ; ISAIAH; P; 665

يسى القائم راية للشعوب. إياه تطلب الأمم، ويكون محله مجداً»^(١).
 إنَّ كلَّ هذه البشارات، والمؤشرات تدفع بنا إلى اليقين بالقول: إنَّ كلمة
 يسى، تعني «يسن» وهي من أشياء النبي محمد ﷺ. فبالترجمة العربية
 للتوراة، لا تعطي تفسيراً لهذه الكلمة، أمّا الترجمة الإنجليزية، فجاء فيها،
 عنها: أنَّ ملكاً جديداً سوف يخرج من نسل داود ﷺ^(٢). وأننا لا نتردد في
 القول: بأنَّ القضيب المشار إليه أعلاه في النص، إنّما هو الإمام المهدي ﷺ
 والذي يساعدنا على إدراك ذلك، ما جاء عن النبي محمد ﷺ، أنه قال:
 «المهدي من ولدي يكون له غيبة، وحيرة تضل فيها الأمم، يأتي بذخيرة الأنبياء، فيملأها
 عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً»^(٣).

ومما يؤيد هذا الرأي، ويعضده، ما جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي: «ثم
 رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض، والجالس عليه يدعى أميناً،
 وصادقاً، وبالعدل يحكم ويحارب... وعلى رأسه تيجان كثيرة... ومن فمه
 يخرج سيف ماضٍ، لكي يضرب به الأمم، وهو سيرعاهم بعضاً من
 حديد»^(٤).

ولعلَّ من الأمور الجديرة بالملاحظة في رؤيا يوحنا، والوقوف
 عندها، أن صفتي الصادق والأمين، كانتا من جملة الصفات التي اشتهرت
 عن النبي محمد ﷺ قبل البعثة النبوية وبعدها، وقد أجمعت على ذلك كتب
 السير والتواريخ. أضف إلى ذلك كله، أنه كان أعدل خلق الله من الأولين
 والآخرين إلى يوم الدين في حكمه، وفي الحروب التي شنت عليه، وأن

(١) إشعياء، الأصحاح ١١: ١-١٠.

(٢) GOOD NEWS BIBLE; ISAIAH; P; 665.

(٣) الطبرسي، إعلام الورى، بأعلام الهدى، ٣٩٩.

(٤) العهد الجديد، رؤيا يوحنا اللاهوتي، الأصحاح ١١: ١٦.

جملة: «وعلى رأسه تيجان كثيرة» تلمح عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام).^(١) وهذا الرأي وعلى رأسه له شاهد آخر في الإصحاح الثاني عشر من رؤيا يوحنا اللاهوتي: «وظهرت آية عظيمة في السماء، امرأة متسربة بالشمس والقمر تحت رجلها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً... فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد»^(٢).

فإن دلّت هذه الشواهد على شيء، فإنما تدل على السيّد فاطمة الزهراء (عليها السلام)، والأئمة الإثني عشر من ولدها مع الإشارة إلى آخرهم الإمام المهدي (عليه السلام). هذا بالإضافة إلى ما جاء سابقاً وهو أمر لابد أن يكون قد استرعى نظرك وهو السيف الماضي الذي يخرج من فمه لكي يضرب به الأمم. هو نفس القضيب الذي يخرج من جذع يسى كما جاء من قبل في سفر إشعياء ألاً، وهو الإمام المهدي (عليه السلام). وهذا الرأي له شاهد وسند تاريخي، فقد روي عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، أنه قال: «... ثم انتقل النور إلى غرائزنا، ولمع في أئمتنا، فتحن أنوار السماء، وأنوار الأرض، فبنا النجاة، ومنا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور، وبمهدينا تنقطع الحجج، خاتمة الأئمة، ومنقذ الأئمة وغاية النور، ومصدر الأمور»^(٣).

ومما تحسن الإشارة إليه هنا شهادة النبي يحيى (عليه السلام). حين أرسل اليهود من القدس كهنة، ولاويين^(٤)، ليسألوه من أنت؟ فاعترف، ولم ينكر؟ وأقرّ بأنه ليس المسيح (عليه السلام). فسألوه، إذًا، ماذا؟ إيليا أنت. فقال: لست

(١) نفس المصدر، رؤيا يوحنا اللاهوتي، الأصحاح ١١: ١٦٠.

(٢) نفس المصدر، رؤيا يوحنا اللاهوتي، الأصحاح ١٢: ٦٠١.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ٤٢: ١.

(٤) انحر اللاوييون من لاوي الإبن الثالث ليعقوب (ع)، من زوجته ليئه، وقد أوكل إليهم موسى (ع) خدمه هارون (ع) وأنبائه.

أنا. النبي، أنت، فأجاب، لا^(١).

وبعد هذا الوفد جاءه وفد آخر من الغريسيين^(٢)، وطرحوا عليه نفس الأسئلة، فأجابهم، بما أجاب آنفاً، فعندئذ، قالوا له: «فما بالك تعمّد، ان كنت لست المسيح، ولا إيليا، ولا النبي^(٣)».

فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا، وينبغي الإجابة عليه. من هو النبي؟ ومن هو هذا إيليا؟ اللذان أشار إليهما الكهنة من اليهود، وسفراء اللاويين والغريسيين. فهذا دليل واضح، وقاطع على أنهم كانوا يعرفونهما حق المعرفة من خلال ما جاءت به التوراة عنهما.

فالمسألة التي تحتاج هنا إلى بحث واستقصاء، فهي: من هو إيليا المذكور هنا. فالتوراة تعتبر إيليا أنه أحد أنبياء إسرائيل الذين يأتون في المقام الأول. كان منزله في تشبه Tishbeh. قيل: بأنها قرية من أرض جلعاد الواقعة شرقي الأردن. وكان نبياً في عهد الملك آخاب الذي ابتدأ حكمه حول ٩٤٠ قبل الميلاد، وامتدت نبوته، حتى حكم أخزيا بن آخاب الذي ابتدأ حكمه عام ٩٢٠ قبل الميلاد، وآخر مرة ذكرت فيها نبوته كانت بالقرب من نهاية السنة الثامنة من حكم الملك يهوذا ملك يهوذا الذي ابتدأ

(١) إنجيل يوحنا الأصحاح الأول: ٢٢ - ٢٣.

(٢) الغريسيون مذهب من الديانة اليهودية، لم يعرف بالتدقيق كيف نشأ. لكن المؤرخ اليهودي Josephus يشير إلى أن الغريسيين شكلوا كتلة كان لها تأثيرها القوي على العامة من الناس في القسم الأخير من القرن الثاني قبل ولادة المسيح (ع). وكانوا يعتقدون أن الأرواح لها قوة خالدة فيهم، وأن تحت الأرض هناك ثواب وعقاب على الحياة التي عاشها الفرد، إما في الفضيلة أو في الرذيلة، فأصحاب الرذيلة سيحتجزون في سجن أبدي، أما أصحاب الفضيلة، سيملكون القوة ليحيوا حياة ثانية. ويعتقدون أن الأرواح غير قابلة للفساد. وأن أرواح الرجال الصالحين فقط، تنتقل إلى أجسام أخرى، أما أرواح الرجال المفسدين ستخضع إلى العذاب الدائم.

AID TO BIBLE UNDERSTANDING 1301 .

(٣) إنجيل يوحنا، الأصحاح ١: ١٩ - ٢٦.

ملكه عام ٩١٣ قبل الميلاد^(١).

وخلاصة الأمر، نفهم من ظاهر هذا الكلام أن إيليا النبي الذي كان يعيش قبل السيّد المسيح ﷺ بفترة كبيرة من الزمن تعد بمئات السنين يختلف هنا عن إيليا الذي ذكرته كهنة اليهود، واللاويون، والغريسيون ليحيى^٢. وهو نفس إيليا الذي أخبر عنه متّى في إنجيله، فقال: «وإن أردتم أن تقبلوا، فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي. من له أذنان للسمع، فليسمع»^(٢).

وبعد، فإنه من الطبيعي جدّاً، أن هذه الأقوال كلها ترشدنا إلى القول: بأن النبي الذي ذكر ليحيى^٣، إنما هو النبي محمد ﷺ. وأن إيليا، إنما هو وصي النبي محمد ﷺ، ووزيره، وخليفته من بعده ألا وهو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب^٤.

الإمام الحسين ﷺ في التوراة والإنجيل:

وبعد كل الذي قدمناه حول ذكر النبي محمد ﷺ وآله في التوراة والإنجيل، فما هي ياترى الدلائل والبراهين التي تشير إلى ذكر الإمام الحسين ﷺ في التوراة والإنجيل؟

إنّ هناك أحاديث كثيرة، جاءت على لسان الأنبياء والرسل، لتتنقل إلينا أخباراً عن الإمام الحسين ﷺ، وما سيصيبه من آلام ومحن في سبيل الله عزّ وجل، ففي مزامير داود^٥ جاء أنه ينادي: «لقد» تعبت وأنا أصرخ، ألا هل من ناصر، لقد يبس حلقى، وكلت عياني من الانتظار لناصر»^(٣).

(١) AID TO BIBLE UNDERSTANDING ; P; 507

(٢) إنجيل متى، الأصحاح ١١: ١٤.

(٣) مزامير داود ٦٩: ٧ - ٨.

إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْغُضُونَنِي بِدُونِ سَبَبٍ، أَكْثَرَ عِدْداً مِنْ شَعْرِ رَأْسِي، لَقَدْ كَذَبُوا عَلَيَّ، إِنَّهُمْ ذُو قُوَّةٍ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَقْتُلُونِي ظُلماً^(١).

تَا اللَّهُ إِنْ كَانَتْ أُمِيَّةٌ قَدْ أَتَتْ قَتَلَ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهَا مَظْلوماً
فَلَقَدْ أَتَاهُ بَنُو أَبِيهِ بِمِثْلِهَا هَذَا لِعَمْرِكَ، قَبْرَهُ مَهْدوماً
أَسْفُوا عَلَى أَنْ لَا يَكُونُوا شَايِعُوا فِي قَتْلِهِ، فَتَتْبَعُوهُ رَمِيماً^(٢)
وَمِمَّا جَاءَ فِي مَزَامِيرِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ يَقُولُ: «فَمَا وَجَدْتُ رَحْمَةً عِنْدَهُمْ، وَلَا عِزًّا، يَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي سَمًّا، وَفِي عِطْشِي يَقْدُمُونَ إِلَيَّ خَالاً^(٣) عَلَيَّ
مُعْتَمِدِي، وَأَنْتَ رَبِّي، لَقَدْ أَحْيَيْتَ بِي، فَلَا نَاصِرَ، وَلَا مُعِينَ، لَقَدْ ضَعُفَتْ
قُوَّتِي... وَتَقَطَّعَتْ مَفَاصِلِي... وَصَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ الْمَذَابِ... يَبْسُ حَلْقِي،
وَلَصِقَ لِسَانِي بِسَقْفِ فَمِي»^(٤). يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي
يَقْتَرِعُونَ^(٥).

لَقَدْ اسْتَبَانَ هَذَا الْأَمْرَ وَظَهَرَ يَوْمَ الْعَاشِرِ مِنَ الْمَحْرَمِ يَوْمَ قَالَ الْإِمَامُ
الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «إِنِّي بَثُوبٌ لَا يَرُغِبُ فِيهِ، أَلْبَسَهُ غَيْرَ ثِيَابِي، لَا أُجَرِّدُهُ، فَإِنِّي
مَقْتُولٌ مُسْلُوبٌ^(٦). فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: لَوْ لَبَسْتَ تَحْتَهُ التَّبَانِ، فَقَالَ: ذَلِكَ ثُوبٌ
مَذَلَّةٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَلْبَسَهُ، فَلَمَّا قَتَلَ سَلْبَهُ، بَحَرَ بَنُوكَ، وَكَانَتْ يَدَاهُ
فِي الشِّتَاءِ تَنْضَحَانِ بِالْمَاءِ، وَفِي الصَّيْفِ تَيَبِّسَانِ كَأَنَّهُمَا عَوْدٌ^(٧) وَأَخَذَ
عِمَامَتَهُ جَابِرُ بْنُ يَزِيدَ الْأَزْدِيُّ، وَقَمِيصَهُ اسْحَاقُ بْنُ حُوَيٍّ، وَثُوبَهُ جَعُونَةُ
إِبْنُ حُوَيَّةِ الْحَضْرَمِيِّ، وَقَطِيفَتَهُ مِنْ خَزْ قَيْسِ بْنِ الْأَشْعَثِ الْكَنْدِيِّ،

(١) نفس المصدر، ٤: ٩.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٤: ٧٢.

(٣) مزامير داود ٦٩: ٢٠ - ٢١.

(٤) مزامير داود ٢٢: ١٠ - ١٢.

(٥) مزامير داود ٢٢: ١٨.

(٦) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٤: ١١٨.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٣: ٤٣١.

وسراويله أبحر بن كعب التميمي، كما ذكر آنفاً، ويقال: أخذ سراويله بحير بن عمير الجرمي. والقوس والحل الرحيل بن خيثمة الجعفي، وهانيء بن شبيب الحضرمي، وجريز بن مسعود الحضرمي، ونعليه الأسود والأوسي، وسيفه رجل من بني نهشل من بني دارم، ويقال: إنه أخذه الأسود بن حنظله^(١).

وإذا وقفنا وقفات تأمل أمام دعاء الإمام الحسين عليه السلام المذكور في مزامير داود عليه السلام على الذين قاتلوه، وخذلوه، وتآلبوا عليه، يلاحظ أنه قريب جداً في معناه ومبناه من نفس الدعاء الذي دعا به يوم العاشر من المحرم، عندما أحيط به من كل جانب. ففي مزامير داود عليه السلام أنه دعا عليهم بهذا الدعاء: «اللهم فرق شملهم... وأعم أبصارهم، وأضعف قوتهم، وصبّ عليهم سخطك، وليدركهم حمؤ غضبك، واخل منهم ديارهم، ولا تذر منهم أحداً^(٢)» واحص ذنوبهم، ولا تغفر لهم أبداً، وامحُ أسماءهم من سفر الأحياء، ولا تكتبهم مع الصديقين^(٣).

وبرواية كتب التاريخ تذكر أنه لما أقدم عليه شمر بن ذي الجوشن برجاله، وجعل شمر يحرضهم على الحسين عليه السلام وهو يحمل عليهم فينكشفون عنه، ثم إنهم أحاطوا به، وأقبل إلى الحسين عليه السلام غلام من أهله - عبد الله بن الحسن بن علي - فقام إلى جنبه، وقد أهوى بحر بن كعب بن تيم الله بن ثعلبة إلى الحسين عليه السلام بالسيف، فقال الغلام: «يا ابن الخبيثة، أتقتل عمي؟ فضربه بالسيف، فاتقاه الغلام بيده، فأطنّها إلى الجلدة، فنادى الغلام «يا أمتاه» فاعتنقه الحسين عليه السلام، وقال له: يا أبن أخي أصبر

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٤: ١٢١.

(٢) مزامير داود ٦٩: ٢٣ - ٢٥.

(٣) مزامير داود ٦٩: ٢٧ - ٢٨.

على ما نزل بك، فإن الله يلحقك بآبائك الطاهرين الصالحين، برسول الله ﷺ، وعليه ﷺ، وحمزة، وجعفر، والحسن ﷺ. ثم رفع بصره الى السماء، يناجي ربه، قائلاً: «اللهم، احبس عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللهم، فإن متعتهم الى حين ففرقهم طرائق قعداً، ولا ترض عنهم الولاة أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا، فغدوا علينا فقتلونا»^(١). «اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً»^(٢).

أما الذي يروى في سفر إشعياء، فإن الناس تخذل الإمام الحسين ﷺ، وترفضه، ويتحمل الألم والعذاب^(٣)، ويساق، كما تساق الشاة الى الذبح، والنعجة الى جازيها، مع أنه لم يقتترف جريمة، ولم يظلم أحداً^(٤). أما الرب فيقول: «لقد شئت أن أعمه بالعذاب، وأن موته كان قرباناً... وسوف يرى ذريته وستطول أيامه، ومن خلاله سوف ينجح مقصدي. وبعد العذاب سوف يرى السعادة، وسوف يعلم أن عذابه لم يذهب سدى. إنه عبدي البار... الذي أنا عنه راضٍ. وسوف أعطيه مكاناً علياً بين الأعزاء والعظماء لأنه ضحى بحياته راغباً»^(٥).

وفي هذا المقام يستوقفنا حديث من الأحاديث النبوية الشريفة لتشهد على صدق ما أخبر به النبي إشعياء عن الإمام الحسين ﷺ. فعن أبي هريرة، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾^(٦) قال: جعل الإمامة في عقب الحسين، يخرج من صلبه تسعة من

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤: ٤٣١.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري ٥: ٤٤٩.

(٣) إشعياء، الأصحاح ٥٣: ٣.

(٤) نفس المصدر، الأصحاح ٥٣: ٧-٩.

(٥) نفس المصدر، الأصحاح ٥٣: ١٠-١٣.

(٦) الزخرف: ٢٨.

الأئمة، منهم مهدي هذه الأمة^(١)، وقد جاء عن ابن حمّاد، أنه قال :
 هذا الإمام ابن الإمام الذي منه لنا في كل عصر إمام^(٢)
 وإذا ما مضيت تقرأ في سفر إرميا^(٣) النبي، فسوف يسترعي انتباهك
 المواجهة العسكرية التي جرت على أرض كربلاء، فقد جاء أنه قال:
 «اعدّوا المجنّ والترس وتقدموا للحرب، اسرجوا الخيل، واصعدوا أيها
 الفرسان، وانتصبوا بالخوذ، أصقلوا الرّماح، والبسوا الدروع... يقول
 الرب، الخفيف لا ينوص، والجل لا ينجو، في الشمال بجانب نهر الفرات،
 عثروا وسقطوا»^(٤).

هذا من جهة، أمّا من جهة أخرى، فقد قيل: إن إنجيل عيسى عليه السلام ذكر
 الإمام الحسين عليه السلام باسم طاب^(٥). وإن النبي زكريا عليه السلام بكى على مصيبتة،
 ونحب، وقال: «إلهي أتفجع خير خلقك بولده؟ إلهي أنزل الرزية بفنائها؟
 إلهي أتلبس علياً، وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي أتحل هذه الفاجعة
 بساحتهما؟»^(٦).

وأن عيسى عليه السلام بكى الإمام الحسين عليه السلام، وجلس الحواريون يكون
 معه على أرض كربلاء، وقال: «هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد،
 وفرخ الحرّة الطاهرة البتول، شبيهة أُمّي، ويلحد فيها طينة أطيب من
 المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء، وأولاد

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٤: ٥٣.

(٢) نفس المصدر: ٨٤.

(٣) إرميا اختاره الله بنتاً وهو شاب عام ٦٤٧ قبل الميلاد، في السنة الثالثة عشرة من حكم الملك
 يوشيا بن آسون ملك يهوذا من سنة ٦٥٩ - ٦٢٨ ق. م. (إرميا الإصحاح الأول: ١ - ٤).

(٤) إرميا، الأصحاح ٤٦: ٣.

(٥) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٤: ٨٥.

(٦) نفس المصدر: ٩٢.

الأنبياء (١).

أيها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم من نبي وملاك، وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى، وحامل الإنجيل (٢)
وأنت بعد النظر في هذه الأقوال كلها، وإلى آخر ما هناك من النصوص
الكثيرة التي يتضح معها، بما لا مجال معه للشك، بأن الإمام الحسين عليه السلام
الذي أمر بأثقاله، فحطت بكر بلَاء، يوم الأربعاء، غرة المحرم من سنة ٦١
هجريّة في الشهر العاشر من سنة ٦٨٥ م وقتل بعد ذلك بعشرة أيام (٣)
كان يذكر على لسان أنبياء الله ورسله، وفي كتبهم، لا سيما خاتمهم
وعظيمهم النبي محمد ﷺ، وبأن الله عز وجل قد أعدّه وهياً من أجل
البقاء على الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله لعباده.

وهكذا يسير النبي محمد ﷺ وآل محمد ﷺ مع كل عصر وزمان منذ
أن خلقهم الله أنواراً (٤) ربانية، تسبح لعظمته، وتقديسه ذاته، حول العرش
قبل أن يبتدع الخلق بقدرته ابتداءً، ويخترعهم على مشيئته اختراعاً.
فخصّ محمداً وآله بالكرامة، وحباهم بالرسالة، وخصصهم بالوسيلة،
وجعلهم ورثة الأنبياء، وختم بهم الأوصياء، والأئمة وعلمهم علم ما كان
وما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم. فصل على محمد وآله
الطاهرين. وافعل بنا ما أنت أهله في الدين والدنيا، والآخرة إنك على كل
شيء قدير (٥).

(١) الصدوق، آمالي الصدوق: ٤٧٩.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٥٣.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٥٣.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ١: ٤٣.

(٥) الإمام علي بن الحسين، الصحيفة السجادية: ٤٦.

بشر الحافي

✽ حسين الشاذلي

كان أبو نصر بشر بن الحارث المروزي، من سكنة جانب الكرخ في بغداد، وكان عياراً وصاحب لهو ومجون، ولم تمرّ ليلة إلّا وموائد الخمر وغناء القيان في داره، يحيط به عددٌ من أقرانه رفقاء السوء والمعصية .

مولده ووفاته :

ولد في مرو سنة ١٥١ هـ، وتوفي في بغداد ٢٢٦، وقيل ٢٢٧ من عمر ناهز ٧٦ عاماً^(١).

سبب تشييعه :

وذات ليلة خرجت جارية من داره لترمي الفضلات في الطريق، إذ مرّ

(١) أعيان الشيعة ٣: ٥٧٩.

بها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وسمع الغناء، فسألها عن صاحب هذه الدار، فقالت: هي لسَيِّدي بشر .

فقال لها الإمام: سيّدك هذا أحرّ أم عبد؟

فقالت: بل هو حرّ .

فقال: صدقت، لو كان عبداً لخاف من مولاه .

وفي رواية: لو كان عبداً لاستحى من مولاه، ولاستعمل أدب العبودية، وترك اللهو والمعصية .

ثم مضى الإمام عليه السلام إلى سبيله، ولمّا دخلت الجارية الدار وكانت قد أبطأت عليه بسبب حديثها مع الإمام، فسألها مولاه: ما أبطأك؟

فقالت: مرّ رجل صالح في الطريق يبدو عليه سيماء الصالحين، وآثار العبادة والورع والتقوى، فسألني بكذا، وأجبتة بكذا، وقال كذا .

فلما انتهت الجارية من حديثها، فكّر ملياً فيما نقلته إليه الجارية سيّما هذه الجملة: «لو كان عبداً لخاف من مولاه»، حيث وقعت هذه الكلمة على قلبه وقع السهم، فانتبه من نومة الغفلة وأدركه التوفيق، فعلم أنّه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فخرج من داره مسرعاً حافياً يريد مولاه، حتّى أدركه فرمى بنفسه على قدميه يقبلهما تائباً، ويمرّغ خده على الأرض، وقال: سيّدي أعد عليّ كلامك، فلما سمعها تاب على يديه توبةً نصوحاً؛ معتذراً إلى الله وإليه على ما بدر منه، ووعدّه أن لا يعود إلى ما كان عليه، معاهداً الله ورسوله، ثمّ عاد من قوره إلى الدار فكسر الأواني وأراق الخمر، وطرّد الغواني وقرناء السوء من رفاقه .

وقال ابن خلكان: أصله من مرو، وسكن بغداد وكان من أولاد الأسر الكريمة، وسبب توبته أنّه أصاب في الطريق ورقة مكتوب فيها اسم الله

تعالى، وقد وطئتها الأقدام فأخذها ونظفها واشترى غالية - عطراً - فطيبها وجعلها في شقّ حائط، فسمع تلك الليلة في النوم قائلاً يقول له: يا بشر، طيّبت اسمي لأطيبين اسمك في الدنيا والآخرة .
وفي حلية الأولياء مثلها، وأضاف: لمّا سئل ما كان بدء أمرك؟ لأنّ اسمك أصبح بين الناس كأنّه اسم نبيّ؟ قال: هذا من فضل ربّي، وما أقول لكم: كنت رجلاً عيَّاراً صاحب عصابة فجرت يوماً فإذا أنا بقرطاس فرفعته وطيّبته إلى آخر ما سبق ذكره .

زهده :

وأخذ في تهذيب نفسه، واتصل بالله اتصالاً منقطع النظير حتّى فاق أهل زمانه في الورع والزهد، وقد أعرض عن الدنيا وزينتها، ورضي بالقناعة، وقال فيها: لو لم يكن في القناعة شيء إلا عزّ الغنى؛ لكان ذلك يجزي، ثمّ أنشأ يقول :

أفادتني القناعة أيّ عزٍّ ولا عزّ أعزّ من القناعة
فخذ منها لنفسك رأس مالٍ وصير بعضها التقوى بضاعة
تحرّ حالين تغنى عن بخلٍ وتسعد في الجنان بصبر ساعة
ثمّ قال: مروءة القناعة أشرف من مروءة البذل والعطاء .

وكان يتذمّر من زمانه، ويكره الاختلاط بهم، وذلك لفقدان الأحرار والمصلحين، وكثرة الأشرار والساقطين .

ومن زهده :

في الشذرات عن ابن الجوزي، لم يملك بشر ببغداد ملكاً قطّ، وكان لا يأكل من غلّة بغداد ورعاً لأنّها من أرض السواد التي لا تقسم، وكان يعمل

المغازل ويعيش منها حتى مات، وكان لا يقبل من أحد شيئاً عطية، أو هدية، سوى رجل من أصحابه ربما قبل منه، وقال: لو علمت أن أحداً يعطى لله لأخذت منه، ولكن يعطي بالليل سرّاً ويتحدث بالنهار جهراً. عن بشر، قال: دخلت على حماد بن زيد فرأيت في بيته بساطاً أعجبني، فقلت: ما هكذا يكون العلماء، وبسنده جاءه يوماً أصحاب الحديث فقال: ما هذا الذي أرى معكم؟ قالوا: يا أبا نصر، نطلب هذه العلوم لعل الله ينفع بها يوماً، قال: قد علمتم أنه يجب عليكم فيها زكاة.

مشايخه :

ذكر أبو نعيم في الحلية، أن بشراً أسند عن أعلام من الرواة مع كراهيته للرواية ورغبته عنها. ثم ذكر جملة من الروايات التي رواها بشر.

وقال ابن خلكان: روي عنه السري السقطي وجماعة من الصالحين. وفي تاريخ بغداد: سمع إبراهيم بن سعد الزهري، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وحماد بن زيد، وشريك بن عبد الله، والمعافي بن عمر الموصلي، وعبد الله بن المبارك، وعلي بن مسهر، وعيسى بن يونس، وعبد الله بن داود الخريبي، وأبا معاوية الضرير، وزيد بن أبي الوركاء.

تلاميذه :

وقال: روى عنه نعيم بن الهضيم، وابنه محمد بن نعيم، وإبراهيم بن هاشم بن مشكان، ونصر بن منصور البرّاز، ومحمد بن المثنى السمسار، وسري السقطي، وإبراهيم بن هاني النيسابوري، وعمر بن موسى الجّالّد، وغيرهم.

ما نقل عنه من المواعظ والحكم :

في حلية الأولياء، بأسانيده عن بشر الحافي أنّه كان يقول: أدّوا زكاة الحديث، وقال: هذا العلم ينبغي أن يعمل به، وقال: ينبغي أن لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلّا من يصبر على الأذى .

وقال: عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس، وشرفه قيامه في الليل .
وقال له رجل: عظمي، قال: انظر إلى خبزك من أين هو، ولا تعرض للنار .

وقال: لا أعرف رجلاً أحبّ أن يُعرف إلّا ذهب دينه وافتضح .

وقال: لا يجد حلاوة الآخرة رجلاً أحبّ أن يعرفه الناس .

وقال: اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك .

وقال: من عامل الله بالصدق استوحش من الناس .

وسأله رجل أن يدعو لابنه فقال: دعاؤك له أبلغ، دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأُمَّته .

وفي تاريخ بغداد: كتب إليه رجل يطلب منه حديثاً فكتب إليه: هل عملت بما عندك حتّى تطلب ما ليس عندك ؟

وفي الشذرات عن ابن الجوزي: قال لابن أخته: يا بُني، اعمل فإنّ أثره في يدك أحسن من أثر السجود بين عينيك .

وقال: الفكرة في أمر الآخرة تقطع حبّ الدنيا وتذهب شهواتها. «انتهى».

أقوال العلماء فيه :

في حلية الأولياء: ومنه من حباه الحقّ بجزيل الفواتح، وحمّاه عن وبيل الفواحش أبو نصر بشر بن الحارث الحافي المكثي بكفاية الكافي اكتفى فاشتقى .

وفي الشذرات عن ابن حبان في الثقة: أخباره وشمائله، في التقشف وخفي الورع أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها.

وفي تاريخ بغداد للخطيب: هو ابن عم علي بن خشرم، كان ممّن فاق أهل عصره في الورع والزهد وتفرد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس، وإسقاط التكليف والفضول.

وفي تاريخ بغداد عن إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلاً، ولا أحفظ لساناً من بشر بن الحارث كان في كلّ شعرة منه عقل وطى الناس عقبه خمسين سنة ما عرف له غيبة لمسلم، ولو قسم عقله على أهل بغداد وصاروا عقلاء، وما نقص من عقله شيء.

ومن شعره في التذمّر من أهل زمانه، قوله:

ذهب الرجال المرتجى لفعالهم والمنكرون لكلّ أمرٍ منكّرٍ
وبقيت في خلف يزيّن بعضهم بعضاً ليدفع معور عن معور^(١)
وله أشعار أخرى ذكرها العلامة السيّد الأمين في أعيانه، منها:

أقسم بالله لرضخ النوى وشرب ماء القلب^(٢) المالحة
أعزّ للإنسان من حرصه ومن سؤال الأوجه الكالحة
فاستغن باليأس تكن ذا غنى مغتبطاً بالصفقة الرابحة
البأس عزّ والتقي سودد ورغبة النفس لها فاضحة
من كانت الدنيا به برّة فليأتها يوماً له ذابحة^(٣)

(١) مراقد المعارف: للشيخ محمّد حرز ١: ١٩٢، طبعة قم ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، وكراس (التّوابون في التاريخ) من سلسلة الثقافة الإسلامية، للمؤلف.

(٢) أي القلب البئر في الصحراء.

(٣) أعيان الشيعة ٣: ٥٨٠ - ٥٨١.

وقال :

خلت الديار فسدت غير مسودٍ ومن الشقاء تفرّدي بالسود
عن أحمد بن مسكين، قال: خرجت في طلب بشر بن الحارث، فإذا به
جالس وحده، فلمّا رأيته مقبلاً، خطّ بيده على الحائط وولّى، فأتيت
موضعه فإذا هو قد خطّ بيده :

الحمد لله لا شريك له في صبحه دائماً وفي غلسه^(١)
لم يبق لي مؤنس فيؤنسني إلا أنيس أخاف من أنسه^(٢)
فاعتزل الناس يا أخي ولا تركز إلى من تخاف من دنسه
وأجهد نفسه بالعبادة والتوبة والتهجد والسهر والبكاء، ولم ينتعل
من يومه إلى أن مات .

فقال له: لم لا تلبس نعلاً؟ قال: لأنّي لمّا صالحتني مولاي (الإمام
الكاظم عليه السلام) كنت حافي القدم، فلا أزل عن هذه الحالة حتّى الممات، لذا
لقّب ببشر الحافي .

قال محمّد بن الدينوري: ... سمعت بشر بن الحارث حينما سئل: ما
كان بدء أمرك، وقد أصبح اسمك اليوم بين الناس مشهوراً؟ قال: هذا من
فضل ربّي، وما أقول لكم، كنت رجلاً عياراً صاحب معصية فجرت يوماً
في الطريق فوجدت قرطاساً على الأرض فرفعته فإذا مكتوب فيه: «بسم
الله الرحمن الرحيم»، فمسحته وجعلته في جيبِي، وكان عندي درهمان،
فذهبت إلى العطّارين فاشتريت بهما (غالية) عطرأً ومسحته في
القرطاس، فنمت تلك الليلة، فسمعت في المنام كأنّ قائلاً يقول: يا بشر بن
الحارث! رفعت اسمي عن الطريق وطيبته، لأطيبن اسمك وذكرك في الدنيا

(١) الغلس: الليل المظلم .

(٢) يعني الموت .

والآخرة، ثمّ كان من هدايته لدينه وتوفيقه ما كان .

وقد أصبح من العبّاد والزّهّاد المعروفين، وله كرامات يشار إليها بالبنان في بغداد وغيرها، وعرف بعد ذلك ببشر الحافي، ويسمّيه أهل بغداد باسم (الشيخ بشّار) .

فلما مات في بغداد في العاشر من المحرّم الحرام سنة ٢٢٧ هـ عن عمرٍ ناهز ٧٦ سنة، دفن بداره في الكرخ، ولا تزال المحلّة معروفة باسمه - الشيخ بشّار - وله مرقد شاخص لحدّ اليوم، وأصبح داره مسجداً حول المرقد ومزاراً يقصده المؤمنون، ويعتبر من المساجد الشيعية .

ومحلّة الشيخ بشّار واقعة في الكرخ بين الجسر وبين محلّة الجعيفر، وهو ابتداء محطة الترامواي^(١) الذي يربط بين بغداد والكاظمية مروراً بجامع برائث سابقاً .

في أعلام الزركلي^(٢):

بشر الحافي (١٥٠ - ٢٢٧ هـ) (٧٦٧ - ٨٤١ م) .

بشر بن الحارث بن عليّ بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي: من كبار الصالحين، له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقافة رجال الحديث، من أهل (مرو) سكن بغداد وتوفي بها. قال المأمون: لم يبق في هذه الكورة أحد يُستحي منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث^(٣)

هذا ما كان من بدء أمره وهدايته ببركة الإمام، وتعظيمه للفظ الجلالة وتطيّبه .

(١) والترامواي عبارة عن قطارات ذات طابقين تسير على سكّة حديد تجزّها الخيول بين بغداد والكاظمية نهاباً وإياباً .

(٢) الأعلام ٢: ٥٤ .

(٣) روضات الجنّات ١: ١٢٣، وطبقات الصوفية، ووفيات الأعيان ١: ٩٠، وتاريخ بغداد ٧: ٦٧ - ٨٠ وابن عساكر ٣: ٢٢٨، وصفة الصفوة ٢: ١٨٢، وحلية الأولياء ٨: ٣٣٦، والشعراني ١: ٦٢ .

«التوبة» أول منازل السالكون إلى الله

✽ الشيخ وهب الزمران (العراق)

لقد عدّ أرباب العرفان منازل عديدة ينبغي على السالك إلى الله تعالى أن ينزلها، ولقد وضعوا لكل منزل آداباً خاصة ينبغي مراعاتها وسبر أغوارها وقد جعلوا منزلة (التوبة) معني أولها لأنه المفتاح الموصول إلى تلكم المنازل.. وفي هذا البحث تلمس لمعرفة معنى التوبة، ومن ثم معرفة آدابها وبالتالي نبين آثارها قطعاً لثمارها الجمّة المترتبة عليها.



لماذا التوبة أول منازل السالكون إلى الله ؟

العرفان (لغة) يعني : (الاعتراف بالشيء الدال عليه)^(١). وفي المقام

(١) المنجد في اللغة / لويس معلوف .

يعني: (المعترف بالله تعالى الدالّ عليه)^(١) وعليه فلا يكون المرء من أهله إلا إذا عرف الله تعالى حق معرفته - بما يتناسب ومداركه العقلية - ثم يكون دالاً عليه كأثر ملازم، لأن الدالّ على شيء يفترض فيه أن يكون عارفاً به .

ولما كانت النفس الانسانية بطبيعتها - على ما سيأتي الإشارة إليه - ميّالة إلى اللعب واللهو لقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): «إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أماره وإلى الخطيئة مبادرة وبمعاصيك مؤلفة...»^(٢) وبالتالي فهي منشدة إلى الأرض بكلّ ماديّاتها كان لازم ذلك أن تكون أبواب الذنوب مشرعة أمامها ، ولذا فإن المرء إذا ما أراد أن يكون من أهل معرفة الله؛ عليه أولاً أن يسدّ مغالق تلك الأبواب؛ كي يكون مؤهلاً للرجوع الى طرق أبواب معرفة الله، وذلك الرجوع هو (التوبة)، لأنها لغة تعني (الرجوع) واصطلاحاً: (رجوع من العبد إلى الله تعالى، ورجوع منه سبحانه إلى عبده)^(٣) وإلا لا يعدّ من أهل معرفة الله والسالكين إليه تعالى .

حقيقة التوبة :

(التوبة): من المعاني الحقيقية المختصة بالقرآن الكريم دون غيره من الكتب السماوية الأخرى؛ فهي في القرآن تختلف (شكلاً) عمّا كانت عليه في الكتب السماوية السابقة ، ففي التوراة مثلاً تعني (القتل خاصة)، لقوله تعالى مخاطباً بني إسرائيل آنذاك: ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾^(٤) ككفارة خالصة

(١) الميزان للعلامة الطباطبائي .

(٢) الصحيحة .

(٣) الميزان للعلامة الطباطبائي .

(٤) البقرة : ٥٠ .

لما اقتربت أيديهم باتخاذهم العجل رباً من دون الله وعند المسيحية اتخذت شكل (صكوك الغفران) التي أخذت الكنيسة فترة من الزمن تبيعها باعتبارها وثيقة، تتضمن اعتراف حاملها بكامل خطاياها !! .. أما في القرآن الكريم فحقيقتها أنها ترتبط بالغاية السامية التي من أجلها خلق الإنسان وحيث أن تلك الغاية هي (استخلاف الله تعالى له في الأرض)، وهذا الاستخلاف لا يتحقق إلا عن طريق (كمال النوع الإنساني) وهو الذي تدعو إليه الفطرة .

وهذا الكمال إنما يتحقق بالقرب من ساحة القدس بمعنى (أنه كلما كان قريباً من ساحة القدس المباركة؛ كان أقرب إلى الكمال، لأنها الكمال الذي ليس فوقه كمال). وحيث إن الإنسان في حقيقته (نفس) وهي روحه التي بين جنبيه ﴿ونفخ فيه من روحه﴾^(١) وهذه النفس في حقيقتها أمّاره بالسوء؛ لقوله تعالى ﴿ان النفس لأماره بالسوء﴾، لذا كان احتمال وقوع الإنسان في مزالقها كبيراً لقول الحبيب المصطفى ﷺ: «كل بني آدم خطاء» ولذا: (فإن أحبّ عباد الله إلى الله المفتن الثواب)^(٢) كما يقول باقر أهل البيت (عليه السلام) .
وبناءً على هذا البيان فإنما تستقبح الذنوب - من بني الإنسان - باعتبارها مبعّدة عن ساحة القدس المباركة، ولذا فإن حقيقة التوبة :

إنّما هي محاولة العبد القرب من ساحة القدس، بإزالة الموانع من القرب ثم العمل على ما يقرب إلى تلك الساحة المباركة .. والإزالة إنما تتم بالعلم أولاً بقبح الذنب والضرر الحاصل منه، وأنه سموم مهلكة ومفوتة لحياة الأبد النعيمة، ولذا يجب أن تعقبها حالة من الندم، تنبعث منها إرادة وقصد إلى فعل ما يدلّ على ترك الذنب حالاً واستقبالاً، وتلافي الماضي

(١) السجدة : ٩ .

(٢) بحار الانوار : ٧ : ٢١ .

بالجبران - إن كان قابلاً.

وإجمالاً فإن حقيقة التوبة تتم بمراحل ثلاث: (إحساس بالذنب ثم رجوع إلى الله، بتصفية النفس من رواسب الذنوب عن طريق الأعمال الصالحة حالاً واستقبالاً) وبذلك تتحقق التوبة النصوح، وإلا كانت بمثابة المستهتر بوعيد الله؛ لقول الإمام الرضا عليه السلام: «المستغفر من الذنب ويفعله كالمستهزئ»^(١).

قال العلامة الطباطبائي في الميزان: (التوبة هي رجوع من العبد إلى الله تعالى بالندامة والانصراف عن الإعراض عن العبودية، ورجوع من الله تعالى إلى العبد رحمة بتوفيقه بالرجوع إلى ربه، أو بغفران ذنبه)^(٢) ولذا فقد حظيت التوبة بعناية خاصة من لدن الشارع المقدس، في الحث عليها والترغيب لها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤) وقال إمامنا الباقر عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَشَدَّ فَرَحاً بِتُوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ وَزَادَهُ فِي لَيْلَةٍ ظُلُمَاءَ فُوجِدَهَا»^(٥).

ولما كانت حقيقة الممكن - ومنه النوع الإنساني - الفقر والحاجة؛ لذا فإن الإنسان في رجوعه إلى الله تعالى وفي عمله الذي يقربه إلى ساحة القدس؛ محتاج إلى الواجب سبحانه ومن هنا كانت توبة العبد محفوفة بتوبتين من الله سبحانه، أي في رجوعه إلى الله، وفي محاولته القرب إلى ساحة القدس المباركة.

(١) ميزان الحكمة للري شهري ج ١ باب التوبة.

(٢) الميزان للعلامة الطباطبائي ٤: ٢٢٧.

(٣) البقرة: ٢٢٢.

(٤) النور: ٣١.

(٥) الكافي ٣: ٤٣٥.

ومن هذا البيان يمكن أن نستخلص مايلي :

أولاً: إن التوبة (سواء في رجوع العبد الى الله أو في محاولته القرب من ساحة القدس) هي في كلا الحالتين نعمة منه سبحانه ورحمة، ذلك لأنه (لاحول ولا قوة إلا بقدرتك) كما يقول الأمام السجاد عليه السلام في مناجاة الشاكين .

ومن هنا فقد اهتمت الشريعة الإسلامية بأمر معالجة معاصي العباد كاهتمامها بأمر إزالة الشرك، إن لم نقل أكثر بإعتبار أن الناس قد فطروا على قبول الدين، ولكن عوارض الذنوب ودواعيها كثيرة، لا يسلم منها، إلا من أوتي حظاً عظيماً، ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾^(١).

ثانياً: إن التوبة إنما تجب على الله تعالى لا من باب الاستحقاق، وإنما من باب اللطف، حيث إنه سبحانه أخذ على نفسه قبولها ﴿ألم يعلموا أن الله يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم﴾^(٢).

ولذا يقول الإمام زين العابدين عليه السلام : «إلهي لو بكيت لك حتى تسقط أشفاري عيني وانتحبت حتى ينقطع صوتي وقمت لك حتى تنتشر قدماي وركعت لك حتى ينخلع صلبتي وسجدت لك حتى تتفققاً حدقتاي واكلت تراب الأرض طول عمري وشربت ماء الرماد آخر دهري وذكرتك في خلال ذلك حتى يكل لساني ثم لم أرفع طرفي الى أفاق السماء استحياء منك ما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي»^(٣) وذلك وفقاً لمنطق قضاء الحق والعدل، كما يقول أهل القانون .

ثالثاً: إن التوبة ترفع الآثار المعنوية لا الشرعية، إلا إذا كان الأثر مأخوذاً في جعل الحكم الشرعي، كما في قوله تعالى : ﴿فإن تابا وأصلحا

(١) يوسف : ١٠٦ .

(٢) التوبة : ١٠٤ .

(٣) الصحيفة السجادية.

فأعرضوا عنهما»^(١).

ولذا ورد أن من الذنوب ذنباً لا يغفرها الله تعالى، وهي الذنوب التي تتعلق بحقوق الناس كالسرقة والغيبة وهتك حرمة المؤمن .. الخ وإنما أمرها الى العباد بينهم لقول الإمام زين العابدين عليه السلام «يغفر الله للمؤمنين كل ذنب، ويظهر منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبيين : ترك التقية وتضييع حقوق الإخوان»^(٢).

رابعاً : ان للتوبة فوائد جمّة منها :

أ - أنها تجبّ ما قبلها لقول النبي المصطفى ﷺ : «التوبة تجبّ ما قبلها»^(٣) وفي هذا إعادة الثقة للنفس، كي تأخذ موقعها الطبيعي والفاعل في الحياة، بخلاف ما اعتادت عليه القوانين الوضعية، في ملاحقة المخالف مهما ظهر منه من علامات التوبة والندامة .

ب - تستنزل الرحمة لقول أمير المؤمنين علي عليه السلام : «التوبة تستنزل الرحمة»^(٤) وذلك لأن التوبة عند ما كانت في حقيقتها رجوعاً إلى الله تعالى، ومقتضى الرجوع: أن يفتح المرجوع اليه أبوابه، وخصوصاً عند ما يكون قد كتب على نفسه الرحمة، لقول الإمام الباقر عليه السلام : «تعرض للرحمة وعفوا الله بحسن المراجعة»^(٥).

ج - أنها شفيعة للعبد يوم القيامة لقول أمير المؤمنين عليه السلام : «لا شفيع أنجح من التوبة»^(٦) باعتبارها المصدق الحقيقي المعبر عن الاعتراف بوحدانية الله تعالى وربوبيته .

(١) النساء : ١٦ .

(٢) بحار الأنوار / ٧٧ .

(٣) ميزان الحكمة ج ١ باب التوبة .

(٤) مستدرک الوسائل ١٢ .

(٥) بحار الأنوار : ٧٨ .

(٦) ميزان الحكمة ج ١ باب التوبة .

د - تطهر القلوب وتغسل الذنوب لقول علي عليه السلام: «التوبة تطهر القلوب وتغسل الذنوب»^(١) لأن الحكمة لن تنبع أبداً إلا من قلب نقي لقوله عليه السلام: «القلب ينبوع الحكمة»^(٢).

هـ - أنها تستر على العبد في الدنيا والآخرة، ولذا ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من تاب تاب الله عليه، وأمرت جوارحه أن تستر عليه، وبقاع الأرض أن تكتم عليه وانسييت الحفظة ما كانت تكتب عليه»^(٣).

و - تحفظ روح الرجاء في نفس الإنسان، طبقاً لقانون الخوف والرجاء الذي لولاه لهلك النوع الإنساني، إذ به تتوازن النفس الإنسانية، وتسلك الطريقة الوسطى بين الإفراط والتفريط.

خامساً: ليعلم أن اتقاء السيئة أفضل من اقرارها، ثم امحاؤها بالتوبة لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ترك الذنب أهون من طلب التوبة»^(٤) ومن هنا فقد حُصّ الأنبياء والأوصياء وخصوصاً أئمة أهل البيت عليهم السلام بمقامات تشريفية.

ولكن مع ذلك عدواً أنفسهم مذنبين لطموحهم إلى مقامات أعلى شرفاً وأكثر قرباً من ساحة القدس تبارك وتعالى، ولعل ما زخرت به أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، من اعترافات جمّة بالتقصير المفرط، وكلها شواهد ناطقة على أن سيئات الأبرار حسنات المقربين، ودعوة حقّة الى أن الذنب يترك نقطة سوداء في القلب، ولن تمحى إلا بتوفيق من الله، ولذا فإن احتماء الناس من الطعام مخافة الأذى، وعدم احتمائهم من الذنب مخافة النار؛ كان موضع عجب أمير المؤمنين عليه السلام لقوله: «عجبت لأقوام

(١) ميزان الحكمة ج ١ باب التوبة.

(٢) غرر الحكم.

(٣) ثواب الأعمال ١: ٢١٤.

(٤) البحار الانوار: ٧٣.

يحتمون الطعام مخافة الأذى؛ كيف لا يحتمون من الذنوب مخافة النار»^(١).

سادساً: لما كانت حقيقة التوبة هي دفع ضرر حاصل حقيقة، لذا تجب على نحو الفورية لأن دفع الضرر الحقيقي واجب فوري بحكم العقل حذراً من تراكم الرين الذي تتركه الذنوب على القلب، وعندئذ قد لا يقبل المحو.

وأما نقلاً: فقد حثت العديد من الآيات الكريمة والروايات الشريفة على ضرورة الإسراع بالتوبة، قال تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾^(٢) وقال الإمام الجواد عليه السلام: «تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حيرة»^(٣) ولقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن قارفت سيئة فعجل محوها بالتوبة»^(٤) وأخيراً لقول الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله: «يا بن مسعود، لا تقدم الذنب، ولا تؤخر التوبة، ولكن قدم التوبة وأخر الذنب»^(٥).

التوبة تعم المؤمن والكافر:

لقوله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾^(٦) فبقريئة عموم لفظ (التوبة) و(جهالة) يستفاد منهما أن المؤمن والكافر كليهما يعملان السوء بجهالة، ذلك لأن عامل السوء حين يعمله جاهل حيث يغيب عندها عقله المميز الحاكم، ولذا قيل إن الجهالة في باب الأعمال هي (إتيان العمل عن هوى من غير عناد للحق). وخير علامة على ذلك أن فاعل السوء إذا سكنت عنده ثورة القوى الشهوانية، أو انكشف له

(١) تحف العقول.

(٢) النساء: ١٧.

(٣) تحف العقول.

(٤) البحار ٦.

(٥) البحار ٧٧.

(٦) النساء: ١٧.

العلم؛ زالت عنه الجهالة وبانت عليه الندامة، إلا إذا كان معانداً للحق فيكون عندئذ ما صدر عنه عن خبث ورداءة فطرة ..

وكما يستفاد من الإطلاق أيضاً عموم التوبة لكافة الأحوال، لأن المكلف إن سلم من معصيته الجارحة فلا يسلم من الهم بها، وإن سلم من الهم بها فلا يسلم من وسوسة الشيطان بأيراد الخواطر المذهلة عن ذكر الله، وإن سلم منها فلا يسلم من الغفلة والقصور من العلم بالله تعالى وصفاته وآثاره .. وهذا معنى دقيق جداً لا يدركه إلا العارفون بالله وهو الذي أشارت إليه أدعية أئمة أهل البيت (عليه السلام) في تصوير أنهم مذنبون؛ لأن قضاء الحوائج التي لامناص منها فإنها بأي حال من الأحوال تُغفل المرء عن ذكر الله، ولذا ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب»^(١) في إشارة منه (عليه السلام) إلى هذا المعنى الدقيق .

شروط قبول التوبة :

في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾^(٢) شرطان لقبول التوبة، وهما: أن يكون فاعل السوء عن جهالة، (وقد مرّ آنفاً توضيح الجهالة)، والثاني أن تكون عن قريب كدليل على حصول الندامة، وعلى أنه غير عاكف على الذنب الذي هو شأن المعاند .. وعليه فالقيدان احترازيان، يراد بالأول أنه لا يعمل السوء عن عناد، وبالثاني أنه لا يؤخر التوبة .

وعليه يصح أن يقال أنه كما أن الملك لا يقبل أن يكون بجواره إلا إذا

(١) ميزان الحكمة ج ٣ / الذنب

(٢) النساء : ١٧ .

الثوب النظيف، فكذلك الحق سبحانه - وهو الجمال المطلق - لا يقبل بجواره إلا ذا القلب الطاهر، وإذا كان الوسخ من الثياب لا يزال إلا بما هو معروف؛ فكذلك القلوب فإن أدرانها لا تزال إلا بزفرات الدموع، فهي التي تطهره وتزكيه، ويقيني إنه ما كان للإمام السجاد عليه السلام مقام السبق في البكاء من خشية الله، حتى عدّ من البكائين إلا ليس لنا بمقام الحال قبل المقال الحالة المثلى، التي ينبغي أن يستشعرها دائماً السالك إلى الله تعالى.

ومن هنا يعلم أن هناك من لا تقبل توبته: كالتائب عند الموت باعتبار أنه يشاهد عند الموت هول المطلع ويأس من الحياة وهذان قيدان يزولان حال رجوعه إلى الحياة الدنيا، فيرجع بعد هما إلى مقتضى طبعه، ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَمَّا نَهَوْا عَنْهُ﴾^(١) وقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا بلغت النفس ها هنا - وأشار بيده إلى حلقه - لم يكن للعالم توبة ثم قرأ الآية»^(٢) كلها شواهد على هذه الحقيقة.

وكذلك لا تقبل توبة المتمادي بالكفر، لأن مقتضى المتمادي أن يختم على قلبه لا لقصور في الخالق جلّ وعلا، وإنما لقصور في القابل - إذ المتمادي في الكفر يجعل القلب - والعياذ بالله - محطاً لظلمة الذنوب، حتى يكون صاحبه جندياً من جنود الشيطان - لا بل هو الشيطان بعينه.

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣) وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله»^(٤).

(١) الأنعام: ٢٨.

(٢) ميزان الحكمة ج ١ / التوبة.

(٣) المطففين: ١٤.

(٤) الكافي: ٢.

علامة التائب :

يجمعها قول الحبيب المصطفى ﷺ: «أما علامة التائب فأربع : النصيحة لله في عمله ، وترك الباطل ، ولزوم الحق ، والحرص على الخير»^(١). ونعم ما أجاب به سيّد الوصيّن عليّ عليه السلام حيث وصفهم بقوله: «غرسوا أشجار ذنوبهم نصب أعينهم، وقلوبهم وسقوها بمياه الندم، فأثمرت لهم السلامة وأعقبتهم الرضا والكرامة»^(٢) وبيّان آخر لأمير المؤمنين عليه السلام عن دعائم التوبة: «التوبة على دعائم أربع : ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وعمل بالجوارح، وعزم أن لا يعود»^(٣) وقد جسدت جميعها في سلوك أئمة أهل البيت عليه السلام كأوضح مصداق للتائب بالمعنى المشار إليه (في الفقرة الخامسة)، أي محاولة تسنم أعلى المقامات التشريعية .

أنواع التوبة :

- ١ - المقابلة بالمثل للعمل السيء بالعمل الصالح؛ لقول الرسول الأكرم ﷺ: «أحدث لكل ذنب توبة: السرّ بالسرّ والعلانية بالعلانية»^(٤).
- ٢ - النصوح : لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾^(٥) حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة: «ندم بالقلب، واستغفار باللسان، والقصد على أن لا يعود»^(٦) وهي أرفع درجات التوبة وأخلصها؛ ذلك لأن التوبة النصوح تعني (أنها صادقة، كأنها صحيحة،

(١) تحف العقول : ٢٠ .

(٢) بحار الانوار : ٧٨ .

(٣) ميزان الحكمة ج ١ / التوبة

(٤) ميزان الحكمة ج ٣ / الذنب .

(٥) التحريم : ٨ .

(٦) ميزان الحكمة ج ١ / التوبة .

ليس فيها خرق ولا ثلثة^(١) ولأن معنى (النصح) هو تحري الفعل والإخلاص فيه، بمعنى أن من نصحت له الودّ فقد أخلصته، وعلى كلا المعنيين فإنها - أي التوبة النصوح - تصرف صاحبها عن العود إلى المعصية، ولذا فإن مثل هذه التوبة - على ما أكّده علماء الإمامية - مسقطة العذاب لأن العقل يرى أن عقاب المعتذر بعد توبته وإعتذاره قبيح، علاوة على أن المغفرة للتائب حقاً وصدقاً وعد من الله تعالى، والوفاء بالوعد واجب لقوله تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾^(٢) ولكن ليس معنى الوجوب هنا الوجوب التكليفي، وإنما لأنه تعالى سمى نفسه المقدّسة بالغفور: ﴿إِنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) وهذا لا يعارض ما جاء في الفقرة (٣) لأن التشريع ببقاء العقاب المترتب على الذنب باقٍ، غاية أن لطف الله تعالى ورحمته اقتضت الغفران.

والتوبة على ما ذكره المتكلمون أما من قبيح فعل أو من إخلال في واجب، والأول لازمه الندم والعزم على عدم العود، والثاني يجب عليه بالإضافة إلى الندم العزم على إعادة الواجب.

كما أن التوبة إما أن تتعلق (بحقوق الآدميين) أو (بحق الله تعالى) والثاني يسقطه المولى الغفور بواسع رحمته، وأما الأول فلا بد من استيهاهم إذا تيقن أن في ذلك مفسدة فيكتفى بالاستغفار.

ومما يدل على تلازم المغفرة مع التوبة قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ما كان الله ليفتح لعبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة»^(٤) وفي هذا حث أكيد على الإسراع في التوبة.

(١) المنجد في اللغة: ٨١٢.

(٢) المزمّل: ١٨.

(٣) الحجر: ٤٩.

(٤) ميزان الحكمة ج ١ / التوبة.

آثار التوبة :

إذا كان من السنن أن الدعوة إلى المعاصي من مقتضيات النفس الأمّارة بالسوء؛ فإنّ منها أن الدعوة إلى الرجوع إلى الحق من مقتضيات الفطرة ، بل قد يكون إحساس الفطرة بقبح الذنب - مهما صغر - لأنه في واقعه تمرد على داعي الفطرة «الحق سبحانه» ! وأي قبح أفضع من الخروج على المنعم الأوحّد بل على جبار السموات والأرض !

ومن هذا الإحساس العميق بقبح الذنب؛ فقد صنعت (التوبة) العديد من عظماء التاريخ، إبتداءً بأول أولي العزم من الرسل (آدم عليه السلام) ومروراً بالعديد من الأنبياء والمرسلين، وختاماً بالصالحين الذين صنعت منهم التوبة أولياء لله، بل حُججاً على عباده !! كالحرّ الرياحي وبشر الحافي وأصحاب الخورنق وكثيرين غيرهم .

ولذا فنحنُ مدعون إلى تلمس طريق التوبة، وطرق بابها طرقاً ملحاً، خصوصاً وأن قوى الشرّ قد تكالبت علينا واشتدت بنا الفتن وتظاهرت علينا الأهواء فساطتنا سوط القدر حتى غداً أعلننا أسفلنا وأسفلنا أعلننا .. وبعد أن أصبحنا نواجه تحدياً واضحاً، وعداءً فاضحاً؛ تداعت له كل قوى الشرّ ... وبعد أن بلغ بنا من قلّة العدد وتظاهر الزمان مايدعونا إلى الرجوع إلى المعين الحق، رجوعاً صادقاً لا خرق فيه، معرضين عن استجداء أسباب النصر من أرباب الباطل. ﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴾^(١).



قصيدة : سفينة النجاة

✽ الدكتوراة تهافت بهضر علي
(هولندا)

أحجى ومنه يفيض الحلم والكرم
مازلت أقصده تهدي لي النعم
بل كان يبعثها من مثله شهم
ذا سيدي أكرم السادات كلهم
ما كان أبطاني بينا هو العظم
سواه طه هو المبني وذا علم
فأين ساداتكم يا عرب يا عجم؟
لكن نبوته طه هي الختم
من أعظم الأنبياء الرسل كلهم؟
هو العظيم وليست بعده عظم
تعلو الوزارة حق فهو أم وهم؟
رغما على سطحه قد شيد العلم!!
والكون والملا الأعلى له خدم

رُحنا نباهي عن السادات أيهم
فقال أولنا لي سيّد ورع
فرده آخر ما كنت أقصده
فقلت يقصدني سبقا ويذكرني
هو الملبّي لي الحاجات أسرعها
قلت الذي في الوري لا شيء يُعظمه
فسيدي المرتضى الكرار حيدرة
قالوا عليّ وهذا القول كان به
هل من يجيب إذن إني اسألكم
قالوا ومن غيره المختار يغلبهم
قلت الرئاسة بالأوزان مرتبة
هذا وزير من استغلت إلى قمر
هذا وزير لمن جبريل خادمه

إِنَّ الَّذِي قَدْ دَنَا مِنْ رَبِّهِ نُزُلًا
هَذَا وَزِيرٌ لِمَنْ مِنْ خَلَقْتَ
هَذَا وَزِيرٌ مِنَ الْأَشْعَارِ مَا بَلَغَتْ
فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي
فَذَلِكَ مِنْ سَحْبِ الْعُلِيَاءِ مُورَدِهِ
الزَّمْ مَكَانَكَ مَا إِنَّ صُرْتَ بَيْنَهُمَا
وَارْكَبَ سَفِينَةَ آلِ الْمُصْطَفَى سِرْعًا
وَاصْحَبْهُمْ إِنَّمَا الْأَيَّامُ فِي سَفَرٍ
وَالْأَنْبِيَاءُ كَأَنْ مَا كَانَ آلَهُمْ
أَمَّا وَخَامِسَ أُولَى الْعِزْمِ اعْظَمِهِمْ
وَسَيِّدَ الْكُفُونِ فَالزَّهْرَاءُ ابْنَتُهُ
وَصَخْرَةٌ فِي رُبَى الْبَحْرَيْنِ لَوْ نَطَقَتْ
وَالْأَنْبِيَاءُ مِنَ الرَّحْمَنِ مَطْلَبُهَا
أَبُو النَّبُوءَةِ قَدْ آسَى عَلَى وَلَدٍ
فَسَيْنٌ بِضَعْتَهُ وَالضَّلَعُ مُهْتَشِمٌ
حَتَّى كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَاسَمَهُمْ
بِآلِهِ بِأَهْلِ الْمَخْتَارِ مَرْتَبَةً
يَا «هَلْ أَتَى» حَدَّثَنِي «الْإِنْسَانُ» مَنْزِلَةً
وَالْيَتِيمُ فَسَوَاهُ لَمْ تَوَالَهُمْ
إِنَّمَا طَرِيقَ جَنَّاتِ الْخُلْدِ تَسْلُكُهُ
وَحَبِيبُهُمْ لَيْسَ يُجْدِي دُونَمَا عَمَلٍ
فَالصَّقِ النَّاسَ بِالسَّادَاتِ خَادِمِهِمْ
شَفَاعَةُ الْمُصْطَفَى إِنِّي لَطَالِبُهَا

وزيره حيدر.. تدرّون يا أمم؟!
هاذي السما والدنا واللوح والقلم
هيهات من شاهق ليست ترى قيم
وكلهم من رسول الله مغتم*
وذا فمن فيض ذلك الماء يستلم
فها هنا النقاء الطهر كلهم
إنَّ النجاة بها لو أنت تعصم
فاشدّ رحالك يا هذا برحلم
إلا من الأولياء الطهر من عصموا
أضحى بلا خلف أو قل شأنهم!!
في العالمين وقد سادت نساءكم
من الثقة كلهم الله.. نحتكم
من صالحين كرام قرّة لهم
لهفي على أحمد أكبادهم هضموا
وبين سُمّ وبعد الذبح سيهم
فتكأ بذريتي ها أنتم لهم!!
طوبى فنفس رسول الله أنفسهم
لآل طه وعبر «الدهر» ترتسم
اختر لنفسك ما لو شئت تختّم
أو وإنه لا محال التيه والندم
إذن لبشّرت نفسي سهمك النعم
إنني أنا الحائر الأشقى بحبهم
بهم رضى إلهي فارضني لهم

(*) مسئلة من بردة المديح للبوصيري، اصل الأبيات :

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقِي وَفِي خُلُقِي
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَلْتَمِسٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
غَرَقًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشَقًا مِنَ الدَّيَمِ

حرب تكسير عظام بين أميركا والمركات الإسلامية

✽ قطب العربي (مصر)

● معركة بوش التالية ضد تنظيمات إسلامية لا ضد حكومات
حسمت الولايات المتحدة الأميركية معركتها العسكرية مع
نظام طالبان في أفغانستان رغم استمرار وجود بعض جيوب
المقاومة، لكن المؤكد أيضاً أن أميركا لم تحسم بعد معركتها الرئيسية
مع ما تسميه بالإرهاب الدولي، وهي المعركة التي يعترف المسؤولون
الأميركيون أنها قد تستغرق عدة سنوات؛ لأنها معركة مختلفة تماماً عما
سبق من معارك تقليدية.

ورغم أن الإدارة الأميركية تشعر بالزهو بعد انتصارها في موقعة
طالبان، وهو ما دفعها للإعلان عن أهداف جديدة لحملتها قد تشمل دولاً،
مثل: العراق، والصومال، واليمن، وربما منظمات مثل الحركات

الإسلامية في فلسطين، والصومال، والبلقان، إلا أنها تشعر بمزيد من القلق من احتمالات تكرار أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث لا تزال التهديدات قائمة وهو ما يدفعها للسعي لتجفيف الينابيع الدينية الإسلامية، بدءاً من المدارس الدينية، وانتهاء بفرض قيود مشددة - داخلها وعبر حكومات العالم - على التبرعات والجمعيات الخيرية .

الحرب النظامية وغير التقليدية

ومن الواضح أن الإدارة الأميركية تخوض حربها ضد الإرهاب على مستويين :

المستوى الأول هو مستوى الحكومات المتهمه بدعم الإرهاب أو إيواء إرهابيين .

والمستوى الثاني هو مستوى الجماعات المتهمه بالإرهاب، وهذه الجماعات والجمعيات كثيرة ومتنوعة تمتد من أقصى درجات التشدد إلى أقصى درجات الاعتدال، ومن الواضح أن الحرب الأميركية ضد الإرهاب لن تفرق كثيراً بين متطرف ومعتدل، ذلك أنهاترى أن (المعتدلين) هم المعين الذي يستمد منه (المتطرفون) قوتهم، كما أن العقلية الأميركية تتعامل مع جميع الحركات والجمعيات الإسلامية، باعتبارها جميعاً حركات وجمعيات أصولية معادية للغرب والأميركان ولرببيتهم في المنطقة إسرائيل، وبالتالي يتوجب من وجهة النظر الأميركية القضاء على كل هذه المجموعات .

وقد عبر المحلل السياسي الأميركي الشهير توماس فريدمان عن هذه الرؤية في مقاله المنشور في نيويورك تايمز ٢٧ / ١١ / ٢٠٠١م، حيث قال بالنص: (إذا كان تاريخ ٩ / ١١ في الحقيقة بداية الحرب العالمية الثالثة؛

فعلينا أن نفهم ما تقصده هذه الحرب.. علينا ألا نكافح لاستئصال (الإرهاب).. الإرهاب فقط أداة.. نحن نحارب لهزيمة الأيديولوجيا: التدين الديكتاتوري. والحرب العالمية الثانية والحرب الباردة كانتا صراعا لهزيمة الحزب العلماني المتطرف - النازية والشيوعية - أما الحرب العالمية الثالثة (الحالية) فهي معركة ضد الحزب الديني المتطرف الذي يفرض على العالم سلطة إيمانية تنفي الآخرين.. لكنها على خلاف النازية، فحكم الحزب الديني لا يمكن أن يقاتل بالجيوش وحدها، بل يجب أن يقاتل في المدارس، والمساجد، والكنائس، والمعابد، ولا يمكن أن يهزم بدون مساعدة الأئمة والأخبار والكهنة!!

وتصديقا وتنفيذاً لهذه الرؤية نقلت صحيفة (نيويورك تايمز) الأميركية في عددها الصادر السبت ١ - ١٢ - ٢٠٠١م عن مسؤولين بالحكومة الأميركية قولهم: إن إدارة الرئيس (جورج بوش) ترغب في منح الـ (اف. بي، آي) سلطات تمكنه من إرسال عملاء لمراقبة الأشخاص الذين يتجمعون في المساجد أو الكنائس دون سبب محدد، أو ثبت أنهم تورطوا في عمل خارج القانون، وبالطبع ستتركز الملاحقة على رواد المساجد بشكل أساسي .

الجمعيات الدعوية والإغاثية هدفاً

ومن خلال تطورات الأحداث في الفترة الماضية التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والهجمات الأميركية على أفغانستان بدا واضحاً أن الحرب الأميركية لم تقتصر فقط على تنظيم القاعدة، بل تعدت ذلك إلى غيره من الجماعات التي قررت السلطات الأميركية وضع العديد منها ضمن قوائم الإرهاب، وقامت بتجميد أو مصادرة أموالها في

المصارف الأميركية، وأصبحت الجمعيات الدعوية والإغاثية البعيدة عن السياسة تشعر بالخوف والقلق على أنشطتها وكما يقول توفيق الشريف مدير المجلس العالمي للدعوة والإغاثة - الذي يضم سبعين منظمة وجمعية دعوية وإغاثية - فإن بعض المنظمات الإسلامية في أميركا وأوروبا تعرضت لاعتداءات مباشرة، وبعض رؤساء المنظمات تم استجوابهم فعلاً، كما أن العديد من الحكومات في الغرب والشرق وضعت قيوداً على العمل الخيري إلى أن تثبت براءته، وقررت بعض الدول العربية تقليص المساعدات الخارجية وتوجيهها توجيهها سياسياً.

وبالطبع لا ننسى تضيق أميركا على بعض هذه الجمعيات بشكل مباشر، مثل منظمة الأرض المقدسة التي تقدم معونات للفلسطينيين بدعوى أنها قدمت معونات لأسر خرج منها استشهاديون!

وفي رأي الباحث السياسي ضياء رشوان الخبير في شؤون الحركات الإسلامية بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالقاهرة؛ فإن الجمعيات الخيرية والإغاثية ستكون هدفاً للحملة الأميركية، لأن هدف الحملة هو تكسير عظام الحركة الإسلامية، وهي أي الإدارة الأميركية تعتبر هذه الجمعيات عصب الحركة الإسلامية. وقد أثارت حولها قدراً كبيراً من اللغط وربطت بينها وبين الإرهاب. كما أن الحملة الأميركية ستعمل على توسيع دائرة الاشتباه بحيث يشعر كل الإسلاميين أنهم متهمون بمن فيهم المواطنون العاديون الذين يقدمون بعض التبرعات لهذه الجمعيات، وهذا من الناحية السيكولوجية يفكك التعاطف مع الحركة الإسلامية.

ويضيف خبير شؤون الحركات الإسلامية أن الولايات المتحدة

الأميركية ترى أن هذه هي اللحظة المناسبة لإضعاف كل مكونات الحركة الإسلامية في العالم .

الحرب على الجمعيات السياسية الإسلامية

وإذا كانت الحملة الأميركية ستطال أو هي طالت بالفعل الجمعيات والمنظمات الخيرية والإغاثية فإن الجماعات الإسلامية السياسية الراديكالية وحتى المعتدلة ستكون من باب أولى هدفاً مباشراً، كما ستعتبر فرصة لحكومات الدول لتصفية الحسابات مع بعض هذه المنظمات .

ولم تسلم جماعة الإخوان المسلمين التي تتبنى فكراً معتدلاً، وتنبذ العنف والإرهاب من هذه الحملة. حيث ذكرت صحيفة الأسبوع المصرية المستقلة والمقربة من أجهزة الأمن المصرية في شهر ديسمبر ٢٠٠١م أن اللجنة الأميركية اليهودية والرابطة اليهودية العالمية طلبت من الإدارة الأميركية الضغط على مصر من أجل تسليمها قادة جماعة الإخوان المسلمين لمحاكمتهم في الولايات المتحدة الأميركية واصفة إياهم بأنهم (قوى الإرهاب الحقيقية في الشرق الأوسط). وقالت الصحيفة: إن التقارير التي حصلت عليها اعتبرت أن القضاء على منابت الإرهاب الأصلية يتطلب قيام الحكومة المصرية بتسليم العناصر القيادية في الإخوان المسلمين إلى الولايات المتحدة، وأن يتم إخضاعهم للاستجواب لمعرفة التفاصيل المعقدة والخطوط المتشابكة في التشكيلات الإرهابية، وشددت التقارير على ضرورة تتبع نشاط الإخوان المسلمين في كل الدول العربية، والذي تمتد فروعه إلى العديد من الدول الآسيوية والأوروبية، وزعمت التقارير اليهودية أن الحكومة

المصرية وإن كانت تقوم بين الحين والآخر بالقبض على عناصر من الإخوان وتحاكمهم، إلا أن القيادات الرئيسية للتنظيم لا تزال طليقة، وأن البنية التنظيمية للإخوان في مصر تزيد على عشرات الآلاف من الأشخاص، وأن القضاء على الإرهاب يتطلب البدء فعليا في تصفية عناصر هذا التنظيم، وأن جماعات الضغط الصهيونية تعقد اجتماعات مكثفة مع لجان الكونجرس للضغط على مصر ودفعها لتسليم قيادات وعناصر الإخوان وتروج لوضع مصر على قائمة الدول الراعية للإرهاب في حال رفضها الاستجابة لهذا الطلب .

وعلى الرغم من أن هذه الضغوط لا تزال بعد في بدايتها وعلى الرغم من أن السفير الأميركي بالقاهرة (ولش) صرح بأن إدارته لم تطلب من مصر تسليمها أي شخص إلا أن الخبرة العملية تؤكد أن تلك الجماعات الصهيونية تسعى لفرض مطالبها على الإدارة الأميركية المتعاطفة بطبيعتها مع أي مطالب صهيونية، ولعل أحدث الأدلة على ذلك ما حدث عقب تفجيرات القدس الأخيرة في مستهل شهر ديسمبر ٢٠٠١م من مdahمة ومصادرة أموال بعض الجمعيات الإسلامية الأميركية بحجة دعمها لحركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية حماس .

ويرى بعض المحللين والمتابعين أن مثل هذه الضغوط ربما دفعت الحكومة المصرية للتشدد مؤخراً مع الإخوان المسلمين لتفويت الفرصة على اللوبي الصهيوني، حيث قامت بالقبض على اثنين وعشرين من قيادات الجماعة وإحالتهم للمحاكمة العسكرية، وقامت النيابة العسكرية بإعادة توصيف التهم لتنسب إلى أحد عشر متهما بتهمة قيادة وإدارة تنظيم غير مشروع، وهو ما يعني تعرضهم لعقوبات حبس طويلة حسب قانون مكافحة الإرهاب في مصر (قانون العقوبات المعدل). ولم يقتصر

الأمر على جماعة الإخوان المسلمين، بل إن حزب العمل المصري وهو حزب سياسي ذو توجه إسلامي جمد نشاطه بقرار من السلطات المصرية منذ مايو ٢٠٠٠م إثر أزمة رواية (وليمة أعشاب البحر) التي أثارها صحيفة الحزب (الشعب) تلمح عناصر فيه إلى أن أزمته التي كانت في طريقها إلى الحل بعد توالي صدور أحكام قضائية لصالحه من المحاكم المصرية قد لا تجد طريقها إلى الحل في الوقت الراهن بسبب الحملة الأميركية الدولية على الإرهاب؛ حيث يتهم الحزب بأنه حزب اصولي وأنه يفسح المجال للأصوليين بممارسة النشاط السياسي الشرعي. وبالتالي فإن الحكومة المصرية قد تستشعر حرجاً دولياً إن هي قررت السماح للحزب بمعاودة نشاطه السياسي وبعودة صحيفته للصدور بما قد تحمله من هجوم على أميركا وعلى الحكومة المصرية ذاتها.

الأقطار العربية تقدّم القرايين !

وما يحدث في مصر يجد له نظيراً في العديد من الأقطار العربية والإسلامية الأخرى خاصة التي تشعر بالضعف وعدم القدرة أو عدم الرغبة في مواجهة أميركا.

ففي الكويت فرضت الحكومة قيوداً كبيرة على الجمعيات الخيرية التي تمول أنشطة خيرية خارج الكويت، وفي اليمن أعلن رئيسها علي عبد الله صالح عقب زيارته لواشنطن نهاية نوفمبر ٢٠٠١م أن بلاده تتعاون مع الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب، وأن السلطات الأمنية اليمنية تقوم حالياً بتتبع بعض العناصر المتهمه بالإرهاب .

وفي الأردن أصدرت الحكومة - في غياب البرلمان - قانونين

(مؤقتين) اعتبراً من القوانين المقيدة للحريات. حيث يفرض القانون الأول قيوداً على تنظيم الاجتماعات العامة والتظاهرات في الأردن، في حين أن القانون الثاني المتعلق بمحاكم أمن الدولة يعطي لرئيس الوزراء سلطة إحالة ما يراه من القضايا إلى هذه المحاكم ذات الطابع العسكري. أما في لبنان التي تقف حتى الآن موقفاً صلباً في مواجهة المطالب الأميركية بضرب حزب الله فقد تعهدت الحكومة اللبنانية بتطبيق الاتفاقية الدولية الخاصة بوقف تمويل الإرهاب، والتي تبنتها الأمم المتحدة في العام ١٩٩٩م، وتعهد لبنان بتطبيق هذه الاتفاقية الدولية (١٣٧٣) التي تقضي بتجميد أموال منظمات وأفراد إرهابيين، وإنما في إطار احترام مبادئه الوطنية وخصوصاً التمييز بين المنظمات الإرهابية وحركات المقاومة، كما أضاف البيان الذي نشرته رئاسة الجمهورية اللبنانية. وهكذا أعلنت بيروت بوضوح أنها تلتزم بقرارات الأمم المتحدة وخصوصاً رفع السرية المصرفية التي تشكل أحد المبادئ المقدسة في اقتصاد لبنان، في حين قالت: إنها ليست على استعداد للالتزام بطلب الولايات المتحدة الأميركية الصادر بعد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، والقاضي بتجميد أموال حزب الله اللبناني الذي تعتبره واشنطن منظمة إرهابية.

وإلى جانب عدم القدرة أو عدم الرغبة في مواجهة أميركا فقد أعطت الحملة الأميركية لمقاومة الإرهاب العديد من الأنظمة العربية والإسلامية الفرصة لتصفية خصومها السياسيين.

لكن الخبير في شؤون الحركات الإسلامية ضياء رشوان يرى أن توسيع أميركا لحملة على الإرهاب لدرجة قد لا تستطيع بعض الأنظمة تحملها سيدفع إلى تقارب بين مجمل الجماعات الإسلامية وبعض

الأنظمة السياسية العربية والإسلامية: ذلك أن الحملة الأميركية لن تتوقف عند حدود مواجهة الجماعات الإسلامية. ولكنها تتعدى ذلك إلى النيل من القضايا العربية والإسلامية الكبرى، فلو قامت أميركا بضرب العراق أو حماس أو حزب الله فإن ذلك سيقرب كثيراً من موقف الجماعات والحكومات، ويستشهد رشوان على كلامه بالتصريح الذي أصدره المرشد العام للإخوان المسلمين دعماً لموقف الرئيس المبارك الراحل لضرب أفغانستان عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر

أسلحة المعركة

في هذه المعركة الصعبة أو حرب تكسير العظام بين أميركا والحركات الإسلامية تتعدد الأسلحة وخطط المواجهة: فإضافة إلى العمل العسكري المباشر الذي قامت به أميركا في أفغانستان وتعزم القيام به ضد أقطار أخرى، فقد اتخذت الإدارة الأميركية العديد من الإجراءات الأخرى. منها ملاحقة العديد من الجمعيات والمنظمات الإسلامية داخل أميركا وخارجها، ومصادرة أموال هذه المنظمات أو تجميدها، ووضعها على لائحة الإرهاب، وسن تشريعات جديدة لمواجهتها مثل إنشاء محاكم عسكرية لمحاكمة المتهمين أو المشتبه في قيامهم بأعمال إرهابية من غير الأميركيين، ورغم معارضة كثير من النواب في الكونجرس وجماعات حقوق الإنسان لهذه القيود على الحريات العامة، فقد أظهر استطلاع للرأي العام الأميركي أن معظم المواطنين في الولايات المتحدة يؤيدون هذه القيود، وأوضح الاستطلاع الذي أجرته مجلة «نيوزويك» أن أكثر من ٧٠ في المائة ممن شملهم الاستطلاع يقولون: إن القيود المفروضة أو المقرر فرضها لم تتجاوز الحدود. كما

قال ٣٣ في المائة: إنهم يؤيدون بشدة اعتقال المهاجرين على نحو قانوني إلى أجل غير مسمى، باعتبار ذلك وسيلة لمحاربة الإرهاب .
وأبدى أكثر من ثلثي من شملهم الاستطلاع موافقتهم على خطط الرئيس بوش لمحاكمة غير الأميركيين المتهمين بالإرهاب أمام محاكم عسكرية، كما يعتقد ٥٥ ٪ أنه ينبغي أن تكون لتلك المحاكم شكلاً من أشكال العلاقات الدولية ويقول مسؤولو الحقوق المدنية بمجلس العلاقات الإسلامية الأميركية (كير): إن الكارثة الحالية قد تطال حوالي عشرة آلاف أسرة مسلمة مقيمة في الولايات المتحدة، وأن الغالبية العظمى من هذه الأسر متروكة بدون أي حماية أو مساعدة قانونية، مشيرين إلى قرار وزارة العدل الأميركية في الثالث عشر من نوفمبر باستجواب أكثر من خمسة آلاف شخص (غالبية من المسلمين) بخصوص الأحداث الأخيرة، إضافة إلى احتجاز السلطات الفيدرالية لأكثر من ١٠٠٠ شخص على ذمة التحقيقات منذ الحادي عشر من سبتمبر حتى الآن، وترفض إعطاء أي معلومات عنهم، كما لا تسمح لمحاميتهم أو لأسرهم بزيارتهم .

كما أن الرئيس الأميركي جورج بوش وقّع يوم ٢٦ - ١٠ - ٢٠٠١ قانون (مكافحة الإرهاب) الأميركي الذي يضمن إعطاء العملاء الفيدراليين صلاحيات تسجيل المكالمات التليفونية لأي مشتبه فيه في أي مكان في الولايات المتحدة، وإطلاع وكالات الاستخبارات على المعلومات السرية التي تتوفر لدى هيئة المحلفين العليا. كما يسمح القانون الجديد لعملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي بإجراء عمليات تفتيش سرية لمكتب أو منزل أيّ مشتبه به دون إخطار صاحب العقار، وإضافة إلى احتجاز آلاف الأشخاص واستجوابهم ومصادرة الأموال والممتلكات والمحاكمات

العسكرية فإن الولايات المتحدة عمدت إلى توقيع اتفاقات قضائية وقانونية مع بعض الدول للتعاون في مجال مكافحة الإرهاب، ومثال ذلك اتفاقية التعاون القانوني والقضائي مع مصر التي وقعها وزير الخارجية المصري أحمد ماهر مع نظيره الأميركي أثناء زيارته لواشنطن نهاية نوفمبر، وتنص في أحد بنودها على التعاون في تحديد أماكن الأشخاص المطلوبين للاستجواب وتبادل الأدلة وطلبات التفتيش والتعاون في مجال المعلومات والاستماع إلى الأقوال والاطلاع على المستندات والسجلات .

وقد وصف الدكتور عاطف البنا أستاذ القانون بجامعة القاهرة هذه الاتفاقية بأنها تخل بسيادة الدولة وحقها في حماية مواطنيها، حيث ستسمح للولايات المتحدة باعتقال أشخاص مصريين لمجرد الاشتباه، وأن الاتفاقية سترفع عن المواطن المصري غطاء الحماية القانونية، وتجعله عرضة للملاحقة من جانب السلطات الأميركية، والتي ربما تطال معارضي سياسة واشنطن من أصحاب الرأي والفكر .

انتشار عدوى القمع

كذلك انتشرت عدوى القوانين القمعية من الولايات المتحدة إلى عواصم أوروبية أخرى، حيث أعدت الحكومة البريطانية قانوناً جديداً لمكافحة الإرهاب ينص على اعتقال الأجانب المشتبه في ممارستهم أنشطة إرهابية خارج بريطانيا بلا محاكمة. ورغم أن اللوردات ومعظم من المحافظين رفضوا مشروع القانون بأغلبية ١٤٩ صوتاً مقابل ١٣٩ أي بأغلبية عشرة أصوات فقط، إلا أن تأييد مجلس العموم للقانون أثار

أزمة.

كما يعتزم الاتحاد الأوروبي إصدار قانون مماثل، وفي الوقت الذي تنجح فيه الضغوط الأميركية في دفع الأمم المتحدة إلى إقرار اتفاقية دولية لمحاربة الإرهاب وفقاً للمفهوم الأميركي وفي مواجهة الأسلحة الأميركية والغربية المتعددة.

تعتمد الحركات الإسلامية على العديد من عناصر القوة التي يأتي في مقدمتها العقيدة الجهادية الاستشهادية، وكذلك الغطاء الشعبي الواسع الذي تتمتع به وتتذرع به عند اللزوم، وقوة المنطق التي تستطيع بها أن توحد الشعوب الإسلامية خلفها في مواجهة الغطرسة الأميركية الإسرائيلية وعدوانهما المتواصل على الحقوق الإسلامية، وهو ما يعني أن تتحول المعركة إلى معركة مع كل الشعوب الإسلامية في حالة إذا قررت واشنطن دخول عش الدبابير، وتوسيع نطاق المعركة ضد الحركات الإسلامية كما تمتلك هذه الحركات الإسلامية إمكانيات المناورة والانتقال من مكان إلى مكان، ونقل المعركة من مكان إلى مكان، بل في عدة أماكن في توقيت واحد، وهو أمر يصعب مهمة الدولة العظمى.

معركة بوش التالية قد تتحول إذا إلى حرب ضد تنظيمات دينية إسلامية وليس حكومات، بما يسمح بحشد تأييد الأنظمة العربية والإسلامية - المناهضة لهذه الحركات - لهذه الحرب، ولكن يبدو أن البدء بالحركات الإسلامية الفلسطينية - كما يبدو من السياق العام للأحداث - قد يفجر لغماً في وجه أميركا، خصوصاً أن هناك فارقاً واضحاً في العالم العربي والإسلامي بين هذه الحركات النضالية وبين ما تسمى إرهابية.

كتاب المراجعات

طبعة جديدة محققة ومنقحة

✽ اعداد: لجنة التحقيق العلمي في المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

قصة كتاب المراجعات (١):

لكتاب المراجعات قصة ذكرها المؤلف عليه السلام في أكثر من موضع،
ففي مقدمة المراجعات كتب يقول:
هذه صحف لم تكتب اليوم، وفكر لم تولد حديثاً، وإنما هي صحف
انتظمت منذ زمنٍ يربو على ربع قرن، وكادت يومئذٍ أن تبرز بروزها
اليوم، لكنّ الحوادث والكوارث كانت حواجز قويّة عرقلت خطاها.
أما فكرة الكتاب فقد سبقت مراجعاته سبقاً بعيداً، إذ كانت تلتهم في
صدري منذ شرح الشباب، التماع البرق في طيّات السحاب، وتغلي في
دمي غليان الغيرة، تتطلّع الى سبيل سويّ يوقف المسلمين على حدّ يقطع
دابر الشغب بينهم.

(١) مستل من كتاب تشييد المراجعات للسيد علي الحسيني الميلاني ١٢: ١ - ٣٣ بتصرف محدود.

ضقت ذرعاً بهذا ، وامتلأت بحمله همّاً ، فهبطت مصر أو آخر سنة (١٣٢٩ هـ) مؤثلاً في «نيله» نيل الأمنية التي أنشدها ، وكنت ألهمت أني موفق لبعض ما أريد .

وهناك - على نعمى الحال ، ورخاء البال ، وابتهاج النفس - جمعني الحظّ السعيد بعلم من أعلامها المبرزين ، بعقل واسع ، وخلق وادع ، وفؤاد حيّ ، و علم عليم ، ومنزل رفيع ، يتبوّؤه بزعامته الدينية ، بحقّ وأهليّة ... فكان ممّا اتّفقنا عليه ... أن أعظم خلافٍ وقع بين الأمة : اختلافهم في الإمامة ... ولو أنّ كلّاً من الطائفتين نظرت في بيّنات الأخرى - نظر المتفاهم لانظر الساخط المخاصم - لحصّص الحقّ وظهر الصبح لذي عينين .

وقد فرضنا على أنفسنا أن نعالج هذه المسألة بالنظر في أدلّة الطائفتين ، فنفهمها فهماً صحيحاً ، من حيث لانشس إحساسنا المجلوب من المحيط والعادة والتقليد ، بل نتعرّى من كل ما يحوطننا من العواطف والعصبانيّات ، ونقصد الحقيقة من طريقها المجمع على صحته ، فنلمسها لمساً ، فلعلّ ذلك يلفت أذهان المسلمين ، ويبعث الطمأنينة في نفوسهم بما يتحرّر ويتقرّر عندنا من الحقّ ، فيكون حدّاً ينتهى إليه إن شاء الله تعالى .

لذلك قرّرنا أن يتقدم هو بالسؤال خطأ ممّا يريد ، فأقدّم له الجواب بخطي ، على الشروط الصحيحة ، مؤيِّداً بالعقل أو بالنقل الصحيح عند الفريقين .

وجرت بتوفيق الله عزّ وجلّ على هذا مراجعاتنا كلّها ، وكنت أردنا يومئذٍ طبعها لنتمتع بنتيجة عملنا الخالص لوجه الله عزّ وجلّ ، لكنّ الأيام الجائرة ، والأقدار الغالبة اجتاحت العزم على ذلك ، ولعلّ الذي أبطأ عني

هو خير لي .

وأنا لا أدعي أن هذه الصحف تقتصر على النصوص التي تألفت يومئذ بيننا ، ولا أن شيئاً من ألفاظ هذه المراجعات خطّه غير قلّمي ، فإنّ الحوادث التي أخّرت طبعها فرّقت وضعها أيضاً كما قلنا .

غير أن المحاكمات في المسائل التي جرت بيننا موجودة بين هاتين الدفتين بحذافيرها ، مع زيادات اقتضتها الحال ، ودعا إليها النصح والإرشاد ، وربما جرّ إليها السياق على نحو لا يخلّ بما كان بيننا من الاتفاق .

وفي كتابه «بغية الراغبين» ذكر كتاب المراجعات وكتب عنه يقول :
كنت أحبّ - فيما أحبّ - أن أزور مصر وأقف على أعلامها لأخذ العلم عنهم ، ولأبْلُو ما يبلغني عن الجامع الأزهر ذلك المعهد الجليل . وظلّت هذه الأمنية كامنةً في نفسي حتى حفّزها خالي المرحوم السيد محمد حسين في أواخر سنة (١٣٢٩ هـ) ، حين زارنا في عاملة .

وقد بدأت هذه الجولة بالحضور في دورة الشيخ سليم البشري المالكي - شيخ الأزهر يومذاك - وكان يشرف على طلابه من منبره وهو منطلق في درسه انطلاقةً يلحظ فيه توفّره وضلّاعته فيما هو فيه . وكان يلقي درساً في مسند الإمام الشافعي ... حضرت درسه لأول مرّة ... وعرض لي أثناء الدرس ما يوجب المناقشة فناقشته ، ثم علمت بعدئذ أن المناقشة وقت المحاضرة ليست من الدراسة الأزهرية ، فكنت بعدها أفضي إليه بعد الدرس بما عندي من المسائل الجديدة بالبحث والمذاكرة .

وقد كانت مناقشتي الأولى - في كلّ حال - سبباً في اتّصال المودّة بيني وبينه ، وسبيلاً إلى الاحترام المتبادل ، ثم طالّت الاجتماعات بيننا ،

وتشاجنت الأحاديث وتشعب البحث بما سجلناه في كتابنا «المراجعات». ولو لم يكن من آثار هذه الزيارة إلا هذا الكتاب لكانت جديرة بأن تكون خالدة الأثر في حياتي على الأقل.

ولعل الكتاب يصور بعض الأجواء العلمية التي تغياها يومئذٍ منطلقين في آفاقها، منطلقين من القيود الكثيرة التي كانت توثق الأفكار آنذاك بمرجعيات يضيق صدرها حتى بالمناقشة البريئة والتفكير الصحيح.

ومهما يكن من أمرٍ، فقد نعمنا بمصر في خدمة هذا الشيخ، واتصلنا بغيره من أعلام مصر المبرزين، إن زارونا وزرناهم، أخص منهم العلامتين: الشيخ محمد السملوطي والشيخ محمد بخيت، وقد نجمت هذه الاجتماعات الكريمة عن فوائد جمّة ...

وعلى كل حالٍ، فقد غادرت مصر وأنا أحن إليها، وأتريد من اللبث فيها، ولم أغادرها قبل أن يتحفني أعلامها الثلاثة - البشري وبخيت والسملوطي - بإجازات مفصلة عامّة عن مشايخهم أجمع، بطرقهم كلّها المتصلة بجميع أرباب الكتب والمصنّفات من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، في جميع العلوم، عقلية ونقلية، ولا سيّما الصحاح الستة وموطأ مالك ومسنّد أحمد ومستدرک الحاكم، وسائر المسانيد، وكتب التفسير والكلام والفقه، وبقية العلوم الإسلامية مطلقاً.

وممن نعمنا بخدمته في مصر، وتبادلنا معه الزيارات، وكانت بيننا وبينه محاضرات ومناظرات، في مسائل فقهية وأصولية وكلامية، دلّت على غزارة فضله ورسوخ قدمه في العلم والفضيلة «شيخنا الشيخ محمد عبدالحی بن الشيخ عبدالکريم الکتانی - الادريسي الفاسي». وقد أجازني أيضاً إجازة عامّة وسّعت طريقي في الرواية والحديث.

واطّردت المراسلة بعد العودة الى البلاد بيني وبين شيخنا البشري زمناً، ثم طغت عليها الشواغل وكوارث الحرب العالمية الأولى^(١). وكان رجوعنا من مصر في جمادى الأولى سنة (١٣٣٠ هـ)^(٢). وقال شارحاً قصّة «المراجعات» حين ذكر مؤلفاته :

كتاب «المراجعات» ، أو المناظرات الأزهرية والمباحثات المصرية . مجلّد واحد ، يثبّت رأي الإمامية في الإمامة والخلافة بعد رسول الله ﷺ أُلْفناه في مصر ، إذ أتيناها سنة (١٣٢٩ هـ) فجمعنا الحظّ السعيد بإمامها الوحيد الشيخ «سليم البشري المالكي» ، شيخ الجامع الأزهر في ذلك العهد ، حضرت درسه ، وأخذت عنه علماً جماً ، وكان عيلم علم ، وعلم حلم ، وكنت أختلف الى منزله أخلّوبه في البحث عمّا لا يسعنا البحث عنه إلّا في الخلوات ، وكان جلّ بحثنا هذا في الإمامة ، التي ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سلّ عليها ، وقد فرضنا على أنفسنا أن نمنع النظر في البحث عن أدلّتها ، متجرّدين من كل عاطفة سوى انتجاع الحقيقة والوصول إليه من طريقها المجمع على صحته .

وعلى هذا جرت مناظراتنا ومراجعاتنا ، وكانت خطيّة تبادلنا بها المراسلة إبراماً ونقضاً ، فجنّته بالحجج الساطعة لا تترك خليجة ولا تدع وليجة ، فقابلها بالذود عن حياضها لا يألُو في ذلك جهداً ولا يدّخر وسعاً . لكنّ الله عزّ وجلّ بهدايته وتوفيقه يسّر لي - وله الحمد - درء كلّ شبهة ودحض كل إشكال ، حتى ظهر الصبح لذي عينين ...

وكنت أردت يومئذٍ طبع تلك المراجعات ، وهي ١١٢ مراجعة ، لكن الأقدار الغالبة أرجأت ذلك ، فلما نُكِّبنا في حوادث سنة (١٣٣٨ هـ) - ما

(١) أعلنت الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٢ هـ ، أي بعد رجوعه بستين فقط .

(٢) بغية الراغبين : ٢ : ١٩٩ .

سنفصله في محله - انتهت مع سائر مؤلفاتي يوم صبح نهياً في دورنا .
وما أن فرج الله تعالى عنا - بفضلته وكرمه - حتى استأنفت مضامينها
بجميع مباحثاتها التي دارت بيننا ، فإذا هي بحذافيرها مدونة بين دفتي
الكتاب ، مع زيادات لا تخلّ بما كان بيننا من المحاكمات ، على ما
أوضحناه في مقدمة الكتاب ، والحمد لله - باعث من في القبور - على بعث
هذا السفر النافع ونشره^(١).

وذكر السيد^{عليه السلام} أيضاً كتاب «المراجعات» في المورد الأول من كتاب
«النص والاجتهاد» فقال :

ومن أراد التفصيل فعليه بكتابنا «المراجعات» إذ استقصينا البحث
ثمّة عن تلك النصوص ، وعن كلّ ما هو حولها مما يقوله الفريقان في هذا
الموضوع ، تبادلنا ذلك مع شيخنا شيخ الإسلام ، ومرّبّي العلماء الأعلام
الشيخ «سليم البشري المالكي» ، شيخ الجامع الأزهر يومئذٍ ، رحمه الله
تعالى ، أيام كنا في خدمته ، وكان إذ ذاك شيخ الأزهر ، فعنّي بي عنايته
بحملة العلم عنه ، وجرت بيننا وبينه حول الخلافة عن رسول الله ﷺ
ونصوصها مناظرات ومراجعات خطيّة ، بذلنا الواسع فيها إيغالاً في
البحث والتمحيص ، وإمعاناً فيما يوجب الإنصاف والاعتراف بالحق ،
فكانت تلك المراجعات - بيمن نقيبة الشيخ - سفيراً من أنفع أسافر الحق ،
يتجلّى فيها الهدى بأجلّ مظاهره ، والحمد لله على التوفيق . وها هي تلك
منتشرة في طول البلاد وعرضها ، تدعو الى المناظرة بصدر شرحه الله
للبحث ، وقلب واع لما يقوله الفريقان ، ورأي جميع ، ولبّ رصين ، فلا
تفوتكم أيّها الباحثون .

(١) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين ٢ : ٩٨ في ذكر مؤلفاته .

نعم، لي رجاء أنيطه بكم فلا تخيّبه، أمعنوا في أهداف النبي ﷺ ومراميه في أقواله وأفعاله، التي هي محلّ البحث بيننا وبين الجمهور، ولا تغلبنكم العاطفة على أفهامكم وعقولكم، كالذين عاملوها معاملة المجلد أو المتشابه من القول، لا يابهنون بشيء من صحتّها، ولا من صراحتها، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ... فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾^(١) أيها المسلمون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾^{(٢)(٣)}.

هذه هي القصة التاريخية للكتاب، وحقيقة المناظرة التي جرت بين السيد شرف الدين والشيخ البشري، وها هو السيد ﷺ يؤكد بأن المناظرة قد وقعت بينهما وأنه أراد: «يومئذٍ طبعها لنتمتع بنتيجة عملنا الخالص لوجه الله عز وجلّ، لكن الأيام الجائرة والأقدار الغالبة اجتاحت العزم على ذلك» ثم يصرّح بكل صدق: «أنا لا أدعي أن هذه الصحف تقتصر على النصوص التي تألفت يومئذٍ بيننا ولا أن شيئاً من ألفاظ هذه المراجعات خطه غير قلّمي، فإن الحوادث التي أحرّت طبعها فرّقت وضعها أيضاً كما قلنا» والشيء الذي يدّعيه في هذا الكتاب: إن المحاكمات في المسائل التي جرت بيننا موجودة بين هاتين الدفتين بحذافيرها مع زيادات اقتضتها الحال ودعا إليها النصّ والإرشاد وربما جرّ إليها السياق على نحو لا يخلّ بما كان بيننا من الاتفاق.

وبعد هذا الوضوح والصدق لنستمع إلى كلمات المشكّكين وأدبهم الرفيع...!! في الحديث عن الكتاب والكاتب:

(١) التكوير: ١٩-٢٦.

(٢) النجم: ٥٤.

(٣) النّص والاجتهاد (الطبعة الثانية): ٧٦.

دفع شبهات حول الكتاب :

الشبهة الأولى :

يقول قائلهم مفتتحاً ما كتبه بعد البسملة والحمدلة :

وبعد ، يعتبر كتاب «المراجعات» من أهم كتب الرافضة التي عرض فيها مؤلفه «عبدالحسين الموسوي» ، مذهبه مذهب الرفض بصورة توهم الكثير من أهل السنة بصدق ما جاء فيها ، لا سيما أولئك الذين لم يسبق لهم معرفة عقيدة الرافضة وأصولهم ، وأساليبهم الخبيثة الماكرة ، والتي تركز على الأدلة الكاذبة الموضوعية ، والتلاعب بالأدلة الصحيحة ، سواء بالزيادة فيها أو الإنقاص منها ، أو بتحميلها من المعاني ما لا تحتمله ، كل هذا يفعلونه نصرة لمذهبهم ، وتأيداً لباطلهم . وهذا ما درج عليه الموسوي في كتابه «المراجعات» .

ولما كانت هذه المراجعات لا أصل لها من الصحة ، بل هي محض كذب وافتراء ، ولما مرّ على ظهور هذا الكتاب قرابة الثلاثين عاماً^(١) ولم نجد أحداً من علماء السنة قد ردّ على هذه المراجعات المكذوبة جملةً وتفصيلاً .

ولما كان هذا الكتاب قد أثر في بسطاء المسلمين وعامتهم ، جهلاً منهم بعقيدة الرافضة وأصولهم المخالفة لأصول الإسلام الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة ، وظناً منهم بصدق هذه المراجعات ، غير مدركين تدليس وكذب صاحبها ، حيث أظهر موافقة شيخ الأزهر على كل ما عرضه من أدلة مكذوبة ، وفي الوقت نفسه لم يجدوا من يكشف لهم كذب هذه المراجعات ، ويبين لهم ما اشتملت عليه من زيغ وضلال .

(١) المراجعات طبعت عام ١٣٥٥ هـ ، فقد مرّ على ظهورها حتى تاريخ ما كتبه هذا الرجل - وهو سنة ١٤٠٦ هـ - قرابة الخمسين عاماً .

ولمّا كان تحذير المسلمين من عدوّهم ، وفضح كلّ الطوائف والفرق الخارجة على الإسلام أمراً واجباً على كل داعية ، بل هو من أعظم القربات الى الله حتى يميّزوا الخبيث من الطيّب ، ويبينوا سبيل المجرمين . لهذا كلّهُ نرى أنفسنا مضطّرين للردّ على كتاب المراجعات ، سائلين الله أن يجعل هذا خالصاً لوجهه ، ودفاعاً عن أوليائه ، ونصرةً لدينه ، وغيره على سنّة نبيّه (١).

أقول : أولاً : إنّنا عندما ننقل هذه العبارات نرجو المعذرة من كلّ مسلم غيور متأدّب بآداب الإسلام ، بل من كلّ إنسان متخلّق بالأخلاق الفاضلة ، وخاصة من سيّدنا «شرف الدين» قدّس الله نفسه ، فإنّنا إنّما أوردناها : ١ - ليستّضح أن الذين يعادون الشيعة والتشيّع لأهل بيت النبوة والعصمة (عليه السلام) إنّما يعادون المسلمين والإسلام ، ولا يفرّقون في الطعن بين أهل السنّة وبين الشيعة ، وذلك لأنّ هذا الأسلوب من الكلام يشوّه سمعة الدين والإسلام لدى أبناء الأديان الأخرى ، إذ يتوهّمون أن هذا هو الخلق الإسلامي المحمدي ، وأن المسلمين - سواء الشيعة أو السنّة - بمعزلٍ عن الآداب الإنسانية والأخلاق الفاضلة .

على أنّه - في نفس الوقت الذي يتّهّم فيه على المسلمين الشيعة - يطعن في علماء مذهبه ، وينسبهم الى التهاون في أمر الدين والدفاع عن أولياء الله وسنّة الرسول ، إذ لم يردّوا على هذا الكتاب الذي أثر في بسطاء المسلمين وعامّتهم - على حدّ تعبيره - ولم يكشفوا لهم كذب هذه المراجعات ! كما قال ...

فهؤلاء - في الواقع - أناس يريدون الوقية بين المسلمين ، وإيجاد التباغض بينهم ، وضرب بعضهم ببعض ، حتى يكون الأعداء في راحة ...

(١) البَيِّنَات في الردّ على أباطيل المراجعات / محمود الزعبي / ج ١ ص ٥-٦ .

فكونوا على حذرٍ من هؤلاء ، وانتبهوا أيها المسلمون !!

٢- للاستشهاد على ما ذكرنا من قبل ، من أن في الناس من لا يروقه قول الحقّ وبيان الحقيقة ، وحين لا يمكنه الردّ المتين المستند الى العقل والدين ، يتفوّه بهذه الكلمات .

٣- للعلم بأن فيمن ينسب نفسه الى السنّة المحمدية ، ويزعم كونه «داعية» إليها «مدافعاً» عنها «غيوراً» عليها ... أناساً غير متّصّفين بأدنى شيء من آدابها ، فاقراً وقارن بين آداب المؤلف ﷺ عند حديثه عن الوحدة الإسلامية ومذاهب المسلمين وبين آداب هذا المتكلم عن كتاب المراجعات ومؤلفه .

وثانياً : إن السيد من كبار فقهاء الأمة الإسلامية ، ومن أعظم علماء الإمامية ، وكتابه «المراجعات» من المصادر المعتبرة لدى المسلمين حتى أن بعض علماء السنّة المحقّقين ينقلون عنه ويعتمدون عليه ، قال العلامة الشيخ محمود أبوريّة - من كبار علماء الأزهر المشاهير المحقّقين - في كلام له حول بعض الروايات : «وإذا أردت الوقوف على هذه الروايات فارجع الى كتاب «المراجعات» التي جرت بين العلامة شرف الدين الموسوي ﷺ وبين الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر سابقاً^(١) .

وقد وصف الأستاذ عمر رضا كحّالة السيّد ومؤلفه بقوله :

عبدالحسين شرف الدين الموسوي العاملي عالم فقيه مجتهد ، ولد بالمشهد الكاظمي مستهلّ جمادى الآخرة ، وأخذ عن طائفة من علماء العراق ، وقدم لبنان ، ورحل الى الحجاز ومصر ودمشق وايران ، وعاد

(١) أضواء على السنّة المحمدية : ٤٠٤ .

الى لبنان ، فكان مرجع الطائفة الشيعية ، وأسس الكلية الجعفرية بصور ، وتوفي ببيروت في ٨ جمادى الآخرة سنة (١٣٧٧ هـ) ، ونقل جثمانه الى العراق فدفن بالنجف .

من آثاره : المراجعات ، وهي أسئلة وجهها سليم البشري الى المترجم فأجاب عنها ، أبوهريرة ، الشيعة والمنار ، الى المجمع العلمي العربي بدمشق ، والفصول المهمة في تأليف الأمة^(١) .

وثالثاً : قد اعترف هذا القائل في كلامه بأن أحداً من أهل السنة لم يردّ على المراجعات ، فلما ذا لم يردّوا ؟! أما كانوا يرون وجوب «تحذير المسلمين من عدوّهم» على كل «داعية» ؟! أو لم يكونوا دعاة كما كان هذا القائل ؟!

ورابعاً : قد اعترف هذا القائل في كلامه بأن هذا الكتاب قد أثر في المسلمين ، لكن قال : في بسطاء المسلمين وعامّتهم .

الشبهة الثانية :

وقال آخر : وفي عصرنا أيضاً نجد كتاباً يسعى جاداً للدخول الى كل بيت^(٢) رأيت طبعته العشرين في سنة (١٤٠٢ هـ) ، ويوزّع على سبيل الهدية في الغالب الأعمّ ، واسم الكتاب «المراجعات» . ذكر مؤلفه شرف الدين هذا الحديث بالمتن الذي بيّنا ضعف أسانيده^(٣) وقال : بأنّه حديث متواتر . ثمّ نسب للشخ سليم البشري رحمته الله شيخ الأزهر والمالكية أنه تلقى

(١) معجم المؤلفين : ٨٧ / ٥ .

(٢) بل إن أبناء «البيوت» يُقبلون عليه ويسعون وراء الحصول عليه وجلبه الى البيوت ، ولا يخفى ما تدلّ عليه كلمة أبناء «البيوت» من معنى ، منطوقاً ومفهوماً !

(٣) يعني : حديث الثقلين ، انظر متون هذا الحديث وأسانيده ومصادره في المراجعة / ٨ .

هذا القول بالقبول وأنه طلب المزيد... (١).

وقال في كُتيب أسماه عقيدة الإمامة عند الشيعة الإمامية... دراسة في ضوء الكتاب والسنة -: «هل كان شيخ الأزهر البشري شيعياً؟!» (٢).
قال في مقدمته: وقبل أن أختم البحث رأيت أن أشير إلى الفرية الكبرى التي جاء بها الكاتب الشيعي شرف الدين الموسوي في كتابه «المراجعات» وأن أنبئه إلى براءة الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر مما نسبته إليه هذا المؤلف.

ثم قال في الصفحة ١٧٠: ممّا رزئنا به في عصرنا كتاب يسعى جاداً للدخول إلى كل بيت، رأيت طبعته العشرين في سنة (١٤٠٢ هـ) ...
وقال في الخاتمة: ومن أكبر هذه المفتريات الكتاب المسمّى «المراجعات» الذي لم يكتف مؤلفه بجعل الأحاديث الموضوعة المكذوبة أحاديث ثابتة متواترة، بل نسب لشيخ الأزهر الشيخ سليم البشري ﷺ أنه سلّم بهذا وأيده. بل سلّم بعقيدة الشيعة الجعفرية، ورأى أن أتباع المذهب الشيعي الجعفري أولى بالاتباع من أي مذهب من المذاهب الأربعة.

(١) حديث الثقلين وفقهه - للدكتور علي أحمد السالوس -: ٢٨.

(٢) اسم ضخّم! ولكنه في ١٨٠ صفحة من القطع الصغير! وقد جعل عليه عنوان «هل كان شيخ الأزهر البشري شيعياً؟» ليوهم أنه سيحقق عن هذا الموضوع، ولكن عند ما تراجع له لا تجد إلا استبعاداً إلا أن تشيّع شيخ الأزهر دليل على تحقيقه وإنصافه، وهكذا يكون حال كل مسلم إن حقّق وأنصف! كما دعا إلى ذلك السيد شرف الدين في كل ما حقّق وصنّف! بخلاف حضرة الدكتور وأمثاله، المدافعين عن بني أمية اقتداءً بابن تيمية! ولسان حالهم: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ والذي يؤكد ما ذكرنا في خصوص الدكتور السالوس أنه يحاول إيجاد ضجّة على الشيعة وأهل السنة المحققين المنصفين - من علماء الأزهر وغيرهم - الدعاة إلى التقريب بين المسلمين، وذلك بإصدار كراريس، أحدها في آية التطهير، والآخر في حديث الثقلين، وثالث في عقيدة الإمامة عند الشيعة... والحال أن كلاً منها فصل من فصول كتابه الكبير الذي أسماه ب: «أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله»، فلاحظ وتأمل!

الشبهة الثالثة :

وقال ثالث : وأمّا كتاب «المراجعات» فقد استحوذ على اهتمام دعاة التشيع ، وجعلوه أكبر وسائلهم التي يخدعون بها الناس ، أو بعبارة أدقّ : يخدعون به أتباعهم وشيعتهم ، لأن أهل السنة لا يعلمون عن هذا الكتاب ولا غيره من عشرات الكتب التي تخرجها مطابع الروافض ، اللهم إلا من له عناية واهتمام خاص بمذهب الشيعة . وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مائة مرة ، كما زعم ذلك بعض الروافض . والكتاب في زعم مؤلفه واقعة من وقائع التقارب بين أهل السنة والشيعة ، وهو عبارة عن مراسلات بين شيخ الأزهر سليم البشري ، وبين عبدالحسين هذا ، انتهت بإقرار شيخ الأزهر بصحة مذهب الروافض وبطلان مذهب أهل السنة .

والكتاب - لا شك - موضوع مكذوب على شيخ الأزهر ، وبراهين الكذب والوضع له كثيرة نعرض لبعض منها ، وقبل ذلك نشير إلى أن الروافض من دأبهم وضع بعض المؤلفات ونسبتها لبعض مشاهير أهل السنة ، كما وضعوا كتاب «سرّ العالمين» ونسبوه إلى حجة الإسلام محمد الغزالي .

أما مظاهر وأمارات ، الكذب والوضع في هذا الكتاب فمنها : أولاً : الكتاب عبارة عن مراسلات خطيّة بين شيخ الأزهر سليم البشري وبين هذا الرافضي ، ومع ذلك جاء نشر الكتاب من جهة الرافضي وحده ، ولم يصدر عن البشري أي شيء يثبت ذلك .

وثانياً : أنّ هذا الكتاب لم ينشره واضعه إلا بعد عشرين سنة من وفاة البشري ، فالبشري توفي سنة (١٣٣٥ هـ) وأول طبعة لكتاب «المراجعات» هي سنة (١٣٥٥ هـ) في صيدا .

وثالثاً : أنّ أسلوب هذه الرسائل واحد هو أسلوب الرافضي ، ولا تحمل

رسالة واحدة أسلوب البشري .

ورابعاً: أما نصوص الكتاب فتحمل في طياتها الكثير والكثير من أمارات الوضع والكذب .

والحقيقة المفجعة: أن هذا الافتراء يطبع عشرات المرات باسم التقريب، ولا أحد من أهل السنة ينتبه بهذا الأمر الخطير^(١).

أقول: أولاً: إن كتاب «سرّ العالمين وكشف ما في الدارين» لأبي حامد محمد الغزالي، صاحب إحياء العلوم، وقد نسبه - فيمن نسبه - إليه كبير الحفاظ والمؤرخين المعتمدين من أهل السنة، ألا وهو شمس الدين الذهبي، المتوفي سنة (٧٤٨ هـ) في كتابه المعروف «ميزان الاعتدال» واعتمد عليه ونقل منه، فلاحظ الكتاب المذكور^(٢).

وعلى هذا الأساس نسبته الشيعة إليه، فلماذا الافتراء؟! ولماذا الإنكار من هؤلاء الطلبة الأصاغر المتأخرين لما يقربه أكابر أئمتهم المعتمدين؟! وثانياً: إن هذا الذي يعترف به - متفجعاً - من أقوى أدلة صحة «المراجعات»، واعتبار ما تحويه من استدلالات، وإلاّ فعلماء قومه مقصرون أمام الله والرسول ومشايخ الصحابة المقتدى بهم في مذهبهم! رغم طبعها عشرات المرات كما ذكره، ورغم أنها تدعو إلى المناظرة بصدر رجب ... كما ذكره السيد^(٣).

(١) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ٢ / ٢١٣ - ٢١٧ للدكتور ناصر بن عبدالله الغفاري، وهي رسالة لنيل درجة الماجستير، أجازت بتقدير ممتاز! نشر: «دار طيبة» في الرياض سنة ١٤١٣ هـ في جزئين كبيرين.

(٢) ميزان الاعتدال، ترجمة الحسن بن الصباح ١ / ٥٠٠. ومن نسب الكتاب الى الغزالي: الحافظ الواعظ سبط ابن الجوزي الحنفي - المتوفي سنة ٥٨١ هـ صاحب التاريخ الشهير «مرآة الزمان» وغيره من المصنفات، وله: «تذكرة خواص الأمة» الذي أورد فيه بعض ما يتعلق بأئمة أهل البيت^(عليهم السلام)، بأسانيده الى النبي عليه وآله الصلاة والسلام، ولأجله رموه بالترفض مع الثناء عليه وصفه بالحفظ والفقه كما لا يخفى على من لاحظ ترجمته في «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» و«الفوائد البهية في طبقات الحنفية» وغيرهما.

وثالثاً: ما ذكره بعنوان «وبعبارة أدق...» يكذّبه قول زميله القائل: «قد أثر في بسطاء المسلمين وعامّتهم» وقول الآخر: «يسعى جاداً للدخول الى كل بيت...» على حدّ تعبيرهما.

ورابعاً: المراجعات ليست موضوعاً، كما مرّ وسيأتي.
 وخامساً: إنّ الأمارات التي ذكرها، تعود الثلاث الأولى منها الى مطلب واحد سنجيب عنه في الجواب عن السؤال عن الكوارث التي منعت طبع الكتاب وضيّعت نسخته، والرابعة يظهر بطلانها من خلال ما سنوضحه حول نصوص الكتاب.

السبب في تأخير طبع الكتاب

ثمّ إنه قد اعترض على كلام السيد في المقدمة بأنه:
ماذا يعني الموسوي بالحوادث والكوارث التي أخّرت طبع هذه المراجعات أكثر من ربع قرن من الزمن؟ إنه سؤال لا جواب عليه، لأن الموسوي لم يقدّم لنا حادثة أو كارثة واحدة من هذه الحوادث والكوارث، وإذا عدنا الى كتب التاريخ التي أرّخت لهذه الحقبة من الزمن التي تمّت فيها هذه المراجعات المزعومة نقلّب صفحاتها فلا نجد فيها ما يمنع من نشرها^(١).

أقول: وهذا جهل أو تجاهل، أن السيد ﷺ كان في طليعة الشخصيات الإسلامية التي قاومت الاحتلال الفرنسي للبنان، وقاد شعبه في مواجهة الاحتلال، واستخدام كافة الأساليب لها، ووقف بصرامةٍ يطالب خروج الفرنسيين من بلاده، ويدعو الى الوحدة السورية المستقلة، فأوعز المحتلون الى عملائهم بالتخلّص من هذا القائد، واستغلّوا عميلاً عربياً

(١) البيّنات في الردّ على أبياتل المراجعات: ٦-٧.

يدعى: «ابن الحلاج جبران» من أهالي مدينة صور، واقتحموا دار السيد، وشهر العميل مسدّسه في وجه السيد، فركله برجله فوق على ظهره وسقط المسدّس من يده، وتعلّات الأصوات وصيحات النساء، ففرّ الفرنسيّون من الدار، وتوافدت الجموع إليها من كل جانب تشتتاً غضباً فأمرهم السيد القائد بالهدوء.

قال ﷺ في كلام له :

وكان من ذلك أن عزم الفرنسيّون، وعزمت ذبولهم، أن يتخلّصوا منّي عن طريق الاغتيال، لتنهار هذه الجبهة إذا خلوت من الميدان، وفي ضحى يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الثاني سنة (١٣٣٧ هـ)، الموافق ١٤ كانون الثاني سنة (١٩١٩ م)، والدار خالية من الرجال، أقبل فتى من رجال الأمن العام الذين أملى لهم الفرنسيّون أن يشتطّوا على المسلمين والأحرار من أهل الدين، وأقبل معه رجلان من الجند الفرنسي، وكانوا جميعاً مسلّحين، فاقتحموا الباب، ثم أحكموا أرتاجها، ودنا الفتى العربي ابن الحلاج شاهراً مسدّسه، وهو يطلب أن أعطيه التفويض الذي كنّا أخذناه من وجوه البلاد وثائق تخوّل الملك فيصل أن يتكلّم باسمنا في عصبة الأمم.

وحين أصبح على خطوة منّي ركلته برجلي ركلة ألقت على ظهره فسقط المسدّس من يده، وأتبعته الركلة بضرباتٍ عنيفة بالحذاء على رأسه ووجهه، وعلت صيحة نساءنا في الدار، فملئت الطريق خلف الباب، فإذا الرهبة تتولّى هزيمة الجنديين وصاحبهما مخفقين، وقد كادت الأيدي والأرجل أن تقضي عليهم...^(١).

ثم إن السيد دعا الى مؤتمر للتجاوز مع رجالات السياسة والفكر،

(١) بغية الراغبين ٢: ١٥٠.

لاتخاذ القرارات المناسبة للاستمرار بالمواجهة والسيطرة على الموقف حتى الوصول الى الهدف ، فعقد المؤتمر في منطقة «الحجير» ومثلّ المؤتمرين في وفد إلى سوريا للاجتماع مع الملك فيصل ، حتى إذا رجع وثب الفرنسيون بجيش جرارٍ الى جبل عامل توجّه نحو قرية «شحور» لإلقاء القبض على السيد وقتله ...

قال عليه السلام : «ومهما يكن فقد كان نصيبنا من هذه الجيوش حملة جرارة قدّرت بألف فارس مجهّزين بالمدافع الثقيلة والدبابات المدرعة ، زحفت بقيادة الكولونيل «دنجير» الى «شحور» وما كاد الفجر يتضوّأ بأضوائه النديّة حتى كانت المدافع الثقيلة منصوبة على جبلي «الطور» و«سلطان» المشرقيّن على القرية ، وهبط الجيش يتدفّق بين كروم التين ، ويلتفّ حول القرية ، في رهبة أو حشت سكيّنة الفجر المستيقظ لذكر الله تعالى في مستهلّ شهر رمضان المبارك سنة (١٣٣٨ هـ) ، وكنت أهوم بعد صلاة الفجر بنعاس بعد تعب السفر وتعب السهر ، وكانت وصيفتنا «السعيدة» تنهياً لصلاتها ، فأشرفت على مدخل القرية -وهي تتبيّن الصبح- فراعها أن ترى أن آذان الخيل تنتشر بين أشجار التين في مثل هذا البكور ، فأجفلت مذعورة ، ورجعت توقظني من نومي .

نهضت مسرعاً الى أرديتي ، وانسللت أتخطّى الأزقة والمضايق ، ثم خرجت من بين العسكر وهم لي منكرون ، وتركهم يتظنّون ، وانسحبت أهبط الوادي الى غار على شاطئ الليطاني ، كان لجأ اليه جدنا السيد صالح في محنة الجزار .

أما الجند فطفق يسأل عني ، واستوقف الصغار من أفراخي مع عمّهم السيد محمد وخالهم السيد حسن ، حتى يستنطقهم والسيف مصلت فوق رؤوسهم ، ولكنهم أجمعوا على أنني في دمشق ، ولما استيأسوا من العثور عليّ تفرّقوا في القرية يأكلون ويشربون ويحطّون ، ولم يغادروا

«شحوراً» قبل أن يحرقوا الدار ... فحُكِمَ عليَّ بالنفي المؤبد مع مصادرة ما أملك . وقد احتلّوا دارنا في صور بعد أن صيح نهباً في حجراتها ، فعظمت المصيبة وجلّت الرزية بنهب المكتبة الحافلة بكتبها القيّمة ، وفيها من نفائس الكتب المخطوطة ما لا يكاد يوجد في غيرها ، وكان لي فيها كتب استفرغت في تأليفها زهرة حياتي وأشرف أوقاتي ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون^(١).

ثم إنه شُرِدَ به - طاب ثراه - مع أهله وذويه الى دمشق ، فبقي بها مدّة وانتقل منها الى فلسطين ، ومنها الى مصر ، وهو في جميع هذه الأحوال متنكّر وراء كوفيّة وعقال على نسق المألوف من الملابس الصحراوية اليوم ، حتى إذا قصد الهجرة الى العراق أرسل إليه بأمانٍ وطُلب منه العودة الى وطنه ، وكانت العودة يوم الجمعة ١٨ شوال سنة (١٣٣٩ هـ) . والخلاصة : إنه لما يئست قوات الاحتلال من القبض عليه ، عادت فسَلَطت النار على داره في «شحور» فتركتها هشيماً تذروه الرياح ، ثم احتلت داره الكبرى الواقعة في «صور» بعد أن أباحتها للأيدي الأثيمة تعيث فيها سلباً ونهباً ، حتى لم تترك فيها غالباً ولا رخيصاً ، وكان أوجع ما في هذه النكبة تحريقهم مكتبته العامرة بكلّ ما فيها من نفائس الكتب وأعلامها ، ومنها مؤلفاته الكثيرة القيّمة التي كانت خطيّة في ذلك الوقت ، والمكاتيب والمراجعات .

فهذا موجز تلك الحوادث والكوارث ، كما في مقدمة «المراجعات» وغيرها من المؤلفات ، وفي كتاب «الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين مصلحاً ومفكراً وأديباً» وغيره مما كتب بترجمة السيد ، وإن شئت التفصيل فراجع «البغية» بقلمه الشريف ، فقد ذكر فيها جميع تلك

(١) بغية الراغبين ٢: ١٦٣ .

الكوارث والحوادث بما لها من خصوصيات وجزئيات ... وإليها أشار الله في مقدمة «المراجعات» ثم صرح بأن الصحف التي ينشرها الآن كلها بلفظه وخطه .

لكنّ البعض لا يصدّقون السيد فيما يقول أو لا يرون ما لاقاه وقاساه - مع شعبه - من كوارث .

أو يريدون إنكار تلك الجهود ، أو استنكار ذلك الجهاد ضد الاستعمار ! فيذكرون للتأخير سبباً من عندهم ، بوحى من ظنونهم السيئة الفاسدة ، وأغراضهم الباطلة الكاسدة ، فيقول قائل منهم :

والذي دفع الموسوي الى تأخير نشر وطباعة «المراجعات» إنّما هو حاجة في نفسه ، إذ أنّ الفترة التي كانت فيها المراجعات ، والتي اعتبرها فترة غير ملائمة لمثل هذا الأمر ، إنّما تعني أواخر الخلافة العثمانية التي مهما قيل فيها فإنّها تظلّ خلافةً تدين بالإسلام وتدفع عنه أعداءه وخصومه ، وتناهض كلّ الفرق الضالّة التي اتّخذت من الإسلام ستاراً لضرب الإسلام والكيد للمسلمين كالرافضة وغيرهم ، والموسوي خشي على نفسه من نشر هذه المراجعات في ظلّ هذه الخلافة ، لما فيها من مخالفةٍ للكتاب والسنة وعقيدة الأمة ، الأمر الذي قد لا تسمح الخلافة العثمانية بنشره ، لذا فإنّه كان ينتظر فرصة مناسبة ومؤاتية لنشر هذه الأباطيل .

والأمر الثاني الذي دفعه الى تأخير نشر مراجعاته : أنّها مراجعات لا أصل لها ، فلا بدّ له من تأخيرها ، إذ لو نشرها في الوقت الذي تمّت فيه هذه المراجعات لتصدّى الى تكذيبه العديد من العلماء ، لاسيّما شيخ الأزهر الذي كذب عليه وقوله ما لم يقل ، فلما مات شيخ الأزهر ومات بعض أقرانه ونسي الأحياء منهم أمر هذه المراجعات وما كان فيها من وقائع

وتفصيلات، ولما اطمأن الموسوي لهذا كله سارع عندئذٍ لنشر أباطيله^(١).
أقول: لقد ذكر أمرين هما السبب - بزعمه - في تأخير نشر
«المراجعات»:

أما الأول: فلا يتفوه به عاقل، إذ الخلافة العثمانية كانت في تلك الأيام
على وشك الانهيار والاضمحلال، ولم تعد قادرة على حفظ كيائها، على
أنه كان بالإمكان طبع الكتاب - لولا الحوادث والكوارث - في غير بلاد
الخلافة العثمانية.

وعلى الجملة، فهذا الأمر مما لا يصغى إليه، وتضحك الثكلى به،
ولعله لذا لم نجده عند غير هذا المتقوّل.

وأما الأمر الثاني: فقد أشار إليه غيره أيضاً، وهو مردود بما ذكرناه
في بيان واقع الحال.

على أننا نسأل هؤلاء عن السبب للحقيقة المفجعة، وهي عدم ردّ أحدٍ
من علماء السنة على هذه المراجعات، لا سيما ممن نشأ في ظل الخلافة
العثمانية التي كانت تناهض كل الفرق الضالّة على حدّ زعمه؟!

وعن السبب لنشر مثل هذه التشكيكات والتكذيبات، في مثل هذه
الظروف، وبعد نحو الخمسين عاماً على طبع المراجعات؟!

وعن السبب في تأخير طبع ردّ أحدهم على كتاب «أبو هريرة» مدة ١٨
سنة، أي بعد وفاة السيد بسنين^(٢)؟! ثم تبعه غيره، يأخذ اللاحق من
السابق، فيكرّرون المتكرّر^(٣).

(١) البيّنات في الردّ على أباطيل المراجعات ٧-٨.

(٢) كتاب: أبو هريرة راوية الإسلام، لمحمد عجاج الخطيب، ألفه ردّاً على كتاب: «أبو هريرة»
للسيد شرف لادين، فردّ عليه الشيخ عبدالله السبيتي بكتاب: «أبو هريرة في التّيار».

(٣) لاحظ «دفاع عن أبي هريرة» لعبد المنعم صالح العلي، ثم «أبو هريرة وأقلام الحاقدين» لعبد
الرحمن عبدالله الزرعي، وهكذا.

السبيل لتوحيد المسلمين

وهنا يقول القائل : «إن ما يسعى إليه الموسوي إنما هو ضرب من المستحيل ، إذ أنه لو افترضنا الصدق فيها ، فهي محاولة للتوفيق بين الحق والباطل وبين الإسلام والكفر!

إن السبيل الوحيد لتوحيد المسلمين ولمّ شتاتهم وإزالة الفرقة بينهم إنما يكون بالعودة الى الكتاب والسنة ، وفهم السلف الصالح لهما ، كما أوضح ذلك الحق سبحانه وتعالى حيث قال : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١) وكما أوضح النبي ﷺ حيث قال : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا ، كتاب الله وسنّتي» (أخرجه الإمام مالك والترمذي وأحمد) فهل يستجيب الرافضة لله ورسوله ؟ هيهات هيهات !!^(٢) .

ويقول آخر : مفهوم التقريب عند هذا الموسوي هو أخذ المسلمين بعقيدة الروافض ، وهو في سبيل ذلك يضع وقائع وهمية وحوادث لا حقيقة لها ، ويزعم أنها وقائع تقارب بين السنة والشيعية لتصفية الخلاف ، ولكن لم يكن لهذه المؤامرات من أثرٍ إلا عند طائفته^(٣) .

أقول : إن مفهوم التقريب لدى السيد وطائفته هو التعريف بالمسلمين الشيعة ، وبيان عقيدتها في مسألة الإمامة - التي هي أعظم خلاف بين الأمة - وذكر شواهد وأدلتها في كتب السنة ، والبحث والتحقيق حولها عن طريق الجدل الحق ، ثم الأخذ بما اتفق الكلّ على روايته ونقله في الكتب المشهورة بين المسلمين ، وعلى هذا الأساس استند السيد في «المراجعات» وغيرها من كتبه الى ما جاء في كتب السنة من الأحاديث

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) البيّنات في الرد على أباطيل المراجعات : ٩ .

(٣) مسألة التقريب : ٢ : ٢١٧ .

من طرقهم ، ومن هذا المنطلق يمكن التوفيق بين الطائفتين ، ... ولا استحالة ... وبذلك يكون قد تحقق ما أمر سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ۚ ۞ ﴾^(١) وَإِلَّا فَإِنْ كُلُّ طَائِفَةٍ تَرَى الْحَقَّ فِيمَا تَرَوِيهِ وَتَعْتَقِدُهُ ، وَتَحْكُمُ بِبَطْلَانِ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ الطَّائِفَةُ الْآخَرَى .

فالمراد من «الرد إلى الرسول» في الآية الكريمة ومن «السنة» في الأحاديث الآمرة بالرجوع إليها هو الأخذ بما ثبت صدوره عن النبي ﷺ وهو ما اتفق الكل على روايته بأسانيدهم .

وأما خصوص : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وسنتي» فعزوه إلى أحمد والترمذي كذب ، إذ ليس هو من أحاديث مسند أحمد وصحيح الترمذي قطعاً .

موجز الكلام على حديث كتاب الله وسنتي :

بل لا يوجد في شيء من الصحاح والمسانيد أصلاً ، نعم يوجد في «الموطأ» و«المستدرک» وبعض كتب المتأخرين ، ونحن نكتفي بالبحث عن سنده في الكتابين المذكورين ، لأنهما عمدة الرواة له .

* أما «الموطأ» فقد جاء فيه ما نصّه : «وحدثني عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ تَرَكْتُ فِيكُمْ أُمُورَ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا ، كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ ۚ ۞ ﴾^(٢) .

وهو - كما ترى - لا سند له ، فقال السيوطي بشرحه : «وصله ابن عبد البرّ من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه ، عن جدّه»^(٣) .

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) الموطأ ٢ : ٨٩٩ حديث ٣ .

(٣) تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك ٢ : ٩٣ .

لكن يكفيننا النظر في حال «كثير بن عبدالله» المذكور . قال ابن حجر :
 قال أبو طالب عن أحمد : منكر الحديث ، ليس بشيء^(١) .
 وقال عبدالله بن أحمد : ضرب أبي علي حديث كثير بن عبدالله في
 المسند ولم يحدثنا عنه .
 وقال أبو خيثمة : قال لي أحمد : لا تحدث عنه شيئاً .
 وقال الدوري عن ابن معين : لجده صحبة ، وهو ضعيف الحديث .
 وقال مرة : ليس بشيء .
 وكذا قال الدارمي عنه .
 وقال الآجري : سئل أبو داود عنه ، فقال : أحد الكذابين .
 وقال ابن أبي حاتم : سألت أبا زرعة عنه ، فقال : واهي الحديث .
 وقال أبو حاتم : ليس بالمتمين .
 وقال النسائي : ليس بثقة .
 وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه .
 وقال أبو نعيم : ضعفه علي بن المديني .
 وقال ابن سعد : كان قليل الحديث ، يستضعف .
 وقال ابن حجر : ضعفه الساجي .
 وقال ابن عبدالبر : ضعيف ، بل ذكر أنه مجمع على ضعفه . هذا ،
 والحديث عن أبيه عن جده ، وقد قال ابن حبان : روى عن أبيه عن جده نسخة
 موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية إلا على وجه التعجب .
 وقال ابن السكن : يروي عن أبيه عن جده أحاديث فيها نظر .
 وقال الحاكم : حدث عن أبيه عن جده نسخة فيها مناكير .
 وأما «المستدرک» فقد أخرجه من طريق ابن أبي أويس عن عكرمة عن

(١) تهذيب التهذيب ٨ : ٣٧٧ .

ابن عباس ، ثم قال : «وقد وجدت له شاهداً من حديث أبي هريرة» فأخرجه عنه من طريق صالح بن موسى الطلحي^(١).

لكن يكفيننا النظر في حال «إسماعيل بن أبي أويس» و«صالح بن موسى الطلحي الكوفي» .

أما الاول ، فهذه كلماتهم فيه^(٢).

قال معاوية بن صالح عن ابن معين : هو وأبوه ضعيفان .

وعنه أيضاً : ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث .

وعنه : مخلط ، يكذب ، ليس بشيء .

وقال النسائي : ضعيف .

وقال في موضع آخر : غير ثقة .

وقال اللالكائي : بالغ النسائي في الكلام عليه الى أن يؤدى الى تركه ،

ولعله بان له ما لم يبين لغيره ، لأن كلام هؤلاء كلهم يؤول إلى أنه ضعيف .

وقال ابن عدي : روى عن خاله أحاديث غرائب لا يتابعه عليها أحد .

وقال الدولابي في الضعفاء : سمعت النضر بن سلمة المروزي يقول :

ابن أبي أويس كذاب .

وقال العقيلي في الضعفاء : حدثنا أسامة الزفاف - بصري - سمعت

يحيى ابن معين يقول : ابن أبي أويس لا يسوى فلسين .

وقال الدارقطني : لا أختره في الصحيح .

وقال ابن حزم في المحلى : قال أبو الفتح الأزدي : حدثني سيف بن

محمد : أن ابن أبي أويس كان يضع الحديث .

قال سلمة بن شبيب : سمعت اسماعيل بن أبي أويس يقول : ربما كنت

(١) المستدرک علی الصحيحین ١ : ٩٣ .

(٢) تهذيب التهذيب ١ : ٢٧١ .

أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم .
وأما الثاني ، فهذه كلماتهم فيه ^(١) .
قال ابن معين : ليس بشيء .
وقال أيضاً : صالح وإسحاق ابنا موسى ليسا بشيء ولا يكتب حديثهما .
وقال هاشم بن مرثد عن ابن معين : ليس بثقة .
وقال الجوزجاني : ضعيف الحديث على حسنه .
وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : ضعيف الحديث جداً ، كثير المناكير عن الثقات . قلت : يكتب حديثه ؟ قال : ليس يعجبني حديثه .
وقال البخاري : منكر الحديث عن سهل بن أبي صالح .
وقال النسائي : لا يكتب حديثه ، ضعيف .
وقال في موضع آخر : متروك الحديث .
وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابعه عليه أحد ، وهو عندي ممن لا يعتمد الكذب ، وليس يشبهه عليه ويخطيء ، وأكثر ما يرويه عن جده من الفضائل ما لا يتابعه عليه أحد .
وقال الترمذي : تكلم فيه بعض أهل العلم .
وقال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عنه فقال : ما أدري ، كأنه لم يرضه .
وقال العجلي : لا يتابع على شيء من حديثه .
وقال ابن حبان : كان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، حتى يشهد المستمع لها أنها معمولة أو مقلوبة ، لا يجوز الاحتجاج به .
وقال أبو نعيم : متروك ، يروي المناكير .
أقول : هذه أسانيده في أهم الكتب المخرجة له ، وقد عرفت حالها .
فظهر أنه ليس بحديث صادر عن رسول الله ﷺ ... فلا يجوز الاحتجاج به

(١) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٥٤ من اسمه صالح . ط ١ ، ١٤٠٤ هـ دار الفكر .

فضلاً عن أن يقابل به مثل حديث الثقلين «الكتاب ، والعتره أهل البيت» وغيره من الأحاديث القطعية .

هذا ، ومن أراد التفصيل فليرجع الى رسالتنا فيه^(١).

والخلاصة : إن السيّد يدعو إلى الوثام بين المسلمين عن طريق البحث الصحيح والجدل الحقّ ، في الحديث والسيرة والتاريخ وغير ذلك ، لاعتن طريق تناسي الماضي ، لأن هذا لو أفاد في برهنة من الزمن فلا يكاد يجدي على المدى البعيد ، ولا يعطي النتيجة المطلوبة ، بل إن معنى ذلك بقاء الانطباعات عن القضايا في النفوس والأذهان ، وهذا ما يؤدّي - بطبيعة الحال - إلى مضاعفات لاتكاد تقبل العلاج من أي طرف كان .

وقد عرفت السيد الى مَنْ أهدى كتابه ! وأي شيء ترجّى منه !

هذا تمام الكلام حول المكابرات .

الطبعة الجديدة للكتاب :

لا زال الحوار الهادئ الذي يعتمد الأدلة الموضوعية هو الأساس في تناول اختلاف الآفاق الفكرية والعقائدية عند بني البشر ، وقد حثّ القرآن الكريم على اعتماد هذا الأسلوب بقوله تعالى : ﴿وجادلهم بالتّي هي أحسن﴾^(٢).

(فالتّي هي أحسن) : هي الكلمة الهادفة التي تريد أن تثبت حقيقتها للآخرين بعيداً عن أسلوب الإرهاب الفكري والاضطهاد العلمي .

(والتي هي أحسن) : هي الوسيلة الخلقية التي يمكن أن نسمع بها آراء الآخرين ، كما يمكن للآخرين أن يسمّعوا بها آراءنا ، حتى نكون

(١) مجلة (تراثنا) العدد ٢٩ ، شوال ١٤١٢ هـ ، ص ١٧١ - ١٨٧ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

من ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾^(١).

إن قضية الاختلاف بين المذاهب الإسلامية عموماً ، قضية باتت تؤرق أصحاب الهمم وعلماء الأمة المخلصين ، الذين يعزّ عليهم أن يروا أمة محمد ﷺ تعبث بها أنياب التعصب وتتناهاها خطوات الابتعاد ، فلا نعدم بين حين و حين ، نهضة مصلح ودعوة إمام وحركة أمة ، تريد أن تقرب أبناء المسلمين وتحاول أن تضيق دائرة الخلاف بينهم .

وإن من بين أهم هذه المحاولات هي المحاولة الرائدة التي قام بها علّمان من أعلام المسلمين هما الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي العاملي ﷺ والإمام الشيخ سليم البشري ﷺ شيخ الجامع الأزهر في مصر ، وقد اعتمدا فيها أسلوب الحجة العلمية ، والرؤية الموضوعية التي لا تشعّر فيها بأية شائبة ولا يتطرق إليها شك .

إن كتاب «المراجعات» يناقش قضايا حسّاسة جداً في عقائد المسلمين سنةً وشيعَةً ، دون انفعال أو تعصب أو إثارة ... ممّا جعله يعمق التزام المسلمين بعلمائهم ، ويزيدهم ثقة بحركة الوعي الجديد الخلاق .

إنّ ما نحتاجه اليوم لرדם الهوة فيما بين المسلمين هو الحوار الهادئ الهادف فهو وحده القادر على تأكيد الوحدة واكتشاف مواطن اللقاء والاجتماع . وقد حظي كتاب المراجعات باستقبال كبير لدى أوساط المسلمين الغيارى ، وأعيدت طباعته عشرات المرات في مختلف البلدان ، في مصر ولبنان والعراق وإيران وغيرها ، كما ترجم الكتاب الى مختلف اللغات .

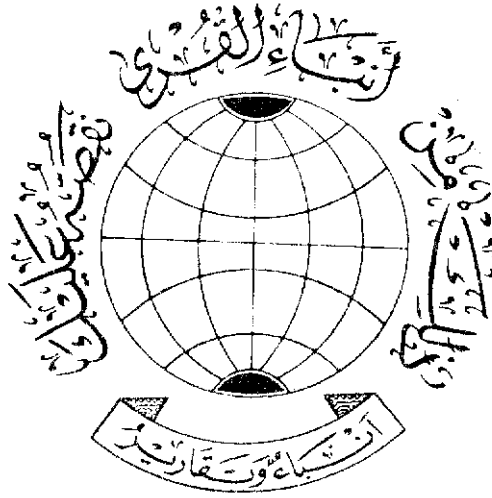
لماذا هذه الطبعة الجديدة للكتاب ؟

لأجل أهمية الكتاب و معالجته أهم المطالب الخلافية بين المسلمين معالجة عميقة وافية ، فقد قام العلامة الشيخ حسين الراضي بجهد نوعي إضافي لتأكيد وتوثيق مقولات الكتاب وأفكاره ، وذلك حينما دعمه بهوامش تحقيقية واسعة ، يبين كل واحد منها عبر قائمة كبيرة من المصادر التاريخية والحديثية السنية والشيوعية التي تضمنت توثيق ما ورد في الكتاب من أرقام ومؤشرات وشواهد تاريخية وحديثية وتفسيرية .

وقد نشر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام هذه الهوامش في الطبعة السابقة في نهاية الكتاب ، وآثرنا في هذه الطبعة نشرها في ذيل الصفحات المتعلقة بها بغية التسهيل على القارئ ، وميّرنا هوامش المصنف عنها بعبارة «منه قدس سرّه» في نهاية كل هامش كان بقلمه الشريف ، كما تمتاز هذه الطبعة بتصحيحات وتصويبات كثيرة في الكتاب وهوامشه وتكميل وتطبيق مستخرجاته على مصادرها .

وقد زيّنا هذه الطبعة بفهارس فنية للآيات والأحاديث والأعلام والأشعار للمتن مع فهرس موضوعي شامل لنصوص الكتاب وهوامشه، يسهل على الباحثين الاستفادة منه .

وقد أضفنا الى الكتاب بحثاً للدفاع عن كتاب المراجعات رداً على إشارات بعض المتعصّبين الذين ضاقوا بحقائقه الساطعة وبياناته العلمية الرشيدة والمتينة لا سيما بعد سعة انتشاره في الأوساط المختلفة وذيوع شهرته واستمرار الطلب عليه من الموافق والمخالف رغم كثرة طبعاته ، فراحوا يتشّبثون بشواهد واهية يتصورونها أدلة على صحة إثاراتهم الواهية وتضليلاتهم الظالمة.



نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت عليهم السلام في
أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير .

الجمهورية الإسلامية في إيران

المل الصمّيع للقضية
الفلسطينية



دأبت الثورة الإسلامية في
إيران قيادةً وشعباً منذ اندلاعها
وحتى انتصارها قبل (٢٣) عاماً
وإلى يومنا هذا على دعم القضية
الفلسطينية والشعب الفلسطيني
بكل أنواع الدعم المادي

والمعنوي، ووقفت من قضايا هذا
الشعب موقفاً فريداً ومبدئياً
وقاطعاً. وفي الآونة الأخيرة وإزاء
حالة التراجع والهزيمة والنكوص
التي لفت العالم العربي
والإسلامي في تعامله مع هذه
القضية المقدسة، وإزاء
المؤامرات الكبرى التي تستهدف
القضاء على انتفاضة الشعب

الفلسطيني الباسل وكبس إرادته،
إزاء ذلك كله قدمت الثورة
الإسلامية أطروحتها لحل القضية
الفلسطينية على لسان قائدها آية
الله العظمى: السيد الخامنئي (دام
ظله)، حيث أكد سماحته أن هناك
مشروعين للعمل، أحدهما خاطئ
والآخر صحيح، أما الخاطئ فهو
الدخول في مفاوضات مع هذا
الغاصب الذي لا عهد له بالقيم
الإنسانية ولا القوانين الدولية، ولا
يذعن للقرارات التي تصدرها
المنظمات الدولية للوصول إلى
اتفاق معه، وهذا طريق خاطئ بأي
صورة تبدو عليها، فلقد برهنت
إسرائيل على عدم التزامها بأي
عهد تعطيه، وإذا ما وافقت ووقعت
فهي لا تفي بالتزامها، وأقوى دليل
على هذا الكلام الوضع الحالي في
فلسطين، فهم الذين جلسوا مع
رئيس السلطة الفلسطينية في
أوسلوا، ووقعوا على الاعتراف
رسمياً بهذه السلطة، وها هو

تعاملهم معها ومع رئيسها ياسر
عرفات الذي فاضهم طيلة سنين
مستمادية، إنهم لا يلتزمون
بعهدهم، فهم يسحقون كل عهد
يقدمه الطرف المقابل لهم،
ويتقدمون خطوة إلى الأمام
لتجاوز ما تعهدوا به، هذه هي
طبيعتهم - وهذا حل خاطئ -
وأضاف سماحته: إنني إذ أتحدث
بهذا لا أعني بخطابي الذين
يحاولون الإبقاء على هذه الغدة
السرطانية مهما كلف الثمن،
فهؤلاء لا يقبلون هذا الكلام،
ونحن نعرف ذلك، لكنني أوجه
خطابي إلى الحكومات العربية
والإسلامية وإلى الشعوب
الإسلامية والضمائر الحية في
أرجاء المعمورة، وإنني أتكلم
معهم، فهذا الحل يضع لقمة
سائغة في فم هذا الغازي؛ لتجعله
أكثر مكرراً، ويكون قادراً على أن
يخطو الخطوات اللاحقة فهذا ليس
حلاً، وهذه تجربة خمسين عاماً

مرت على القضية الفلسطينية، إذ أصدرت الأمم المتحدة القرارات، وبالرغم من مصادقة أميركا المدافعة عن الصهاينة عليها ظاهرياً؛ إلا أن هذا الغازي لم يعمل بها، ولم يقل له أحد (على عينك حاجب)، فأية مفاوضات يجريها المرء مع مثل هذه الدولة وهذا الخصم؟! إن هذا الحل ليس صحيحاً.

أما الحل المنطقي والصحيح للقضية الفلسطينية فإنما يكون من خلال إجراء استفتاء للشعب الفلسطيني، بضمّنهم اللاجئين الراغبون منهم في العودة إلى ديارهم ووطنهم، وهذا أمر منطقي حيث يعود الراغبون من اللاجئين في لبنان والأردن والكويت ومصر وسائر البلدان العربية إلى وطنهم وديارهم في فلسطين، ولا أقول أن يُعاد أحد منهم بالقوة، وأولئك الذين كانوا في فلسطين قبل عام ١٩٤٨م؛

حيث قامت دولة اسرائيل اللقيطة من مسلمين ومسيحيين ويهود، ومن ثم يجري استفتاء عام يحددون من خلاله النظام الذي يحكم فلسطين، وهذه هي الديمقراطية، أو تصلح الديمقراطية للعالم بأسره لكنها لا تصلح للشعب الفلسطيني؟! وكيف يحق لشعوب العالم التدخل في تقرير مصيرها ولا يحق ذلك للشعب الفلسطيني؟! لا يراود الشك أحداً في أن الكيان المتسلط على فلسطين حالياً إنما جاء بالقوة والمكر والخداع والضغط، فالصهاينة لم يأتوا مسالمين، وإنما جاءوا تارة بالحيلة والخديعة، وأخرى بقوة السلاح والضغط، لذلك فهو كيان مرفوض. فليُجمع الشعب الفلسطيني ويصوّتوا لانتخاب طبيعة النظام الذي يحكم بلادهم، ثم يبت ذلك النظام أو تلك الحكومة بشأن الذين قدموا إلى

فلسطين بعد عام ١٩٤٨م أياً كان القرار، فإن قررت لهم البقاء بقوا وإن قررت ترحيلهم رحلوا؛ وفي ذلك رأي الشعب والديمقراطية وحقوق الإنسان وما ينسجم مع المنطق السائد في العالم حالياً، هذا هو الحل الذي يفترض تنفيذه، وإن العدو إذ يرفضه صراحة، هنا يتعين على الأطراف المعنية بالمشكلة تحمل مسؤوليتها، سواء الدول العربية أو الإسلامية والمسلمون في أرجاء العالم، وبالذات الشعب الفلسطيني وكذلك المحافظ الدولية، فلكل مسؤوليته في الإصرار على وجوب تنفيذ هذا الحل المنطقي، ومن السهولة تحقيقه، ولا يقولن البعض هذا ضرب من الخيال والأحلام ومتعذر، كلا فهو ممكن؛ فلقد عادت دول بحر البلطيق مستقلة بعد أكثر من أربعين سنة كانت فيها جزءاً من الاتحاد السوفيتي السابق، ودول القوقاز

كانت رازحة تحت نير روسيا القيصرية منذ مائة عام أي قبل قيام الاتحاد السوفيتي لكنها نالت الاستقلال.

إذن إنه ممكن وليس متعزراً، غاية الأمر أنه يستدعي إرادة وعزيمة وشجاعة وبطولة، ولكن من الذي عليه أن يتحلى بالشجاعة؟! الشعوب أم الحكومات؟! إن الشعوب تمتلك الشجاعة ولا تعرف الخوف، وقد عبرت عن أهبتها، إذن فالمسؤولية هنا مسؤولية الحكومات وفي مقدمتها الدول العربية، وإن مؤتمر القمة العربية الذي عقد في بيروت لم يمكن مؤتمراً جيداً؛ فقد كان بإمكانهم الخروج بفوائد جمة من هذا المؤتمر لا تقتصر على الشعب الفلسطيني؛ بل تصب في صالح الحكومات العربية أيضاً، فالحكومات العربية بوسعها الآن الوقوف في المقدمة، ونيل

مساندة شعوبها، فإذا ما حظيت حكومة بمساندة شعبها على صعيد القضية الفلسطينية؛ فلم تعد لأميركا القدرة على المساس بها ولم تعد ترهب أميركا ولن ترى ضرورة محاباة أميركا، فلقد كان بوسع الحكومات العربية الاضطلاع بأعمال إيجابية جمّة على صعيد هذه القضية، وبمقدورها العمل أيضاً، إما عن سبيل المواجهة التي اقترحتها الجمهورية الإسلامية في إيران على لسان قائدها الإمام السيد الخامنئي فهي وكما صرح سماحته في أكثر من مناسبة .

١ - استخدام سلاح النفط، فليقطعوا النفط لمدة شهر واحد ولو رمزياً عن الدول التي تجمعها علاقات ودية مع اسرائيل، فما تتمتع به الدنيا من حركة في مصانعها بعناصرها الثلاثة (الطاقة الضوئية والكهربائية والحرارية) إنما هي من نفطنا، فلو

لم يصلهم نفطنا لتوقفت حركة مصانعهم ومصادرهم الضوئية والحرارية، أو قليل هذا؟!

فلتبادر الحكومات العربية لذلك من أجل مصلحتها وليفعلوا ذلك لمدة شهر واحد وسيهتز العالم حينها .

٢ - الإجراء الآخر الذي طالب الإمام السيد الخامنئي القيام به وخصوصاً من الدول العربية هو قطع كافة العلاقات والمعاهدات السياسية والاقتصادية التي تربطهم بالدولة الصهيونية، وإيقاف التعاون معها، وبذلك سيعم السرور الشعوب العربية، وستقف خلف الحكومات التي تقدم على هذا الإجراء الشجاع، وذلك ما تصبو إليه الشعوب .

إن الحكومات الإسلامية تتحمل المسؤولية أيضاً ومسؤوليتها ليست أقل وطأً من الحكومات العربية، فالقضية ليست عربية فقط؛ بل هي أوسع

مدى، فهي قضية إنسانية وإسلامية، والحكومات الإسلامية تمتلك القدرات النفطية وما شابهها، وبإمكانها القيام بمثل ذلك، وإن مؤتمر وزراء الخارجية في ماليزيا لم يكن مؤتمراً ناجحاً، إنهم بطبيعة الحال قد عبروا عن مواقفهم وأثبتوا وجودهم لكن ذلك كان ضعيفاً، فكان عليهم المبادرة لما هو أقوى منه، إذ كان على الحكومات والدول الإسلامية اتخاذ إجراء أقوى مما اتخذوا، وهم يشاهدون المحنة التي يعانيتها اخوتهم المسلمون، وللشعوب القدرة على التأثير والمشاركة في هذه القضية، والشعوب الإسلامية بمقدورها تقديم العون المالي للفلسطينيين فذلك لا يقتصر على الحكومات.

الشعب الفلسطيني بحاجة الآن إلى الغذاء والدواء، وهو ليس بمتسول بل سيداً رازح تحت

سلطة العدو، والجميع مكلفون بإعانتته.

والأسمى من العون المادي هو العون المعنوي، فالشعب الفلسطيني يشعر بأن قلوب الشعوب معه، والتظاهرات التي عمت العالم الإسلامي هذه الأيام في غاية الأهمية.

إن مواقف ومبادرات الجمهورية الإسلامية في إيران من القضية الفلسطينية كانت دائماً مواقف مسؤولة وعملية؛ تجمع بين المبدئية التي لا تفرط بالثوابت والواقعية التي لا ينكرها العقلاء، وهي كذلك لم تكن يوماً من الأيام كلاماً وتنظيراً للأعلام بقدر ما كانت مواقف عملية فعالة ومؤثرة على صعيد الصراع مع العدو الصهيوني، وعلى صعيد دعم الشعب الفلسطيني وقضيته وانتفاضته، وعلى كافة الصُّعَد والمستويات، وكذلك لم يكن الشارع الإسلامي في إيران

والجماهير المليونية بأقل من القيادة الإسلامية والحكومة الإسلامية في إيران تفاعلاً وتأثراً واندكاً بالقضية الفلسطينية وانتفاضتها الباسلة، حيث اندفعت هذه الجماهير بحشودها المليونية تملأ الساحات والشوارع في كل مدن الجمهورية الإسلامية في إيران؛ وهي تردد شعارات: الموت لأميركا الموت لإسرائيل؛ معلنة وقوفها الحازم إلى جانب الشعب الفلسطيني البطل، رافضة أي بادرة للتراجع أو الخنوع وتحت أي عنوان كان، وهو ما جسده أيضاً حملات التبرع الكبرى التي قام بها الشعب الإيراني المسلم دعماً للانتفاضة ورفضاً لها بكل وسائل الديمومة والاشتعال.

وهكذا تقدم القيادة الإسلامية أطروحتها لحل القضية الفلسطينية مشفوعة بموقف عملي نوعي داعم للانتفاضة،

وهو ما يعطي لهذه الأطروحة المصدقية التي تحتاجها هكذا مشاريع، وأخيراً فلا ينبغي أن يغرب عن أذهاننا الانتصار العظيم الذي تحقق في جنوب لبنان والموقف المبدئي والقاطع والاستثنائي الذي وقفه حزب الله من القضية الفلسطينية وانتفاضتها الباسلة، والذي هو بالمحصلة ترجمة عملية أمينة لمواقف الثورة الإسلامية وقيادتها الرائدة المتمثلة بالإمام الخميني من القضية المركزية للمسلمين قضية فلسطين.

* * *

□ فلسطين

ثقافة المقاومة والاستشهاد

مقاتل وأرقام

المشهد الميداني والسياسي في فلسطين في هذه اللحظة التاريخية يكرس جملة حقائق؛

عملت أطراف اقليمية ودولية على طمسها وبأدوات مختلفة، وهو إنما يؤكد على شدة تشابك وتعقيد الملف الفلسطيني وصعوبة إلغاء أو تزييف ثوابت الصراع غير القابلة لأنصاف الحلول، والتي لا تستجيب حتى لإبر التخدير السياسي المرحلي التي يحلم بها شارون، وتنبع متانة ثوابت الصراع هذه، إلى أن مكوناتها تحتضن مفردات حضارية ثابتة (كالمقدسات الدينية) وعناصر الهوية الأخرى (الوطنية والقومية والتاريخ والجغرافية... الخ) ومما يزيدها تعقيداً أن الطرف الآخر (اليهودي) يقف أيضاً على قاعدة (المقولات الدينية) وبشارات أرض الميعاد في رؤياه للصراع، وبالتالي فقد أصبحت المعادلة المرسومة لكلا الطرفين - ما بين الكينونة أو الإلغاء - وبعبارة أوضح (تكون أو لا تكون) وهذه المعادلة تنطبق

تماماً على طرفي الصراع في الإطار الجغرافي الفلسطيني، ويؤكد هذه الرؤيا من الجانب الصهيوني أحد أكبر كتّابهم، وهو «يهاشوارع» الذي يصور الصراع بين الفلسطينيين واليهود على أنه صراع بين غريقين في عرض البحر على خشبة إنقاذ واحدة، وفي نهاية الصراع تكون الخشبة لأحدهما والآخر مصيره الغرق لا محالة.

أما أهم الحقائق التي أفرزتها وكرستها الانتفاضة الفلسطينية وثقافة المقاومة والاستشهاد ميدانياً وسياسياً فهي :

الحقيقة الأولى / تبرزها فاعليات الميدان على الساحة الفلسطينية التي أثبتت بشكل عملي وبعيداً عن الجدلية أن إمكانية مقاومة المشروع الصهيوني متاحة رغم اختلال ميزان القوى، وبرغم عدم وجود المناخ الدولي الملائم، فالمتعمق

في دراسة إنجازات المقاومة
يلحظ أن الفعل المقاوم في
الميدان الفلسطيني تمكن من
اختراق جدار ثلاث نظريات؛
متعلقة بالأمن الاستراتيجي
الشامل للكيان الصهيوني .

الاختراق الأول / تمثل في
تفكيك نظرية الجدار الحديدي
التي صاغها الزعيم اليميني
المتطرف جابو تنسكي والتي
مفادها تكوين نواة متينة مغلقة
بجدار حديدي صلب - القوة
العسكرية النوعية - يصعب
اختراقه، لإيصال رسالة للمحيط
العربي المعادي، تفيد بعدم
جدوى المقاومة وعيبية
المحاولات الرامية لاجتثاث
المشروع الصهيوني، لكن
الاستشهادي الفلسطيني اخترق
هذا الجدار وتحول إلى صاروخ
غير تقليدي - وفقاً لوصف كاتب
صهيوني - يضرب في العمق
الصهيوني موقعاً، خسائر مؤلمة

في بنية هذا الكيان لم تحققها
الجيش العربية، وفي هذا الإطار
تحدث المصادر العبرية عن
المعادلة الجديدة للمواجهة التي
انتجتها المقاومة؛ ولم يستطع
الجيش الصهيوني أن يخترع حلاً
للتغلب عليها، وتفسيراً لهذه
المعادلة يرى أحد الكتاب
الصهاينة - أن الاستشهادي
الواحد يحتاج ما يعادل عشرة
أشخاص فقط لإطلاقه كصاروخ
مدمر في تأثيره، بينما يحتاج من
الطرف الآخر لآلاف الأفراد
لمواجهته من أجهزة أمنية
مختلفة وغيرها، مع العلم بأن
الأجهزة الأمنية وسواها في
الوقت الراهن تضطر أن تتعامل
مع ٦٠ انذاراً بهذا الخصوص في
وقت واحد، ويعني هذا الإنجاز
تحجييداً لخاصية التفوق النوعي
العسكري للعدو وهي لب نظرية
الجدار الحديدي، وكذلك فهي تحدٍ
سافر للقدرات الاستخباراتية،

بخاصة أن أحد استشهائدي
كتائب القسام - فؤاد الحوراني -
وصل إلى منطقة تبعد بضعة
أمتار من منزل شارون وفجر
نفسه بالمقهى الذي يرتاده أحياناً
كل من شارون وتنتياهو وباراك،
وهي دائرة تقع تحت أعلى
درجات الحماية الاستخباراتية .

الاختراق الثاني /إبطال مفعول
نظرية بيريز - الحزمة الواحدة -
والداعية إلى إدراج قوة الردع
النووية؛ مع خيار التسوية في
حزمة واحدة بحيث تستخدم قوة
الردع النووية في فرض التسوية
السياسية وفق الأجندة والشروط
الصهيونية .

الإنجاز الثالث / الذي حققته
المقاومة على هذا الصعيد هو
تحييد فاعلية نظرية الاختراق التي
وضعها الخبير الأمني (هاركاببي)،
وتولى تطبيقها على الأرض كل
من بيريز ورابين مجسدة في
اتفاقية اوسلو . -ومفادها (أن

العقل العربي والإسلامي صعب
في حالة المواجهة المباشرة، وفي
العادة تتضخم إمكانياته عند
الاستفزاز، ولكن لديه قابلية
كبيرة للاختراق) وبطبيعة الحال
فالمقاومة ألغت ولو بشكل مؤقت
وربما دائم اتفاقية اوسلو،
وكذلك أدت إلى انحسار موجة
التطبيع الذي يمثل أجلى صور
الاختراق، وفي السياق ذاته -
ولكن في اتجاه أكثر تخصصاً -
يمكن ملاحظة مقدرة المقاومة
على إلغاء فاعلية الكثير من
مكونات النظرية الأمنية
العملياتية - وكذلك العقيدة
العسكرية، فهي فككت مفردات
مهمة مثل نقل المعركة لأرض
العدو، الضربة الاستباقية، الردع
المسبق والردع العقابي، التفوق
النوعي العسكري، وأخيراً خلقت
حالة من الاستنزاف وهو العدو
اللدود الذي يخشاه الصهاينة
بسبب هشاشة العمق

الاستراتيجي لمجتمع الهجرة الصهيوني بمضامينه الجغرافية والاقتصادية والديمقراطية .

الحقيقة الثانية: كشفت المقاومة عن أبرز مكونين في الشخصية اليهودية وأسقطت طبقة المكياج الرقيقة التي يحاول الصهاينة من خلالها اخفاء الحقيقة .

أولهما - اليهودي التائه .

ثانيهما - اليهودي القاتل والحاقد على سواه .

فقد أرغمت ضربات المقاومة الموجعة في العمق الصهيوني، (اليهودي) على أرض فلسطين على مواجهة لحظة الحقيقة لتتزامم الأسئلة المصيرية في ذهنه في ظل القلق الوجودي - الغائب الحاضر - الذي يعتريه دوماً، لماذا أنا هنا في هذه الأرض التي تأكل أهلها ويتنشر الموت في كل أرجائها؟! وفي سياق متصل تشير الاحصاءات العبرية

إلى أن أكثر من مليون اسرائيلي موجودون خارج فلسطين الآن، منهم أكثر من (٢٠٠) ألف فقدوا جنسياتهم الاسرائيلية، وفنتهم العمرية تتراوح بين ٢٠ - ٢٤ عاماً، منهم أبناء وأحفاد لوزراء وأعضاء كنيست، ومن سائر النخب السياسية كما صرح بذلك (يوسي بيلين) وزير العدل السابق، ويصل عدد المغادرين في اطار الهجرة العكسية إلى عشرين ألفاً لا يعود منهم سوى (٧) آلاف فقط .

وفي دراسة أجراها معهد أبحاث (موتاجيم) لحساب صحيفة (هآرتس) أكدت الاحصاءات أن ٢٧٪ من اليهود في فلسطين الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٥ - ٤٤ عاماً يفكرون بالهجرة هرباً من العمليات الاستشهادية .

ويعلق در جاي برزيلي الاستاذ في كلية العلوم السياسية

بتل أبيب على ظاهرة الهجرة هذه قائلاً: «إنها جزء من هجرة ادمغة، وهي خروج احتجاجي اجتماعي وتغيير نخبوي يتضمن شعوراً بالاغتراب وعدم الثقة بالقيادة السياسية وهي ظاهرة تثير القلق».

الوجه الآخر الذي جلّته المقاومة هو وجه اليهودي القاتل الذي يكره من سواه، ويتمادى في سحقه لمجرد أنه يقف في مربع الاغيار.

والصورة المتلفزة التي تنقلها الفضائيات فضحت مكنونات هذه الشخصية، وأفسدت طعم النكهة الديمقراطية التي يحرص الصهاينة على أن يمزجوها بأنظمتهم وقوانينهم العنصرية لتزييفها أمام العالم، فحقيقة اليهودي الحاقد أكدتها المقابر الجماعية في رام الله، وكذلك مشاهد الدبابات وهي تحطم السيارات المدنية في الشوارع

الفلسطينية كعلب الكبريت والقصف المركز على المخيمات والعمارات السكنية في المدن، وهدم البيوت على ساكنيها مما أسقط مئات الشهداء وآلاف الجرحى.

الحقيقة الثالثة: أسلمة الصراع، يلمس المراقب لفاعليات انتفاضة الأقصى مظاهر الأسلمة في الفعل المقاوم، إن تم إحياء مصطلح الجهاد بإحياءاته وبشكل كبير حتى في أوساط الفصائل المقاومة التي لا تتبنى البرنامج الإسلامي، ويمكن استشعار التعبيرات الجارية في الكثير من المقابلات والمداخلات التي تجري مع رموز المقاومة في محطات التلفزة العربية، والظاهرة الجهادية التي تعززت بشكل واسع هي نمط الاستشهاديين التي انتقلت بالمحاكاة من حماس والجهاد الإسلامي لبقية الفصائل الأخرى،

وأصبحت الصورة النمطية للاستشهادي وهو يحمل المصحف بيد والرشاش باليد الأخرى هي الصورة السائدة. ويعلق على هذه الظاهرة (مردخاي كيرنشتباوم) مدير سلطة البث الصهيوني السابق بالقول: «في الوقت الذي سعى فيه العالم إلى تجفيف مصادر المد البشري للحركات الإسلامية، تقوم إسرائيل بتوصيل الإسلاميين بعناصر (فتح) عبر إقناعهم باقتفاء أثر حركتي حماس والجهاد الإسلامي»، ويؤكد الجنرال (روتشيلد) المدير السابق لمركز الأبحاث في الاستخبارات العسكرية، أن تداعيات الانتفاضة الحالية ستعزز أسلمة الأساليب النضالية لحركة فتح وحتى الفصائل اليسارية.

الحقيقة الرابعة: هشاشة النظام الرسمي العربي.

إن العنف الشاروني غير المسبوق تجاه الشعب الفلسطيني والمذابح الشارونية والمقابر الجماعية في رام الله زاد في تعرية الموقف الرسمي العربي بشكل صارخ، وكذلك الأداء الرسمي العربي في القمم العربية التي عقدت لأجل الانتفاضة؛ أبرز ضعف وهشاشة بنية النظام الأقليمي العربي، وسيادة الرؤية القطرية برغم ضغط الشارع العربي الذي بدأ متقدماً كثيراً على الأنظمة، وهو موقف بيتن حدة الشقة بين القاعدة ورأس الهرم في الوطن العربي، بل أن سخونة الساحة الفلسطينية أضعفت في أوساط النخب الثقافية الشعاع القائل بأن للأنظمة ضرورتها وللشعوب خياراتها، وارتفعت أصوات حثيرة تطالب النظم بالتححرر من قيود هذه الضرورات؛ لكي تفي بمتطلبات الواقع الذي أفرزته انتفاضة

الأقصى، ولتتناغم مع أحلام وطموحات الشعوب في هذه المرحلة، ولعل حساسية الموقف في هذا الشأن تعبر عنها بوضوح الثورة البركانية للشارع العربي، وتقارير السفارات الأميركية بالمنطقة التي تحذر وزارة الخارجية الأميركية من خطورة الموقف؛ مما دفع الأخيرة لإرسال رسالة تحذير لمكتب رئيس الوزراء الصهيوني شارون: تنذره بالمخاطر التي تهدد المصالح الأميركية في المنطقة، لكنه رفض هذا التحذير، وذكرت مصادر صحفية أن شارون لا يرى أن هذا التحذير يمثل الموقف الأميركي الحقيقي، مؤكداً أن موقف البيت الأبيض مغاير لهذا الاتجاه، وبالتالي فالرئيس الأميركي بوش مساند للنهج الشاروني.

* * *

□ الصين

القمع والتصفية ومحق الهوية لمسلمي تركستان الشرقية كشف أحدث تقرير صادر عن مركز تركستان الشرقية لحقوق الإنسان عن تردي الأوضاع للمسلمين فيها على أيدي السلطات الصينية، التي احتلت هذه الأراضي الشاسعة والتي تقع في أقصى الشمالي الغربي للصين، وحولت اسمها من (تركستان الشرقية) إلى منطقة (سنجيانج الإيجورية) ورغم امتلاك تلك الأراضي الواسعة الثروات الطبيعية غير المحدودة؛ فإنهم لا يزالون يقبعون تحت الاحتلال الصيني، وأصبحوا أفقر أمة متخلفة على مستوى العالم.

ف ٩٠٪ من سكان تركستان الشرقية هم من الفلاحين المرغمين على زراعة التوت والقطن بأسوأ الوسائل الزراعية البدائية؛ حيث لا يصل دخل الفرد

السنوي إلى ١٠٠ دولار أميركي. كما أن سكان هذه المنطقة ليسوا محرومين من الحقوق الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية فحسب، بل إنهم محرومون من حق الحياة وإنجاب الأطفال.. وأن أشد ما يواجهه الأيجور في تركستان الشرقية ليس الفقر وانتهاك حقوق الإنسان؛ بل هناك قضية أخطر من ذلك أنها قضية الموت، الذي يهدد أمة تحاول الحفاظ على هويتها الدينية الإسلامية، في وجه مؤامرة خبيثة، تستهدف إزالتها من الوجود والقضاء عليها. وبالرغم من أن منظمات حقوق الإنسان تنتقد بشدة عمليات القمع الدينية ضد المسلمين الأيجور، وكررت مطالبتها بوقف تلك الأعمال الجهنمية، إلا أن الصين لا تصغي إلى تلك الانتقادات الدولية على الإطلاق. حيث مارست أسلوباً

جديداً للفاشية والاعتقال الجماعي، بعد الأوامر الصادرة من سكرتير الحزب الشيوعي الصيني في تركستان الشرقية، والذي يقول فيه: «لا مانع من اعتقال ألف شخص بريء من أجل القبض على متهم واحد، ويجب الاستمرار في ذلك ومواجهة الانفصاليين بلا هوادة وبلا رحمة» حيث ازدادت ممارسات القمع الوحشية بعد هذا التصريح في المناطق ذات الغالبية الإيجورية المسلمة، وتم القبض على عشرة آلاف شخص وبتهمة الانفصال وممارسة النشاطات الدينية غير المشروعة، وكما بلغ عدد الذين لقوا مصرعهم بواسطة الإعدام والتعذيب في السجون إلى ١٥٠٠ شخص، وهذا الرقم يشمل فقط المعدمين لأسباب سياسية.. ومن القضايا المعتمدة والجديرة بالانتباه أن القضايا الخاصة بالانفصاليين حسب

تعبيرهم لا يمكن الاحتكام بها إلى القانون، ولا بد من تنفيذ حكم الإعدام بأسرع وقت والقصد من ذلك القضاء على هيبة الانفساليين ومؤيديهم، والمؤسف له أيضاً أن المعدومين لا تعاد جثثهم إلى ذويهم، بل يُدفنون بملابسهم وأيديهم مربوطة بالسلاسل الحديدية، وتتم تسوية مقابرهم بالجرارات خوفاً من قيام أقاربهم أو أهلهم بنقل رفاتهم، وبالرغم من ذلك فإن السلطات لم تحسّ بالأمن بعد إعدام الإيجوريين المسلمين ودفنهم، حيث قامت بالحراسة المشددة للمقابر لمدة اسبوع خوفاً من توقع هجوم ذويهم لنقل جثثهم.

وتمارس السلطات الصينية خلال حملاتها القمعية والتي تحمل اسماء مختلفة (اضرب بقوة) (حملة التطهير) اسلوباً جديداً حيث تتم معاقبة والدي

الشخص المطلوب القبض عليه في حالة عدم عثورهم عليه. ولم تقتصر ممارسات القمع ضد المسلمين الايجور على مستوى تركستان الشرقية؛ بل اتسع نطاقها إلى داخل المدن الصينية، وبث الدعايات بأن المسلمين الايجور إرهابيون ولصوص وقطاع طرق. ونتيجة لهذه الدعايات تعرض التجار والطلبة التركستانيون في أقاليم الصين الداخلية الى مضايقات من قوات الأمن والصينيين العاديين، وكما حدث في أحد الجامعات حيث تعرض الطلبة المسلمون الايجور الذين يدرسون في جامعة جانجان بمدينة شيان إلى هجوم من قبل آلاف الطلبة الصينيين حيث وقف حراس الجامعة إلى جانب الطلبة الصينيين، وجرح عدد من طلبة الايجور، وتم طردهم من الجامعة من قبل المسؤولين الجامعيين.

هذا التمييز العنصري الذي تمارسه السلطات الصينية لم يكن وليد حوادث مؤقتة، وإنما أعد له مسبقاً من أجل محاربة الإسلام والقضاء على أهله أينما كانوا، وبدون قانون ومراقبة دولية ومعاقبة المسلم حتى وإن كان مجنياً عليه وهو الضحية دوماً.

وفرضت السلطات الصينية قرارات تعسفية لا تمت إلى الإنسانية بأي صلة لا من قريب ولا من من بعيد، والمثير للاستغراب أن الصين من الدول المدافعة عن حقوق الإنسان وبكل قوة وفي كل المحافل الدولية؛ حيث أصدرت تقريراً هاماً ووحيداً في العالم يفضح معالم السياسة الأميركية تجاه حقوق الإنسان المشروعة، ومقابل ذلك قامت هي بأبشع الأعمال الوحشية ضد سكان وشعب تركستان الشرقية المسلم، حيث منعت المدارس في مناطق

تركستان وبالخصوص الدينية منها أي في عام ١٩٤٩م، ومنذ ذلك التاريخ والتعليم الديني محرّم في المدارس؛ لذلك يلجأ المسلمون إلى تعليم أولادهم العلوم الدينية سرّاً في البيوت، إلا أن السلطات لم تسمح لهم أيضاً بذلك، حيث طاردت المعلمين والمتعلمين، وفرضت عليهم عقوبات شديدة، والهدف من ذلك هو إبعادهم عن مبادئ دينهم الإسلامي والالتزام بتعاليمه، والتي يعتبرونها عدوهم الأول والأخير. بالإضافة إلى ذلك أن هناك مسألة شديدة الحساسية؛ حيث اتبعت السلطات الصينية في تركستان سياسة تحديد النسل؛ إذ قامت منذ عام ١٩٨٨م بتطبيق هذه السياسة التي أثبتت مدى القمع والظلم، وانتهاك حقوق الإنسان من قبل السلطات الصينية الشيوعية ضد المسلمين الايجور في تركستان.

مَنْ وراء أحداث ١١ سبتمبر؟

مازال الجدل لم يحسم بعد ورغم مضي حوالي عام على حقيقة ما جرى في (١١) أيلول سبتمبر ٢٠٠١م، وكانت أهم نظريتين في تفسير الحدث هما:

أولاً - النظرية الأميركية الرسمية التي حملت أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة مسؤولية ماحدث، وبناء عليه تم ضرب أفغانستان وإزالة نظام الطالبان، ومازالت شعارات الحرب على الإرهاب تدوي في سمع العالم صباح مساء، إن هذه النظرية ورغم عدم وجود أدلة قاطعة تؤكد مدعياتها؛ إلا أنها هي السائدة والراجحة الآن في وسائل الإعلام العالمي، وفي أروقة السياسة، وعلى خطوط التماس بين الغرب والعالم

إن اتهام أميركا لابن لادن وتنظيم القاعدة بالمسؤولية عما حدث في ١١ سبتمبر وبالتالي اعتبار جميع الإسلاميين، بل وعموم المسلمين إرهابيين؛ إنما تعتمد على مقدمات سبقت هذه الأحداث بفترة طويلة، وكان ابن لادن وتنظيمه - القاعدة - نجومها اللامعة، وأهم هذه الأحداث هي:

١ - انفجار مركز التجارة العالمي في ١٩٩٣م - والذي خلف ستة قتلى .

٢ - انفجار المقر العسكري الأميركي في موسكو ١٩٩٥م - بدون إصابات .

٣ - قنبلة صاروخية تخرق جدار السفارة الأميركية في موسكو ١٩٩٥م بدون إصابات .

٤ - انفجار برج الخُبر في

الظهران (المملكة العربية السعودية) ١٩٩٦م، وذهب ضحيته (١٩) أميركيا وجرح المئات .

٥ - انفجار مبنى السفارة الأميركية في نيروبي - كينيا - ١٩٩٨م وذهب ضحيتها (٢٢٤) قتيلاً وآلاف الجرحى، وهي الحادثة التي ردت عليها الولايات المتحدة بقصف معسكرات القاعدة في أفغانستان ومصنع الشفاء للأدوية في السودان .

٦ - انفجار البارجة (يو. اس. اس كول) عام ٢٠٠٠م، وذهب ضحيته (١٧) عنصراً من البحرية الأميركية .

كل ذلك قد حدث، فضلاً عن تصريحات ابن لادن الشديدة العداء للولايات المتحدة، وفتواه التي أصدرها بقتل كل أميركي من الرجال، كل ذلك جعل ابن لادن مطارداً من الأجهزة الأميركية منذ سنوات عدّة؛ حيث حددت

واشنطن مكافأة تبلغ خمسة ملايين دولار لأي معلومات تساعد على توقيفه، كما خصصت جهداً تكنولوجياً كبيراً للتجسس على تحركاته - دقيقة التنظيم - وعلى أنشطة منظمته القاعدة التي يعتبرها الخبراء الأميركيون بمثابة دولة (إبن لادن) لها سفراء وتنظيمات في حوالي ستين دولة حسب التقارير الأميركية .

لكل هذا السجل الحافل بالعداء للولايات المتحدة كان ابن لادن هو المتهم الأول في أحداث ١١ سبتمبر وحتى قبل أن تبدأ لجان التحقيق عملها وتقدم أدلتها، بل ومنذ الساعة الأولى التي أعقبت الحدث الزلزال .

إن المقدمات التي ذكرناها والتي كانت الدافع الحقيقي لاتهام ابن لادن وتنظيم القاعدة بتدبير الأحداث الأخيرة، - على افتراض صحتها - فإنها تشكل مبرراً

موضوعياً لاتهامه بكل ما حدث، ولكن المشكلة التي تواجهنا هي عدم كفاية الأدلة التي تثبت ظلوعه في الأحداث السابقة على زلزال ١١ سبتمبر، إضافة إلى تهافت الأدلة التي ساققتها الإدارة الأميركية على قيامه، وتنظيم القاعدة بتدبير أحداث ١١ سبتمبر؛ خصوصاً تلك الأفلام المسجلة وقوائم المتهمين التي لا تحمل محتوى قانونياً دافعاً في الإدانة، إضافة إلى شبهة الجعل والاختلاق.

ثانياً - نظرية القوى الخفية في أميركا، وفي هذا السياق بدأت تتراكم الأدلة وتخرج الشهادات الموثقة من داخل الولايات المتحدة؛ والتي تؤكد حدوث انقلاب داخلي في البيت الأبيض، وأن هناك قوى خفية تسعى لجر الولايات المتحدة إلى حرب ضد العالم الإسلامي، وهذا هو المحور الرئيسي لهذه النظرية في

تفسيرها لأحداث ١١ سبتمبر. على أن غرضنا في هذا العرض ليس الترجيح أو الترويج بقدر ما هو استعراض لأهم الدلائل والإشارات والإثباتات التي ترجح نظرية الانقلاب الداخلي، ولكون النظرية الأولى هي السائدة في الأوساط الرسمية، لذلك آثرنا أن نركز البحث ونسلط الأضواء على النظرية الثانية - الانقلاب الداخلي -

إن أهم الدلائل والإشارات التي خرجت من الولايات المتحدة، وبعض الدول الغربية والتي تؤكد هذه الرؤية للأحداث هي:

١ - المحاضرة التي ألقاها (ليندون لاروش) في واشنطن في ٢٤ / ٧ / ٢٠٠١م وهو مرشح الرئاسة الأميركية عن الحزب الديمقراطي لانتخابات عام (٢٠٠٤م) أي قبل أحداث سبتمبر بـ ٤٨ يوماً، وحذر فيها من أن

هناك قوى في الداخل تُعد لإشعال حرب عالمية ثالثة، وإنها ستعلن: إن هذه الحرب بين الغرب والإسلام، وسرد لاروش الأسباب والدوافع وراء ذلك، ثم كشف بعد التفجيرات عن أسرار جديدة تؤكد رؤيته .

٢- كتاب (Of SECRETS Bod) الذي أصدره (جيمس بامفورد) وأثبت فيه بالوثائق إمكانية قيام قوى داخلية أميركية بمثل هذه الأعمال، مادام ذلك في صالح الولايات المتحدة .

٣- كتاب فرنسي جديد صدر في باريس مؤخراً بعنوان (تزوير مروع) أو (الدجل الشنيع) للكاتب والباحث الفرنسي المعروف: (تيري ميسان). قدم فيه رؤية متكاملة، مفادها: أن الدعاية الأميركية المتداولة عن أحداث ١١ سبتمبر ليست صحيحة وإنما تمت فبركتها بهدف التغطية على حدث أخطر؛ هو ذلك الانقلاب

الداخلي الذي أحدثه عسكريون لدفع الرئيس لتغيير سياساته، ويكشف المؤلف - في كتابه الذي حظي باهتمام كبير في الإعلام الفرنسي ونفذت طبعته الأولى خلال ساعتين فقط - أن مدبري الأحداث تمتعوا بدعم لوجستي، قدمه فريق وجد على الأرض، واستخدموا لتوجيه الطائرات نحو أهدافها إشارات، وقاموا بإعلام شاغلي الأبراج لتخفيف الضرر الإنساني إلى أكبر قدر، وكل هذا قد حدث في ظل أعين الاستخبارات الأميركية المفتوحة واليقظة، ويتساءل أخيراً: هل من المعقول أن (حفنة) من الإرهابيين القادمين من الخارج قادرون على اختراق أجهزة الأمن والدفاع الأميركية إلى هذا المستوى ؟

٤ - اللجنة الأميركية التي أشرفت على التحقيق فيما جرى وكان من بين أفرادها (جوفالين، وكورنس ماي) حيث قال هذان

المحققان : إن إتهام إرهابيين
عرب باختطاف الطائرات إنما هو
جزء من المؤامرة المبيتة منذ
وقت طويل، ثم فاجأ هذان
المحققان العالم بنشر كشوفات
أسماء أطقم وركاب الطائرات
المختطفة وليس بينها اسم واحد
لعربي من الذين قيل إنهم هم
الفاعلون. المحقق جوفاليز يقول:
إن كل السجلات الرسمية
(كشوف أسماء المسافرين)
اختفت بعد يومين من الحادث،
حتى شركات الطيران ادعت أن
الكشوف ربما احترقت مع
الطائرات، فهل يُعقل هذا؟ ألا توجد
كشوف في الإدارة وفي المكاتب
وفي المطارات؟ نعم لقد اختفت
الكشوف بطريقة سرية غامضة .
٥ - الشهادة الأخيرة
والخطيرة والموثقة التي خرجت
من الولايات المتحدة والتي تسلط
الضوء أكثر على الحدث، وتحل
أخطر إشكالية واجهت هذه

النظرية، ألا وهي (المجاميع
الانتحارية) التي نفذت هذه
الهجمات والتي تعتبر من أهم
الأدلة على دخول الإسلاميين على
الخط في تلك الأحداث. على اعتبار
أن العمليات الاستشهادية
اختصاص إسلامي في هذا
الزمان.
إن الشهادة الأخيرة التي
خرجت من الولايات المتحدة تحل
هذه الإشكالية، وتكشف عن
الآليات التي استخدمت كبداية عن
الانتحاريين في تنفيذ تلك
الهجمات المروعة في نيويورك .
إنه نظام التحكم في حركة
الطائرات عن بُعد، (JPLS) والذي
تم تطويره من خلال مجموعة
شركات (رايتون)، وقد قام مكتب
التحقيقات الفيدرالية باستجواب
رئيس هذه المجموعة: (دانيال
بورنهام) ورئيس المهندسين
المشرف على نظام (JPLS) حول
إمكانية تورط هذا النظام في

الأحداث، أما عن تاريخ هذا النظام الأمني المتطور فمن المعروف أن الولايات واجهت في السبعينات أزمة متصاعدة؛ تجلت في اختطاف طائرات تجارية للمطالبة بفدية، تخدم أهدافاً سياسية، إلا أن الإدارة الأمنية قررت إحباط تلك العمليات، وكلفت شركتين بالعمل مع وكالة - نادراً - مايشار إليها في وسائل الإعلام تُعرف باسم (وكالة مشاريع الدفاع المتقدمة)؛ وذلك لوضع مخططات تتيح استعادة الطائرات المختطفة من دون إرادة المختطفين، أو حتى قائد الطائرة نفسه. والخطة في نقاطها الأساسية كانت تتيح المراقبة الأرضية لكل كلمة وهمسة تقال على متن الطائرات المختطفة، ثم السيطرة عليها (بالريموت كونترول) وقيادتها لتهبط في المكان المقرر أن تهبط فيه، من دون أن يستطيع أحد من الذين على متنها إطلاقاً التحكم

بتلك الطائرة .

إن سرية المشروع وأهميته من حيث التخطيط المستقبلي اقتضت كلها ألا يعرف الطيار، أو أحد من المسؤولين في شركة الطيران نفسها بوجود الأجهزة الإلكترونية الدقيقة، وهي على أية حال ليست أجهزة ضخمة، بل عبارة عن (سوفت وير) أي برنامج كمبيوتر، يتولى السيطرة على الطيار الآلي، ويتحكم به حسب ما يريد المراقبون على الأرض، يقول خبراء الطيران: إن الأمر كله عبارة عن التحكم بالطيار الآلي وتعطيله تماماً ليتم توجيه الطائرة إلكترونياً من الأرض، تماماً كما يتم توجيه طائرة التجسس بدون طيار، وهذا هو ما حصل وبشكل واضح لتدمير برججي مبنى التجارة العالمي في نيويورك، في عملية لم تتكشف بعد بكل أبعادها وأهدافها - تديرها وتخطط لها

مافيات سياسية وعسكرية ومالية تدير دفة العالم، وتتحكم بالسياسات العليا للدول، وتعتبر نفسها - حكومة العالم -.

يقول المحقق (جوفالز) هناك في كل طائرة جهاز الكتروني يُعرف باسم المجيب، وتكفي لمسة خفيفة ليرسل إشارة استغاثة تنبئ أن الطائرة مختطفة، ويُستخدم دوماً في الاتصال بالطائرات المختطفة.

بالنسبة لطائرات نيويورك عرف العالم أن أجهزة المجيب في الطائرات الأربع لم تتلق أية إشارة، ولم تبعث بأية إشارة تدل على وجود مشكلة، ويضيف المحقق (جوفالز) قائلاً: إن ذلك مستحيل؛ إلا إذا أمكن التحكم بتلك الأجهزة وتعطيلها. وكل التحقيقات تبين أن من قيل: إنهم خطفوا الطائرات لا يمكن لأي منهم التوصل إلى هذه المرحلة، ثم لا تفسير إطلاقاً لسكوت

المجيب في الأربع طائرات، وليس من المعقول أن يتم هذا من قبل خاطفين قيل: إن سلاحهم سكاكين صغيرة .

وهناك نقطة أخرى: هل يعقل لأكثر من سبعين أو ثمانين راكباً يرون أنهم على وشك الهلاك ألا يوجد بينهم من يقاوم، أو يحاول المقاومة أو يصرخ أو يستنجد أو حتى يستغيث ويسترحم؟ لم تصدر عن أي من تلك الطائرات أية إشارة تدل على ذلك، وهذا يخالف كل منطق! ثم أين الصندوق الأسود في تلك الطائرات؟ هل يعقل في تلك الظروف وما نسج حول وجود الخاطفين ألا يسجل في الصندوق الأسود كلمة واحدة يتفوه بها أحدهم في غرفة القيادة؟ لقد استعاد المحققون الصندوق الأسود من الطائرة التي ضربت البنتاغون، ومن تلك التي سقطت في (بتسبورج)؛ فكان شريط

التسجيل خالياً ونظيفاً، فهل من تفسير سوى أن ما حدث كان اختطافاً للطائرات (بالريموت كونترول) وأن الطيارين لم يستطيعوا فعل شيء، وأنه تم إلكترونياً (بالريموت كونترول) أيضاً - إطفاء كل الأجهزة التي يمكن أن تسجل وتدل على ما حدث؟ ويختتم المحقق (جوفالز) شهادته فيقول: إن كل القرائن والأدلة تبين أن الطائرات اختطفت إلكترونياً (بالريموت كونترول)، وتم توجيهها لتدمير البرجين، وقد أكدت أقوال بعض الشهود ساعة الحادث أن الطائرة التي ضربت البرج الثاني كانت تميل مبتعدة قليلاً؛ لكنها تعود لتتجه نحو البرج وتفسير ذلك أن الطيار كان يحاول الابتعاد بها دون جدوى.

هذا وقد عرضت فضائية المستقبل يوم السبت ٦ / ٤ / ٢٠٠٢م في برنامج (مشاهد

مثيرة) لقطة مصورة من أميركا تم توزيعها على تلفازات العالم، وهي تقدم دليلاً جديداً على أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ تم إعدادها وتنفيذها داخل أميركا وبأيدي أمريكية.

خلاصة المشهد المثير أن الخبراء في ولاية كاليفورنيا أرادوا تجربة نوع جديد من وقود الطائرات يكون أقل اشتعالاً عند وقوع حادث للطائرة؛ مما يقلل من الخسائر الناجمة عن الوقود القديم، ولكي تكون النتائج واقعية اختاروا طائرة حقيقية من طراز (جامبو)، وجعلوا جميع ركابها (دمى بالحجم الطبيعي للإنسان) على أن يتم التحكم في الطائرة التي تخلو بالطبع من طيار بنظام جديد هو التحكم الأرضي، وكان من المقرر أن تهبط الطائرة علي آلة تشبه السكاكين الضخمة تقوم بتمزيق خزانات الوقود التي تشتعل فور ارتطامها بهذه

السكاكين .

المثير حقاً لم يكن حجم الانفجار وألسنة اللهب بل المهارة الفائقة في نظام التحكم في الطائرة الجامبو وانزالها بكل دقة فوق هذه الشفرات التي أصابتها أسفل أحد جناحيها؛ حيث نزل الطيار الآلي بزاوية ميل بالجناح الأيمن للطائرة .

وأخيراً وليس آخراً فقد قال (اندي مارتين) مراسل الإذاعة الوطنية الأميركية وبمناسبة زيارة شارون الأخيرة للولايات المتحدة والتي اختتمت في ٨ / ٥ / ٢٠٠٢م: إن اسرائيل كانت على علم مسبق بهجمات (١١) أيلول سبتمبر في أميركا، ولكنها امتنعت عن الكشف عنها، وأضاف (اندي مارتين): بأن التحقيقات الواسعة قادتني إلى أن الكيان الصهيوني كان بالتأكيد على علم مسبق بالهجمات قبل وقوعها، ولكنه امتنع عن

إبلاغ أميركا من أجل عدم كشف عناصره الجاسوسية، وحفظ مصالح المتطرفين الصهاينة .

وأكد (مارتين): بأنه يبدو أن الصهاينة أرادوا أن تتعرض أميركا للهجمات الإرهابية لتكون ذريعة بيد المتطرفين الصهاينة لزيادة هجماتهم على الفلسطينيين، وأشار إلى زيارة شارون لأمركا، وقال: بأن على الكونغرس الأميركي وبدلاً من دعم الكيان الصهيوني أن يدرس المسؤولية الأخلاقية لهذا الكيان أزاء هجمات ١١ أيلول سبتمبر وتستترهم عليها .

* * *

☐ شمال أوروبا

ظاهرة الانتحار تنتشر بين الشباب

واليا فحين

تعيش دول شمال أوروبا وهي

السويد والنرويج والدنيمارك وفلندا شبح الانتحار المنتشر بين صفوف اليافعين والشباب على وجه التحديد. وتحاول مختلف المؤسسات الاجتماعية والنفسية دراسة هذه الظاهرة المتفشية وسط الشباب في محاولة لوضع حدٍّ لها. وكان الاعتقاد السائد أن موجة الانتحار تكثرت في فصل الشتاء؛ حيث الغياب شبه الكامل للشمس والظلمة الحالكة والبرودة غير المتحملة، غير أن دراسات عديدة عن ظاهرة الانتحار صدرت في السويد والدنيمارك أشارت إلى أن عدد المنتحرين في فصل الشتاء يوازي عدد المنتحرين في فصل الصيف، أي لا علاقة للبرودة وغياب الشمس بهذه الظاهرة.

وأكدت الدراسات نفسها بأن المنتحرين لا يعانون إطلاقاً من مشاكل مادية حيث؛ إن هذه الدول تقدم دعماً كبيراً للطالب الشاب

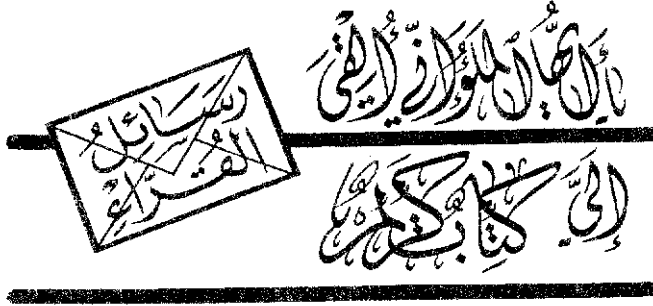
واليافع، والأغرب من ذلك كله فإن جريدة «أفتونبلادت» السويدية نشرت موضوعاً يتحدث عن تفكير مئات التلاميذ في المدارس السويدية في الانتحار، وهي المعضلة نفسها في بقية دول شمال أوروبا، أما الذين ليس لهم القابلية على الانتحار فقد بدأوا يميلون إلى تعاطي المخدرات بمختلف إشكالها؛ حيث بدأت المخدرات تروج بشكل مزعج إذ بلغت نسبة اليافعين الذين أخذوا يتعاطون المخدرات في المدن السويدية والذين لا تتجاوز أعمارهم ١٤ سنة نسبة ١٧٪، والدراسات حلت نفسية المنتحرين وقدمت ما كتبه المنتحرون أنفسهم يبررون إقدامهم على وضع حدٍ لحياتهم، حيث كشفت هذه الدراسات أن أسباب الانتحار موزعة بين التيه والضياع والملل والفراغ وخيانة الحبيبة أو الرفيق، وبعبارة أخرى

كما يقول المحلل النفساني من
فلندا: إن الفراغ الروحي هو الدافع
الأساسي لهذا الانتحار، ويستدل
بذلك أن معظم المنتحرين لا
علاقة لهم بالدين ولا يؤمنون
بخالق هذا الكون..

وتبين الدراسات أن الأجيال
المهاجرة بدأت تسود بينها
ظاهرة الانتحار، ولكن الأسباب
والمبررات تختلف عن المواطن
السويدي أو الدنيماركي أو
الفنلندي وغيرهم من مواطني
شمال أوربا، حيث يكون الانتحار
في مراكز اللجوء، بعد أن ترفض
الدول المذكورة طلباتهم
كلاجئين سياسيين أو إنسانيين،
ويطلب منهم الاستعداد للرحيل،
وحتى لا يتم إجبارهم على الرحيل
يستتحمون، ويتظاهر البعض
بالانتحار جلباً للرحمة والشفقة.
ولاجل إعطاء معنى لحياة الناس
في شمال أوربا وإعادة تفعيل
دور العادات والتقاليد والأعراف

الاجتماعية والدينية المتعارف
عليها هناك، والحد من هذه
الظاهرة دعت بعض الأحزاب ذات
الصبغة الدينية بشكل رسمي
وإلزامي بإعادة تدريس مادة
الدين في المدارس الابتدائية
والمتوسطة؛ حيث إنهم يعتقدون
بأن الالتزام بتعاليم الدين
الحقيقية يجلب للإنسان السعادة
وراحة البال، وعلى عكس ذلك
يجلب الشقاوة والتعاسة
والانتحار..

ومن أهم المفارقات في
الدراسات التي وضعت في شمال
أوربا لبحث موضوع الانتحار،
أشارت إلى لجوء الكاتب
السويدي الشهير وليام موبيري
الذي وضع حداً لحياته، بعد أن
أصبح عاجزاً عن الإبداع والكتابة
كما ذكر في وصيته، وهذا ليس
الأول أو الأخير من الذين التجأوا
إلى الانتحار بين الأشخاص الذين
يتمتعون بثقافة عالية كما يدعون.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد وددت مراسلتكم منذ فترة،
لكن الظروف حالت دون ذلك، وأنا
قارئ قديم لكم، وأيضاً والذي من
قراء مجلتكم، فأنا ورثتها من أبي
الذي يقرأها منذ فترة بعيدة .
أنا وجميع قراء -رسالة الثقلين
- نشكركم على الجهود الجبارة
التي تبذلونها في إخراج هذه
المجلة الثقافية للمسلمين

«رسالة الثقلين»



اعز وأعلى مجلة على قلبي
إلى رئيس التحرير الشيخ فؤاد
كاظم المقدادي المحترم .
السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته. وبعد :
أرفع قلمي لأول مرة لأكتب أولى
رسائلي إلى أعز وأعلى مجلة على
قلبي، ألا وهي «رسالة الثقلين» .

الناطقين بالعربية وللشباب؛ لكي
تنير طريقهم وتقوم بتوعيتهم .

أرجو أن تقبلوني صديقاً دائماً
للمجلة، وأن يكون اسم مكتبتي -
مكتبة الفيصل الإسلامية -
مسجلة لديكم .

والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته .

ادارة مكتبة الفيصل

غانا

* * *

«رسالة الثقلين» غنية بالمواضيع القيمة

فضيلة الاستاذ فؤاد كاظم
المقدادى حفظه الله تعالى رئيس
تحرير مجلة «رسالة الثقلين» .

السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته .

عندما كنت في زيارة للجامعة
السيفية التابعة لطائفة البهرة
بكراتشي؛ وقع نظري على
مجلتكم الغراء (رسالة الثقلين)
فأعجبني حسن إخراجها وجمال

طبعها وغناها بالمواضيع القيمة
المفيدة، فرأيت أن أكتب إليكم آملاً
إدراج عنواننا البريدي لديكم،
لإتحافنا بنسخة من المجلة
المذكورة على سبيل الإهداء
والتبادل، ولتكن إضافة جديدة
لمكتبتنا، ونرجو التكرم بإرسال
إعداد سابقة إن وجدت وتفضلوا
في الختام بقبول فائق التقدير
والاحترام والسلام .

حسين حاجي

كراتشي / باكستان

* * *

«رسالة الثقلين» تدحض أفكار

وأباطيل أعداء الدين

الإسلامي الحنيف

بسم الله الرحمن الرحيم .

والصلاة والسلام على رسول
الله وعلى آله الطاهرين الطيبين .

إخواني الأعزاء :

السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته .

لقد وصلت إلينا مجلتكم

رسالة الثقلين، ونشكركم شكراً
جزيلاً لخدماتكم العظيمة في نشر
عقائد أهل البيت (عليه السلام) في جميع
أنحاء العالم، ولما تقومون به من
دحضٍ لأفكار وأباطيل أعداء
الدين الإسلامي الحنيف، فأطلب
من فضيلتكم الاستمرار في
إرسال المجلة، وكذلك باقي
إصدارات مجمعكم الموقر،
وأجركم على الله تعالى.

عبد الله ساكي

معلم المدرسة الثقافة الإسلامية

بوكندا / ساحل العاج

* * *

ونودّ إن كان بإمكانكم بعث
نسخة لنا بصورة دائمة، وكذلك
غيرها من الإصدارات حيث إن
المسجد هنا هو مركز الالتقاء
الجالية الإسلامية في مونتريال،
داعين الله سبحانه وتعالى لكم
بالموفقية وفعل الخير.

وجزاكم الله خير الجزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

إدارة مسجد أهل البيت (ع)

مونتريال / كندا

* * *

«رسالة الثقلين» غنية بالفكر

الإسلامي الأصيل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه
نستعين.

والصلاة والسلام على سيدنا أبي
القاسم محمد وعلى آله الطيبين
الأطهار وعلى صحبه الأخيار.

الأخ الكريم رئيس التحرير
المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله

«رسالة الثقلين» مجلة

قيمة

الأخ رئيس التحرير حفظه الله.
السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

من مسجد أهل البيت (عليه السلام) نبُغكم
سلامنا وتحياتنا داعين العلي القدير
أن يحفظكم ويرعاكم ويوفّقكم..
فقد أطلعنا على مجلّتكم القيمة،

وبركاته .

لكم منّا جزيل الشكر والاحترام
على إرسالكم مجلة رسالة الثقلين
القيّمة بمواضيعها الرائعة الغنية
بالفكر الإسلامي الأصيل ، حيث
زادني ذلك فخراً واعتزازاً ، وأنا
أتفحص مواضيعها التي تهدف إلى
نشر فكر إسلامي واحد صادق من
خلال إرشادات وتوجيهات
موضوعية واقعية .

اشدّ على أيديكم راجياً المولى أن
يسدّد خطاكم نحو ما يرضاه في نشر
الدعوة الإسلامية العظيمة، ووضع
قانون الله على الأرض وتطبيقه .
اكرّر شكري وامتناني لكم .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رسول حامد طاهر

سبها / ليبيا

* * *

«رسالة الثقلين» أحبّها من

وصلت إليهم من المسلمين في أميركا

والصلاة والسلام على سيدنا

محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

الشيخ فؤاد كاظم المقدادي

المحترم .

السلام عليكم ورحمة الله

وبركاته .

مهما بعدت المسافات ، يبقى حبنا
لأهل البيت عليهم السلام ويقوى يوماً بعد يوم .
نحن في بلاد الغربية ، البلاد
المتعددة الأديان والأجناس والألوان ،
ولكن والحمد لله فإن الدين والإسلام
منتشر إلا أن الذي ينقصنا هو الكتب
الإسلامية الأصيلة والصادقة ، الكتب
التي تزود الدين والحقيقة الإسلامية ،
وبعد انقطاع رسالة الثقلين حيث كان
العدد الأخير الذي وصلنا هو الرابع
والعشرون ، ولا أعرف ما هو السبب ؟
علماً أننا شباب مسلم من مذاهب
إسلامية متعددة ، وقد أحبّ الجميع
هذه المجلة ، راجباً من جنابكم
الاهتمام بهذا ، ولكم الأجر من عند
الله .

والسلام عليكم ورحمة الله

وبركاته .

أحمد الساعدي

الولايات المتحدة الأميركية

رسالة الثقلين مجلة اسلامية جامعة

قسمة الاشتراك

الاسم :

العنوان :

.....

المدينة :

البلد :

المهنة :

مدة الاشتراك :

ابتداءً من :

.....

عدد النسخ :

بلد الاشتراك

الارسال السنوي / لمدة ٦ أشهر

☐ الجمهورية الاسلامية ٢٠٠٠ ١٠٠٠٠

في ايران (بالريال)

☐ باقي دول العالم بالدولار ٣٠ ١٥

الأميركي (أو مايعادلها)

☐ يرافق اشتراكي . ☐ صك ☐ صك بريدي ☐ حوالة بريدية

أرسل هذه القسيمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى العنوان التالي :

الجمهورية الاسلامية في ايران . قم . ص . ب ٨٩٤ - ٣٧١٨٥

.....

الاشتراكات :

☐ داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٢٠٠٠ ريال) بحوالة مصرفية على العنوان التالي :

الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - بنك ملي / شعبه ولايت - خيابان فلسطين جنوبي - رقم الحساب الجاري ٥٥٩١٦٠١٦ (بالريال) - مجلة رسالة الثقلين .

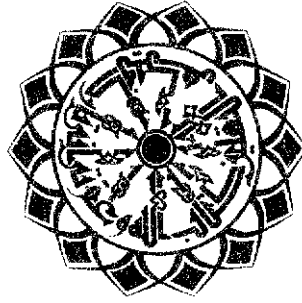
☐ قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولار أميركي أو ما يعادلها) تسدد بحوالة مصرفية على العنوان التالي : (مذبح فروغ بنك ملي في خارج البلاد) .

Bank Melli, Iran : (55916006)

شمن النسخة :

☐ الجمهورية الاسلامية في ايران ٥٠٠٠ ريال .

☐ وفي باقي دول العالم ٧ دولارات أميركية أو ما يعادلها .



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol . 11, No. 42, July - Sep. 2002